
الفيصل
Alfaisal
مجلة ثقافية شهرية - السنة ٣٩ - رمضان - شوال ١٤٣٥هـ / يوليو - أغسطس ٢٠١٤م
عبدالجبار اليحيا..
حوارات مع الإنسان والبيئـة
إثراء المعرفة:
متعة المحتوى وروعة العرض
ALFAISAL Mag
٤٥٩ - ٤٦٠


www.alfaisalmag.com

داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان

حسابات التبرع العام

البنك	رقم الحساب
بنك الراجحي	sa 1180000114608010005117
بنك سامبا	sa 1540000000007007009697
البنك الأهلي	sa 7110000024653949000106
البنك الهولندي	sa 22500000000010042264005
بنك الرياض	sa 86200000002120077499940
بنك الإنماء	sa 5505000068200067502000
بنك ساب	sa 2845000000004322111001
بنك البلاد	sa 6115000999300000170009



الجمعية السعودية الخيرية
لمكافحة السرطان



أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات



www.alfaisalmag.com

السنة ٣٩ - رمضان - شوال ١٤٣٥هـ/ يوليو - أغسطس ٢٠١٤م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

رئيس التحرير

عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

سعد علي الحعمري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دعار - أزهري أحمد البوبري

الإعلانات • ردمد

هاتف ١١٤٦٥٢٢٥٥ ناسوخ ١١٤٦٤٧٨٥١ ١٦٥٨-٨٥٢

رقم الإيداع • **الناشر**

مكتبة الملك فهد الوطنية ٠٢٤٥/١٤ دار الفيصل الثقافية

مراسلات التحرير والإدارة • **الاشتراك السنوي**

ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ١١٤٦٥٣٠٢٧ (٩٦٦+) - ١١٤٦٥٢٢٥٥ (٩٦٦+)

ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١ (٩٦٦+)

١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٣٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

السعر الإفرادي

الموزعون

حصل عليها مركز دراسات المدينة المنورة

مخطوطات تصوّر الحياة في المدينة سنة ١١٨٤هـ

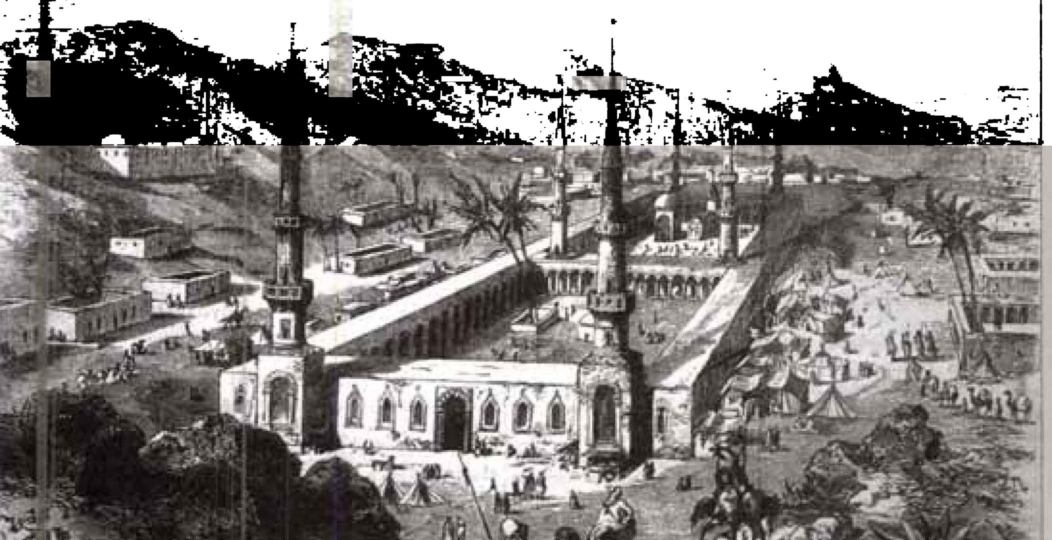
استطاع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة الحصول على صور عدد من الوثائق والمخطوطات ذات الصلة بتاريخ المدينة المنورة، يكشف بعضها عن طبيعة المكونات الاجتماعية للمدينة المنورة منذ سنة ١١٨٤هـ.

وتصف الوثائق الجديدة بعض شوارع المدينة وأزقتها خلال الحقبة التاريخية المبكرة التي شملتها الوثائق، ويشير بعضها إلى الجوانب الاقتصادية من خلال طبيعة التعاملات، والعملات المستخدمة، وتصوّر الحالة المعيشية، والوضع الإداري السائد حينذاك.

ومن ضمن الوثائق عدد من الأختام لبعض وجهاء المدينة المنورة، وهي تكشف عن أشكال الأختام المعمول بها، حتى أسماء الشخصيات، وتقدّم ملامح للمكونات الاجتماعية التي كانت سائدةً في المدينة.

ونال المركز هذه الوثائق من زيارات لعدد من المراكز والمكتبات التونسية تحت إشراف دارة الملك عبدالعزيز، وقام فريق علمي بدراسة هذه الوثائق والمخطوطات، ثم تقديم بحوث ودراسات تقدم وصفاً تاريخياً للحالة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة المنورة خلال تلك الحقبة التاريخية.

ويسعى المركز إلى توقيع اتفاقيات بالتنسيق مع دارة الملك عبدالعزيز مع عدد من المؤسسات التونسية، بينها دار الكتب الوطنية في تونس، وكذلك المكتبة الوطنية بالمغرب؛ للحصول على كل ما يتعلق بتاريخ المدينة المنورة، وموروثها الحضاري.



تعرضت لحملات تشويه ومضايقة

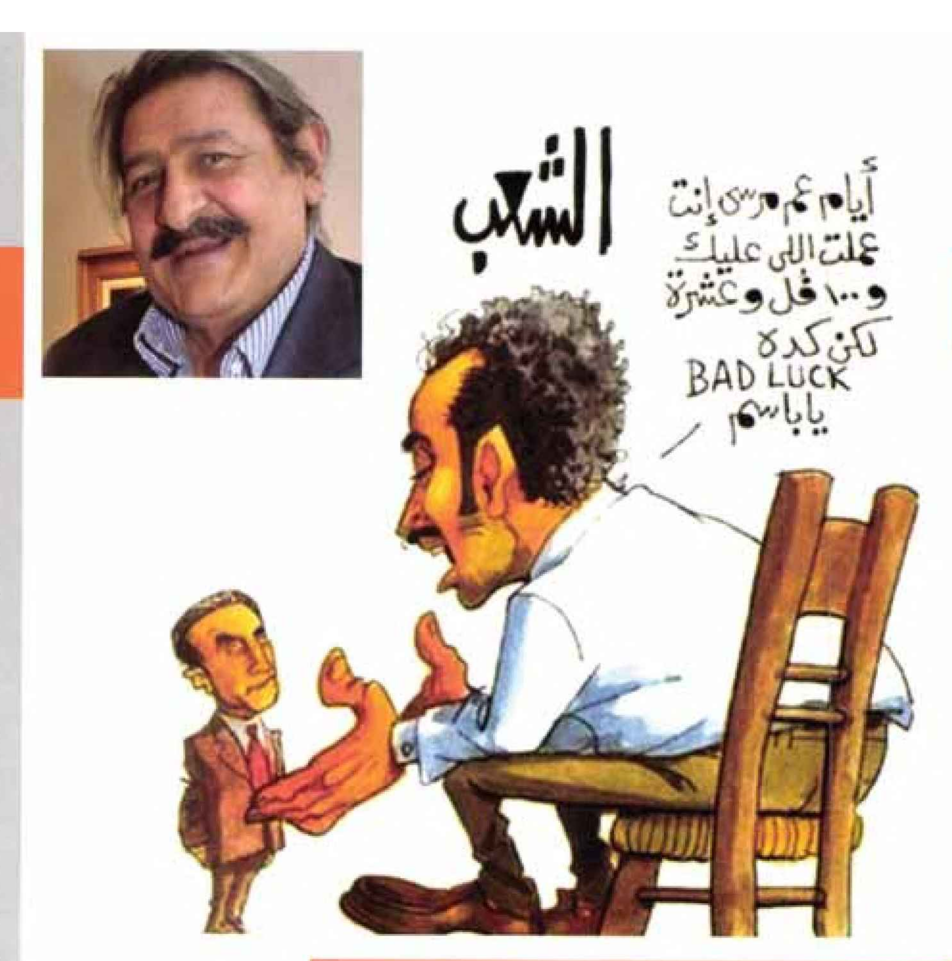
وفاة الشاعرة الإيرانية المعارضة بهبهاني



توفيت الشاعرة الإيرانية سيمين بهبهاني عن عمر ناهز ٨٧ عاماً. وكانت قد بدأت كتابة الشعر في سنّ ١٤ عاماً، وتركّز إنتاجها في الجانب الاجتماعي.

كتبت أشعاراً تعارض الثورة الإيرانية، وتعرّضت لحملات تشويه ومضايقات من جانب الصحف القريبة من المؤسسة الدينية، فضلا عن حظر مؤقت على سفرها إلى خارج إيران، ورقابة مستمرة على أعمالها.

وكانت عضوة في رابطة الكتّاب الإيرانيين، التي تنظر إليها السلطات الرسمية بعين الريب. وحصلت في عام ٢٠٠٩م على جائزة سيمون دي بوفوار الفرنسية الخاصة بتحرير المرأة، وتغنّى مطربون إيرانيون بقصائد كثيرة لها.



صوّر حركة المجتمع المصري

وفاة فنان الكاريكاتير مصطفى حسين

توفي يوم ٢٠ شوال سنة ١٤٣٥هـ/ ١٦ أغسطس ٢٠١٤م فنان الكاريكاتير المصري مصطفى حسين عن عمر ناهز الـ٧٩ عاماً، بعد معاناة مع مرض السرطان. وكان قد أجرى مؤخراً جراحةً دقيقةً لإزالة ورم خبيث في مستشفى بالولايات المتحدة، ثم عاد إلى مصر قبل أيام لاستكمال علاجه.

وُلد الفنان الراحل في السابع من مارس عام ١٩٣٥م في بيت القاضي بحيّ الجمالية بالقاهرة، والتحق بكلية الفنون الجميلة (قسم تصوير) في عام ١٩٥٣م، وتخرّج فيها في عام ١٩٥٩م. وبدأ حياته الصحفية قبل التخرّج في مؤسسة «دار الهلال» منذ عام ١٩٥٢م، ثم رساماً للكاريكاتير بصحيفة «المساء» في عام ١٩٥٦م، وظلّ بها إلى عام ١٩٦٣م، ثم انتقل إلى مؤسسة «أخبار اليوم» منذ عام ١٩٧٤م حتى وفاته.

وقد تولّى رئاسة تحرير «كاريكاتير» في عام ١٩٨٩م، وهي أول مجلة عربية متخصّصة في هذا الفن. كما رأس الجمعية المصرية للكاريكاتير في عام ١٩٩٣م، وعمل أستاذاً غير متفرّغ بكلية الفنون الجميلة في عام ١٩٩٩م، وعضواً بالمجلس الأعلى للرسم، وبالمجالس القومية المتخصصة في عام ٢٠٠٢م، ثم نقيباً للفنانين التطبيقيين بالعام ذاته.

حصل على مجموعة كبيرة من الجوائز وشهادات التقدير والأوسمة طوال رحلته الفنية، منها: جائزة الدولة التشجيعية، ثم التقديرية في الفنون، ونوط الامتياز من الطبقة الأولى في الفنون، وغيرها.

وشكّل مع الكاتب الساخر أحمد رجب (٨٦ عاماً) ثنائياً شهيراً في مؤسسة «أخبار اليوم»؛ فكان رجب يصوغ الأفكار، ويترجمها حسين بريشته. ومن الشخصيات التي ابتدعاها: «فلاح كفر الهنادوة»، و«قاسم السماوي»، و«علي الكوماندا»، و«عزيز بك الأليت»، و«مطرب الأخبار»، و«كمبورة»، و«عبده مشتاق»، وغيرها.

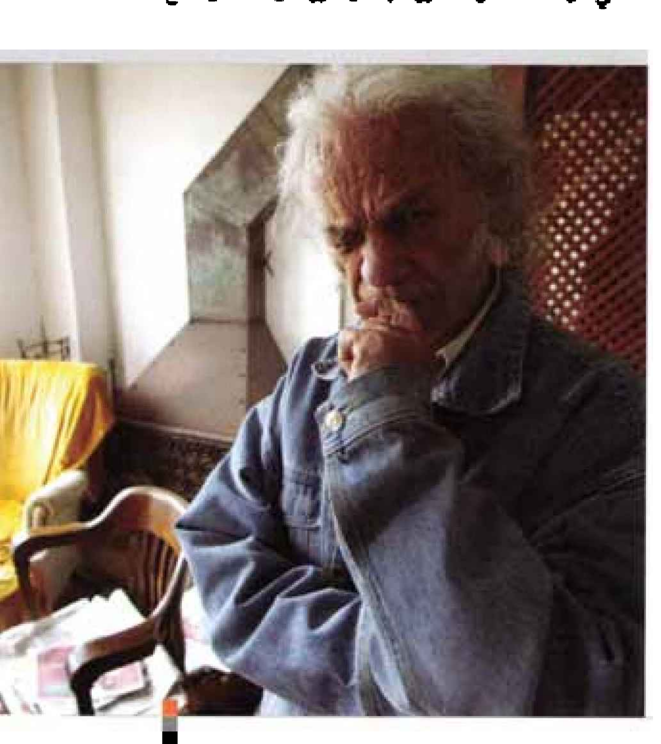
بلغ المئة من عمره

تشيلي تحتفل بشاعرها نيكانور بارا

أبرزت صحيفة (الحياة) احتفال التشيليين بشاعرهم نيكانور بارا، الذي بلغ المئة من عمره في الخامس من سبتمبر الماضي، وهو المولود في عام ١٩١٤م. وقالت الصحيفة: «مع أنه لا يحبّ مراسم التكريم، لم يتمكن الكاتب التشيلي نيكانور بارا -رائد القصيدة المضادة- من تجنّب وابل الإعجاب والعواطف الذي انهال عليه من كلّ أرجاء البلاد، وعلى رأسها ميشال باشليه؛ بمناسبة بلوغه المائة. فمن قصر مونيدا قرأت الرئيسة الاشتراكية (الرجل الوهمي يعيش في قصر وهمي، محاطاً بأشجار وهمية، على ضفة نهر وهمي)، مع آلاف التشيليين الذين جَرَتْ دعوتهم إلى قراءة هذه القصيدة الشهيرة لنيكانور بارا عند الظهر -موعد ولادته- في مراكز عملهم، وفي المدرسة، أو في المنزل».

وأثار بلوغ نيكانور بارا، الذي يعيش في عزلة تامة في مدينة لاس كروسيس الساحلية بوسط البلاد، عامه المئة حماسةً كبيرةً عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وبُثّت قراءات مسجّلة لقصيدة (الرجل الوهمي) على يوتيوب. ويُقام معرض صور التقط بعضها كبار المصوّرين التشيليين، مثل سيرخيو لارين، في مركز غابرييلا ميسترال الثقافي في سانتياجو. ويضم المعرض كذلك صوراً عائلية عُثر عليها بأعجوبة في حقيبة قديمة بعد وقوع زلزال، وهي تستعيد أبرز سنوات نيكانور بارا.

كُرِّم نيكانور بارا بعدد من الجوائز في بلاده، كما فاز كذلك بجائزة ثيرفانتس الإسبانية في عام ٢٠١١م، ويتمتّع الشاعر الذي يعيش في عزلة منذ سنوات طويلة بذاكرة قوية، ونشاط واضح.



عمره أكثر من ١٥٠ عاماً

إعادة افتتاح المتحف الوطني الإسباني

عاد متحف الآثار الوطني الإسباني إلى استقبال روّاده من الإسبان والسياح الأجانب؛ ليتمتّعوا بما تشتمل عليه قاعاته الأربعون من قطع أثرية تبلغ ١٣ ألف قطعة تنتمي إلى عصور مختلفة. ويشمل قسم تاريخ الأندلس قطعاً تعود إلى تلك الحقبة التي شهدت ازدهاراً كبيراً، وهو يفصح عن الأثر العميق لفنون الحضارة الإسلامية وعلومها، التي ظلّت باقيةً إلى ما بعد انتهاء الحكم الإسلامي.

ومن ضمن أقسام المتحف قسم خاصّ بحضارات مصر والشرق الأوسط، الذي اشتمل على مجموعة من القطع الأثرية الخاصة بالشرق الأوسط التي كانت في المخازن، وتمّ تخصيص إحدى كبريات القاعات لها، تتضمن كثيراً من المعلومات عنها، وعن كيفية العثور عليها. وتتضمن القاعة وسائل سمعية وبصرية حديثة، ونماذج مصغرة (ماكيتات)؛ لإبراز قيمة حضارات الشرق القديم العظيمة، وحقيقتها الأصيلة، وأبعادها.

وكان مصدر الحصول على معظم تلك المقتنيات مواطنون إسبان عاشوا في الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، كان منهم الدبلوماسيون والرهبان والرحّالون، الذين أهدوها المتحف الوطني الذي يكاد يبلغ الآن ١٥٠ عاماً من العمر.

وأوضحت كارمن بيريث -رئيسة الأمناء ومرمّمي الآثار بقسم مصر والشرق القديم بالمتحف الوطني لـ(الجزيرة نت)- أن هناك مجموعةً من المقتنيات قام عالم الآثار الإسباني الراحل خوليو مارتينيث سانتا أولايا بالحصول عليها من متحف بغداد عبر تبادل قطع أثرية إسبانية بقطع شرقية، وأكدت أن جميع القطع الموجودة في المتحف الوطني الإسباني تمّ الحصول عليها بوسائل قانونية، ولا يُسمح بدخول أيّ قطعة مشكوك في طريقة الحصول عليها، وأن إسبانيا عضو في المجلس الدولي للمتاحف، الذي قرّر حظر شراء قطع أثرية بطرائق غير قانونية، والإبلاغ عن أيّ عملية من هذا النوع، وإدانتها دولياً.

تضامن جزائري

لفتح مكتبات فلسطين

بادرت النقابة الوطنية لناشري الكتب في الجزائر بإطلاق حملة لجمع الكتب عبر كل الولايات الجزائرية في إطار الأعمال التضامنية مع الشعب الفلسطيني.

وتحمل الحملة عنوان «كتاب ضد العدوان الإسرائيلي في فلسطين»، وتهدف إلى جمع أكبر عدد من الكتب لدى الناشرين والمواطنين؛ لأن العلم والمعرفة والثقافة مكتسبات لا يمكن لأيّ مستعمر مهما كانت قوته أن ينتزعها من شعب ما.

وتم إرسال الكتب إلى فلسطين للمساهمة في إعادة فتح المكتبات المدمرة من جراء العدوان الإسرائيلي؛ وذلك عن طريق الهلال الأحمر الجزائري بالتعاون مع سفارة فلسطين في الجزائر.

وأعربت رئيسة الهلال الأحمر الجزائري سعيدة بن حبيلس عن أملها في أن تتكرّر مبادرة النقابة الوطنية لناشري الكتب؛ لأن الشعب الفلسطيني بحاجة إلى مثل هذه المساعدات.

وقد أشاد لؤي عيسى -سفير دولة فلسطين في الجزائر- بهذه المبادرة التضامنية التي تكتسب أهميةً بالغة، وتأتي استكمالا للتضامن الجزائري على المستوى المؤسساتي والمجتمع المدني، مؤكدا أن هذه الحملة التي سيكون لها صدى كبير في فلسطين تمثّل أحد الأشكال الإستراتيجية للكفاح ضد العدوان الصهيوني.



أسهم في عولمة القضية الفلسطينية

رحيل شاعر الثورة سميح القاسم

توفِّي الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بعد صراع مع مرض سرطان الكبد الذي دهمه مدة ٣ سنوات، والذي أدى إلى تدهور حالته الصحية في الأيام الأخيرة، إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء ٢٣ شوال سنة ١٤٣٥هـ/ ١٩ أغسطس ٢٠١٤م.

والراحل أحد أهم الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين وأشهرهم، الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي عام ١٩٤٨م، وكان مؤسساً لصحيفة كل العرب، ورئيس تحريرها الفخري، وكان عضواً سابقاً في الحزب الشيوعي.

وُلد لعائلة درزية في مدينة الزرقاء في يوم ١١ مايو ١٩٣٩م، وتعلّم في مدارس الرامة والناصرة، ودرّس في إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي.

تعرّض للسجن مرات كثيرة، ووُضِعَ رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي، وطُرِدَ من عمله عدة مرات؛ بسبب نشاطه الشعري والسياسي، وواجه تهديدات بالقتل في الوطن وخارجه.

يتركّز شعره في الكفاح والمعاناة الفلسطينيين، كما كتب عدداً من الروايات، واهتم أيضاً بإنشاء مسرح فلسطيني له رسالته وأثره.

أسهمَ في تحرير «الغد» و«الاتحاد»، ثم رأس تحرير صحيفة «هذا العالم» في عام ١٩٦٦م، ثُمّ عاد إلى العمل مُحرراً أدبياً في «الاتحاد»، وأميناً عاماً لتحرير «الجديد»، ثمّ رئيساً لتحريرها، وأسّس منشورات «عربسك» في حيفا مع الكاتب عصام خوري في عام ١٩٧٣م، وأدارَ فيما بعد «المؤسسة الشعبية للفنون» في حيفا.

رَأَسَ اتحاد الكتاب العرب، والاتحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين في فلسطين منذ تأسيسهما. ورأس تحرير الفصلية الثقافية «إضاءات»، التي أصدرها بالتعاون مع الكاتب الدكتور نبيه القاسم. وتولّى منصب رئيس التحرير الفخري لصحيفة «كل العرب» الصادرة في الناصرة.

صَدَرَ له أكثر من ٦٠ كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصدرتْ أعماله في سبعة مجلّدات عن عدة دور نشر في القدس وبيروت والقاهرة.

تُرجِمَ عددٌ كبير من قصائده إلى الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والروسية، والألمانية، واليابانية، والإسبانية، واليونانية، والإيطالية، والتشيكية، والفيتنامية، والفارسية، والعبرية، واللغات الأخرى.



شاورما

رواية ترسم المشهد السوداني

صدر للروائي السوداني عماد البليك رواية «شاورما» عن «دار مومنت» بالمملكة المتحدة، وهي ترسم المشهد السياسي والاجتماعي في السودان على مدى ثلاث حقب تاريخية.

وتتناول الرواية العهد المايوي، وحقبة الديمقراطية الثالثة، ثم حقبة الإنقاذ الحالية، وتوضّح التحولات التي لازمت هذه العهود. وأوضح الكاتب عماد البليك -حسب جزيرة نت- أنه اكتشف وهو يكتب أنه كان يسجّل ثلاث حقب من تاريخ السودان والأوجاع المستمرة والأنين، وتناول سردياً تفكّك المفاهيم الاجتماعية التقليدية ونهاية الأسرة، وفي أثناء ذلك كان يحاول الإجابة عن السؤال الذي يهمّه كإنسان يبحث عن مستقبل أفضل لبلده.

جيم كريس وهيرمايوني لي

يفوزان بأقدم جائزة أدبية بريطانية

في إطار فعاليات المهرجان الدولي للكتاب في أدنبرة، حصل الصحفي والمذيع السابق جيم كريس على جائزة الرواية لهذا العام عن كتابه حصاد Harvest. وللكاتب البريطاني المولد ١٢ كتابا نالت جوائز مرموقة، من بينها جائزة دونالد ويندام-ساندي إم كامبل الأدبية من جامعة ييل. وتدور أحداث الرواية في قرية إنجليزية نائية، حيث يمزق التقدّم الاقتصادي طبيعة الحياة الرعوية المسترخية بعد إصدار قوانين تحديد ملكية الأراضي.

وحصلت الأكاديمية، والناقدة، وكاتبة السير الذاتية هيرمايوني لي على جائزة السيرة الذاتية عن كتابها بينيلوبي فيتزجيرالد، حياة. وقد كتبت من قبل أعمالا كثيرة عن الكاتبات، ومن بينهن فيرجينيا وولف، وأديث وارتون.

ويذكر أن عملية الاختيار تتضمن سنويا قراءة أكثر من ٤٠٠ رواية، ودراستها على أيدي أكاديميين وطلاب دراسات عليا، يرشحون بعدها الكتب التي يقع عليها الاختيار لتتضمنها القائمة القصيرة للجائزة

وينظّم حفل توزيع الجوائز قسم الأدب واللغات والثقافة بجامعة أدنبرة الذي أسسته جانيت كوتس أرملة الناشر جيمس بلاك.

يوميات صحفي

عن عمله مع بلير

أصدر أليستر كامبل -المدير الإعلامي لتوني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق- كتاباً بعنوان: (سنوات بلير)، يعرض فيه مقتطفات من يومياته وذكرياته عن المدة التي عمل خلالها مع توني بلير في ١٠ داونينج ستريت. وقد مكث كامبل مع بلير ١٢ عاماً منذ انتخاب الأخير زعيماً لحزب العمال في انتخابات عام ١٩٩٤م. وبقي بجانبه بعد توليه رئاسة الوزراء، وعمل مدير اتصالات إستراتيجي، وكان يُوصف بالمساعد السياسي للحكومة البريطانية.

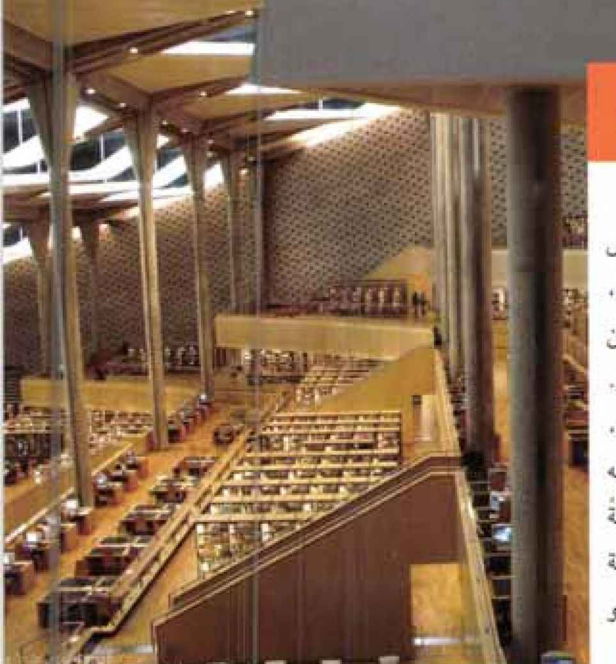
وعن لقائه الأول مع بلير، قال كامبل: إنه كان على رصيف محطة مترو أنفاق لندن عام ١٩٩٤م، وكان زعيم حزب العمال وقتها يرتدي (بنطال جينز، وتي شيرت)، وطلب من كامبل أن يكون مستشاره الإعلامي، قائلاً: إنه وكامبل سيتمكّنان من إحداث تغيير سياسي كبير في بريطانيا والعالم. ويوضح الكتاب أسلوب رئيس الوزراء السابق في التعامل مع الأزمات الدولية التي شهدها العالم خلال مدة تولّيه السلطة، مؤكداً أنه كان يسيطر على السياسة البريطانية خلال وجوده في السلطة، كما كشف كثيراً من الأسرار خلال السنوات التي أمضاها في داونينج ستريت. ويبدو أن كامبل أراد أن يشير إلى أن محتوى كتابه يمثّل جزءاً بسيطاً مما لديه، مشيراً إلى أن الكتاب يحتوي على ٢/٥ مليوني كلمة، وهي تمثّل فقط سدس ما سجّله من يوميات خلال سنوات عمله مع بلير.

ومن الجوانب التي ركّز فيها الكتاب موقف بلير من غزو العراق؛ فكشف كامبل عن كثير من الأسرار، وقصص (الشك والتردد) فيما يتعلق بتلك المدة. وعبّر عن عدم قناعته بجدوى الحرب، وأنه كان يرى أن بلير يغامر بمستقبله السياسي، وعندما سأله: هل هذا يستحق؟ أجابه بلير: ما يستحق هو أن تفعل دائماً ما تراه صحيحاً.

جمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية

تعقد اجتماعها السنوي في أكتوبر المقبل

تعقد جمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية الدولية اجتماعها السنوي في المدة من ١٩ إلى ٢١ أكتوبر ٢٠١٤م. وتحتفل الجمعية هذا العام مع المكتبة بإنجازاتها السابقة بحضور أول عرض لمركز القبة السماوية العلمي، واحتفال قطاع المكتبات بانتهاء مشروع (تدريب أمناء المكتبة الفرانكفونية) تحت رعاية مؤسسة ساويرس وأصدقاء المكتبة الفرنسيين، والاحتفال بمشروع مكتبة المخطوطات بالتعاون مع اليونسكو. ويشارك أصدقاء المكتبة الدوليون في الاحتفالية بتقديم عرض مسرحي للعرائس بعنوان (حياة الإسكندر الأكبر) من المكسيك، ومحاضرة عن عملات الإسكندرية القديمة من النرويج، ومحاضرة وعرض فلم من اليونان. وتُقام على هامش الاجتماع عدة أنشطة فنية، منها (سوق المهن المصرية)، الذي ينظّمه مركز الأنشطة الفرانكفونية في البلازا، إضافة إلى حفل لمغنٍّ يوناني شهير تنظّمه القنصلية اليونانية في الإسكندرية، وحفل لعازف البيانو العالمي رمزي ياسا.

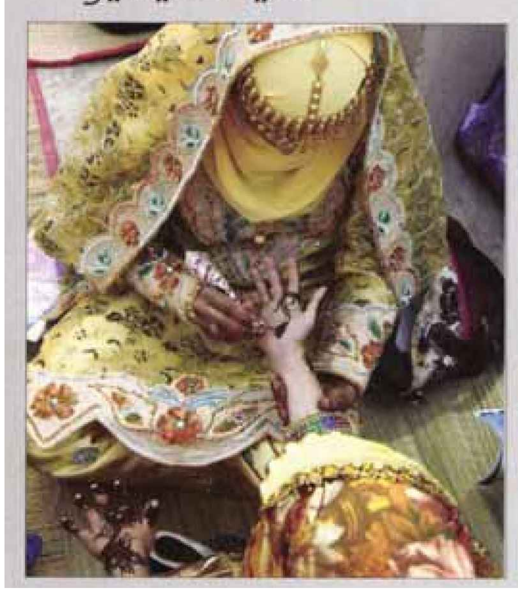


طنجة تحتفي بالمسرح في الهواء الطلق

تحتضن مدينة طنجة المغربية فعاليات الدورة الثالثة لمهرجان طنجة الدولي للمسرح، بمشاركة أكثر من ٢٠ فرقة مسرحية، تنتمي إلى ١٤ دولة عربية وأجنبية، وذلك في المدة من ١-٤ من المحرم سنة ١٤٣٥هـ ٢٤-٢٨ أكتوبر ٢٠١٤م. وتفتتح الدورة فعالياتها بتكريم وجهين مسرحيين بارزين ينتميان إلى تجربتين مسرحيتين مختلفتين، أولهما المسرحي المغربي الشهير عبدالكريم برشيد، الذي وظّف في مسرحياته؛ كـ«الحكواتي الأخير»، و«امرؤ القيس في باريس»، و«عطيل والخيل والبارود»، التراث العربي القديم، فجاءت أعماله بطابع احتفالي ميّزها من سائر الأعمال المسرحية في العالم العربي. كما يحتفي المهرجان بالمسرحي، والممثّل الفرنسي المعروف، رومان بوتاي، أحد مؤسّسي مسرح «مقهى المحطة»، وهو مسرح شعبي ذو طابع كوميدي، يحظى بجماهيرية واسعة. وقدّم بوتاي أكثر من ٣٠ عملاً مسرحياً في فرنسا. ويشهد افتتاح عروض المهرجان تقديم المسرحية الفرنسية (أونديلوت تورس) لن تكون هنا لرومان بوتاي، وتؤدي فيها الممثلة المسرحية الفرنسية ذات الأصول المغربية سعيدة شورجيل عرضاً كوميدياً ساخراً ينتقد بعض العقليات السائدة في المجتمع الفرنسي.

وتُقام خلال حفل افتتاح المهرجان عروض مسرحية راقصة على إيقاعات الموسيقا في حديقة القصر التاريخي «قصر مولاي عبدالحفيظ». وتنفتح هذه الدورة على مدارس وتجارب مسرحية متنوعة، ويسعى القائمون عليها إلى أن يتفاعل الجمهور مع فعالياته من خلال تقديم عروض مسرحية في الشارع وعلى خشبات الهواء الطلق. وتتخلّى ساحات مدينة طنجة عن أسمائها المألوفة؛ لتستعير أسماء روّاد مسرحيين يحتفي بهم المهرجان؛ إذ تحمل ثلاث ساحات شهيرة بالمدينة أسماء كلٍّ من: المسرحي المغربي عبدالكريم برشيد، والمسرحي الفرنسي رومان بوتاي، والمسرحي المغربي الطيب الصديقي، وتحتضن عروضاً مسرحية تُقدّم في الهواء الطلق.

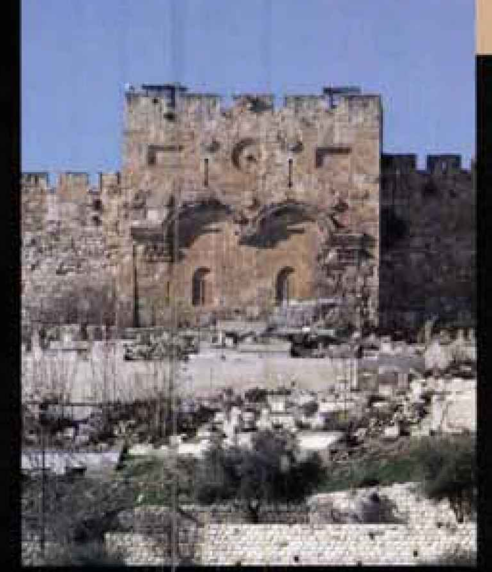
انطلاق مهرجان مسقط المقبل في ١٥ يناير



ينطلق مهرجان مسقط ٢٠١٥م في ١٥ يناير ٢٠١٥م، ويستمر إلى ١٤ فبراير؛ لتتزامن إقامة المهرجان مع إجازات المؤسسات التعليمية. وسيقام المهرجان في حديقة العامرات العامة، وحديقة النسيم العامة، وفي عدد من المواقع الأخرى التي ستحتضن الفعاليات. ومن أهم الفعاليات التي تشهدها الدورة المقبلة للمهرجان: القرية التراثية بمختلف بيئاتها ومعارضها، والمعرض الدولي للحرف والفنون التقليدية، وفعاليات عروض الإبهار والليزر، وعروض السيرك والساحات والفعاليات المتنوّعة المخصّصة للأسرة والطفل، والمعارض الاستهلاكية والتجارية، وأجنحة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، والأمسيات الثقافية والفكرية، وطواف عمان في دورته السادسة، والفعاليات الرياضية، والحفلات الغنائية، والمسرحيات، والمعارض الفنية والمتخصّصة، ومشاركات الجهات الحكومية والخاصة، والمسابقات المتنوعة التي ستقام خلال مدة المهرجان. ويعدّ مهرجان مسقط من التظاهرات الاجتماعية والسياحية والثقافية والترفيهية التي تمثّل عنصراً مهماً للجذب السياحي على الخريطة العربية والدولية، ويحظى بحضور كبير من العُمانيين وغيرهم.

باب الرحمة في بيت المقدس

على سطحه صنّف الغزالي كتاب «إحياء علوم الدين»



يقع باب الرحمة المُغلق في السور الشرقي للمسجد الأقصى المبارك، الذي يشكّل جزءاً من سور بيت المقدس أيضاً، وهو أقدم أبواب المدينة القائمة حالياً؛ فثمة آثار تدلّ على باب سبق تشييده في الموقع في القرن الأول قبل الميلاد. أما أبواب المدينة السبعة الأخرى، فقد شيّد العثمانيون ستةً منها أواسط القرن العاشر الهجري، وهي: باب العامود، وباب الساهرة، وباب الأسباط، وباب المغاربة، وباب النبي داود، وباب الخليل، بينما فتحوا سابعها أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وهو الباب الجديد. ومما يؤكّد أن باب الرحمة هو أقدم أبواب المدينة ظهوره في خريطة مادبا، وهي أقدم خريطة للقدس؛ إذ اكتُشفت خلال حفريات أُجريت سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م في أرضية كنيسة بُنيت في القرن السادس الميلادي في مدينة مادبا شرق الأردن.

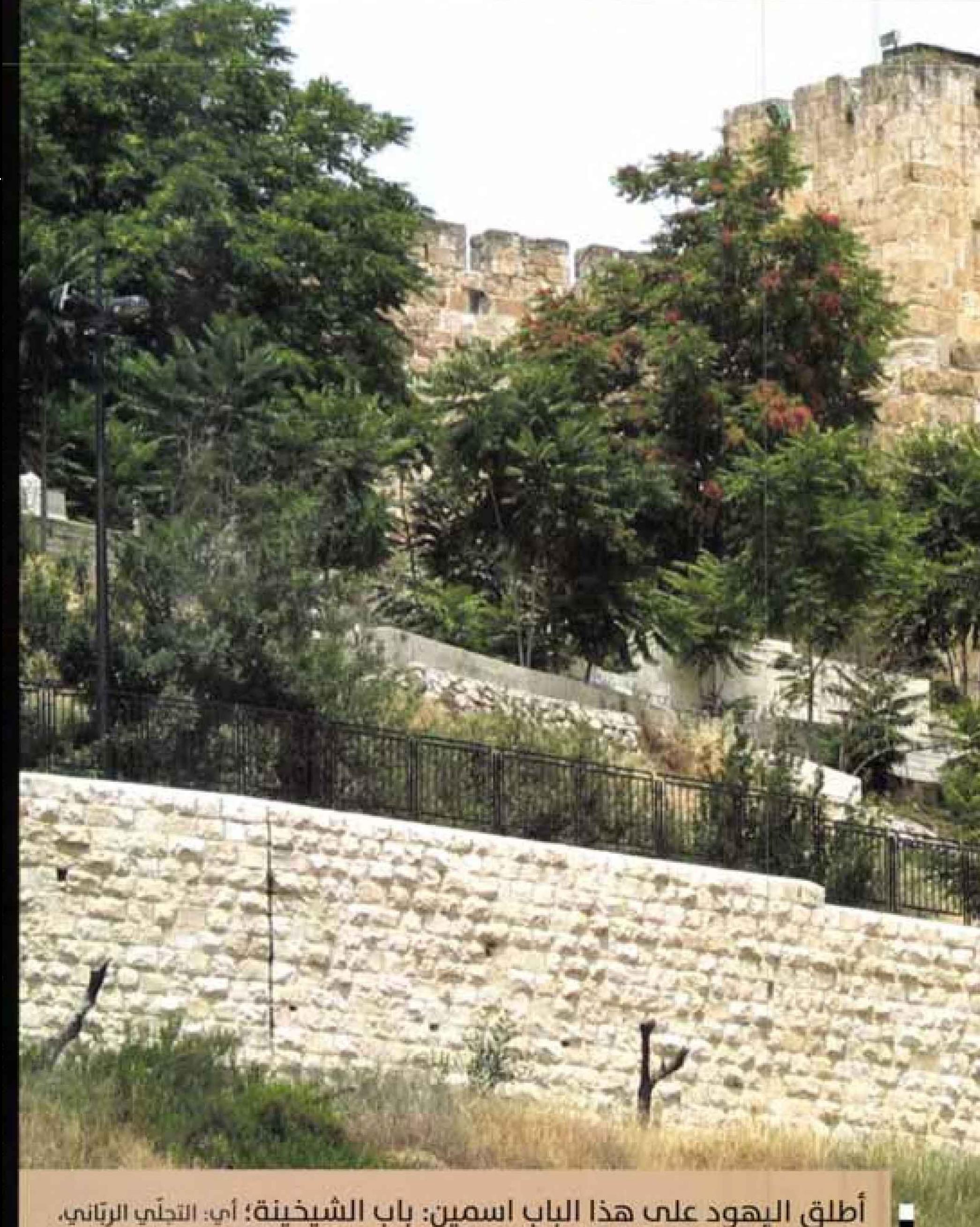
تسمية الباب وتصميمه

أطلق اليهود على هذا الباب اسمين: باب الشيخينة Sheshinah، أي: التجلي الرباني، وباب الرحمة Rachamim. بينما أطلق عليه النصارى: الباب الذهبي، وهم يعتقدون أن والدي السيدة مريم العذراء -عليها السلام- كانا يلتقيان عنده، وأن المسيح عليه السلام دخل منه يوم أحد الشعانين. أما المسلمون فقد أطلقوا عليه باب الرحمة، كما أسموا مقبرة ظاهرة، وأطلقوا عليها مقبرة باب الرحمة.

ويرى بعض الباحثين أن المسلمين أطلقوا باب الرحمة على القوس الجنوبي، وباب التوبة على القوس الشمالي الظاهرين في الواجهة الخارجية الشرقية، لكنني عثرت على عدة حجج في سجلات المحكمة تتعلق بتعيين قضاة القدس خلال العهد العثماني بوابين لبابي الرحمة والتوبة يشرفون على فتحهما وإغلاقهما، وهذا الأمر يدل بالتأكيد على أن المقصود هنا بابا المبنى الواقعان في الجهة الغربية، وهو ما يعني أن باب الرحمة أطلق على البابين الجنوبيين: الشرقي المغلق، والغربي المفتوح، وباب التوبة أطلق على البابين الشماليين: الشرقي المغلق، والغربي المفتوح.

ومن جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى أن فاغنر وديبيس Wagner & Debes أصدرا خريطة لمدينة القدس سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وأطلقا على هذا الباب: باب الظاهرية بأحرف لاتينية، ولا أدري من أين أتيا بهذه التسمية، فالظاهرية هو أحد أبواب دمشق، ولعلهما أرادا بذلك باب الدهرية، أي: Gate of Eternal Life، وهي تسمية يزعم غربيون أن العرب أطلقوها على هذا الباب، لكنني لم أعثر عليها في مصادر عربية.

ولأن الباب الخارجي يتكون من قوسين متلاصقين، وبملاحظة ركوبهما وارتكازهما على حجارة عادية، ولا يفصل بينهما عمود في الوسط، فقد يدل ذلك على أن الباب شُيِّد ابتداءً ليكون مغلقاً، ولم يتم إغلاقه في وقت لاحق، وإذا كان الباب مفتوحاً بالفعل تحت القوسين فربما تمّ إخفاء العمود المفترض خلف الحجارة الوسطى التي تم بناؤها لاحقاً. وتدل مساحة المبنى على أنه لم يكن مجرد معبر إلى المدينة، ولعله استخدم لأهداف دينية أو إدارية قبل



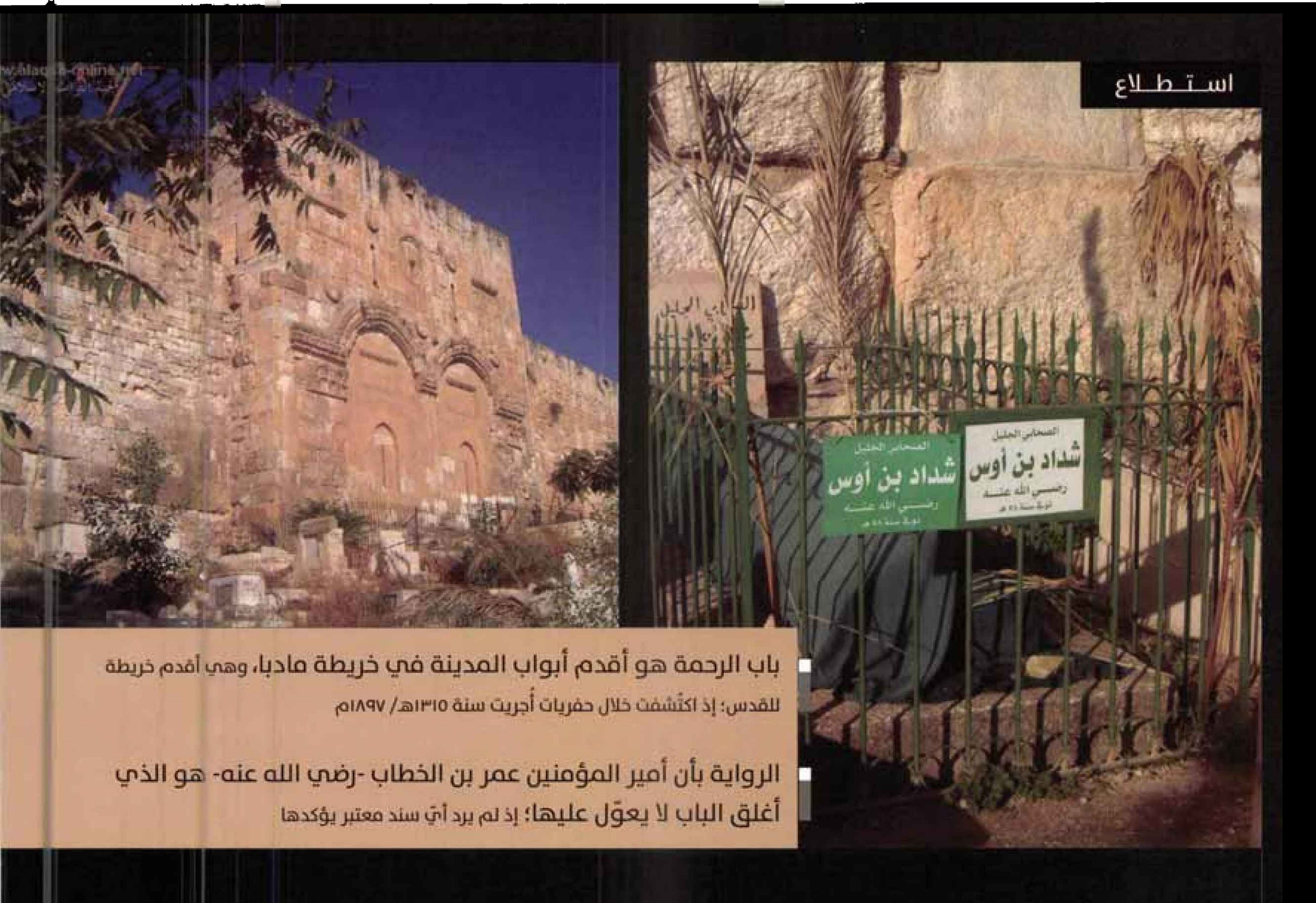
أطلق اليهود على هذا الباب اسمين: باب الشيخينة؛ أي: التجلّي الربّاني، وباب الرحمة، بينما أطلق عليه النصارى: الباب الذهبي

حجج وحقائق

خلال دراستي سجلات محكمة بيت المقدس، عثرتُ على حُجّة تفيد بأن محمد أفندي -قاضي القدس- أذن في أوائل صفر سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م «لمولانا سيّد السادات، منبع العز والسعادات، العارف بالله، والدالّ عليه، السيد حسين البخاري، المجاور بزاوية شيخ الإسلام الشيخ محمد الغزالي، الكائنة بالمسجد الأقصى الشريف، عُلوي باب الرحمة» بأن يبني إيوانين بالطين والحجر مكان الغرفة الخشبية «التي هناك، الراكبة على باب الرحمة، الموضوعة بالخشب لأجل منع دلف المطر والحر، ويكون ذلك من ماله متبرّعاً»[1]. ويُستدلّ من حُجج لاحقة أن أحمد باشا -والي الشام- وقف وقفاً على تلك الزاوية سنة ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م، وشرَطَ أن يُقيم بها أحد أتباع الطريقة المولوية، وكانت مقراً للدرويش أحمد البوصنوي المولوي سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م[2]. وقد تمّ مؤخراً إنشاء (مصطبة الغزالي) جنوب غرب باب الرحمة تخليداً لذكراه.

(١) سجلات محكمة القدس الشرعية، ٧٢: ٤٥٣، أوائل صفر سنة ١٠٠٠هـ.

(٢) سجلات محكمة القدس الشرعية، ١٨٨: ١١٦، أواخر ذي القعدة سنة ١٠٩٨هـ.



باب الرحمة هو أقدم أبواب المدينة في خريطة مادبا، وهي أقدم خريطة للقدس؛ إذ اكتُشفت خلال حفريات أجريت سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م

الرواية بأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هو الذي أغلق الباب لا يعوّل عليها؛ إذ لم يرد أيّ سند معتبر يؤكدها

الفتح العُمري. ويُذكر أن ابن فضل الله العمري (تُوفّي ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أطلق على هذا المبنى (مسجد باب الرحمة)، ووصفه فقال: «وهو معقود بالحجر المنحوت: ستّ قباب، اثنتان مرتفعتان، وأربع منبسطة على عمودي صوّان أبيضين في الوسط... وهذا المسجد مُتّخَذ باطن البابين المُسَمَّيين بباب الرحمة... قيل: إنهما من بقايا العمائر السليمانية»[1]. وتوضّح إحدى الصور التي رسمها جوليه غاليلدرو (تُوفّي سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، وهوبيرت كليغارت (تُوفّي سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، وصْف العمري لتلك القباب؛ إذ تنير أشعة الشمس داخل المبنى عبر القبتين المرتفعتين.

ويبدو أن مجير الدين الحنبلي (تُوفّي سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) نقل عن العمري وصف المبنى بالسليماني، فقال: «وعليهما من داخل المسجد مكان معقود بالبناء السليماني، ولم يبق في المسجد من البناء السليماني سوى هذا المكان، وهو مقصود للزيارة، وعليه الأبهة والوقار

والأقرب إلى الصواب أن الباب والمبنى شُيِّدا في القرن السادس الميلادي على أنقاض باب كان قائماً قبل عهد المسيح عليه السلام حسبما تشير أعمدته وعقوده البيزنطية. وهناك نظرية أخرى يميل إليها بعض الآثاريين، وهي أن الأمويين وظّفوا مهندسين بيزنطيين لتشييده في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، مع الحفاظ على ملامح العمارة الأموية الظاهرة على أبواب المسجد الأقصى الشمالية أيضاً.

معتقدات حول إغلاق الباب

ابتدع أتباع الديانات السماوية الثلاث كثيراً من المعتقدات والأساطير حول إغلاق هذا الباب؛ فاليهود يعتقدون أن المسيح -عليه السلام- سيدخل المدينة عبر هذا الباب عند ظهوره في آخر الزمان. وتزعم مختلف الأدبيات الغربية المسيحية أن الباب بقي مفتوحاً إلى عهد السلطان سليمان القانوني، وأنه أمر بإغلاقه سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م بعدما أن اليهود يعتقدون أن المسيح -عليه السلام- سيمرّ عبره، فأغلقه السلطان ليمنعه من دخول الباب. وبداهةً لا تصحّ نسبة ذلك إلى مثل هذا السلطان العظيم.

ومن جهة أخرى، ورد أن الباب كان مغلقاً قبل العهد العثماني؛ إذ ذكر ابن فضل الله العمري عند حديثه عن بابي الرحمة والتوبة أنهما «بابان قديمان قد سُدّا، وقد سُمّر وأُحكم غلقهما... ويقال: إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- غلقهما لما فتح القدس، ولم يُفتحا إلى الآن»[2].

كما ذكر ذلك مجير الدين الحنبلي أيضاً، فقال: «وأما أبواب المسجد، فأوّلها بابان متّحدان في السور الشرقي، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣)، فإن الوادي الذي وراءه وادي جهنم، وهما من داخل الحائط مما يلي المسجد، أحدهما يسمى باب الرحمة، والثاني يسمى باب التوبة، وهما الآن مغلقان... وقد أخبرت قديماً عن شخص من القضاة أن الذي أغلقهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

المدرسة النصرية والزاوية الغزالية

في غرفة على سطح هذا المبنى أقام الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي الشافعي (تُوفّي سنة ٤٩٠هـ/ ١١٩٦م) أواسط القرن الخامس الهجري، فأُطلق عليها المدرسة النصرية أو الناصرية[٦].



استخدام المبنى في هذا العصر

اتُّخذ المبنى مقراً لمكتبة كلية الدعوة وأصول الدين مدةً وجيزةً،

ثم تحوّل إلى مقرّ للجنة التراث الإسلامي سنة ١٤١٢- ١٤٢٤هـ/١٩٩٢-٢٠٠٣م، وهي جمعية تهدف إلى المحافظة على التراث الإسلامي والآثار الإسلامية في القدس. ثم اتُّخذ شطرٌ منه مقراً لمديرية الحج والعمرة، والشطر الآخر مقراً للجنة زكاة القدس المركزية، وما زالا كذلك حتى الآن. وفي جمادى الأولى سنة ١٤٣٣هـ/ إبريل ٢٠١٢م أعلنت الحكومة الأردنية عن تأسيس (كرسي الإمام الغزالي للدراسات الإسلامية) في المبنى خلال زيارة الدكتور علي جمعة -مفتي مصر السابق- برفقة الأمير غازي بن محمد -مستشار العاهل الأردني للشؤون الدينية، ورئيس مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي- المسجد الأقصى.

الهوامش والمراجع

(١) ورد ذكر المدرسة الدهرية في سجلّ أراضي القدس المحفوظ في إسطنبول، ولا يُعرف عنها شيء سوى أن نصف قرية بيت ساحور الوادي كان موقوفاً عليها. انظر: محمد أبشرلي، ومحمود التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٩٨٢م، ص٢٣. وقد يكون هذا الاسم تحريفاً لاسم مدرسة أخرى؛ إذ يزخر الكتاب المذكور بالأخطاء؛ بسبب غموض خطوط كُتّاب الأوقاف في القرن العاشر الهجري.

(٢) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤م، ١: ١٥٤.

(٣) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣م، ٢: ٢٧.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١: ١٥٤.

(٥) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢: ٢٧.

(٦) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ١: ٢٩٧، ٢٩٨.

(٧) كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، بدعم من الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨١م، ص٩٦.

(٨) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢: ٢٨، ٣٤.

(٩) كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص٩٨.

(١٠) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢: ٢٨، ٣٤.

(١١) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢: ٢٨، ٣٤.

مفردات الأطعمة في اللغة العربية

اللغة العربية ذات قدرة خصبة في التعبير عن كلّ جوانب الفعاليات الإنسانية التي تتعلق بالإنسان والزمان والمكان، بل هي تعبير عن الفكر والأخلاق والعادات، وعلاقة ذلك بالأشياء في شبكة متواشجة مع أخصّ خصوصيات الفرد، خصوصاً في مأكله ومشربه وملبسه، وطريقة معاشه على امتداد حياته، واختلاف بيئاته التي انتقلت من البساطة الساذجة إلى التعقيد المُفرط.



الانسجام مع البداوة

لقد حملت اللغة العربية دلالات متعددة لأطعمة كثيرة عرفها العرب عبر التاريخ، كان أكثرها بسيطاً أقرب إلى الفطرة، وبعيداً من التعقيد، منسجماً مع حياة البداوة التي تتّسم بالتنقل وعدم الاستقرار. ومن أسماء الأطعمة البسيطة التي لا تحتاج إلى كثير من المعالجة والتحضير والطباخة قولهم: (اللُّمْزة)، وهي الخبز يكسر على السمن. و(الأطرية)، وهي طعام كالخيوط من الدقيق. و(الربيكة)، وتتألف من بر وتمر يُعجنان بسمن. و(الجريش)، وهو دقيق مجروش يوضع في قدر، ويُلقى عليه اللحم أو التمر، ثم يطبخ طبخاً بسيطاً. ومن مفردات الأطعمة أيضاً: (الرغيدة)، وتتألف من لبن حليب يُغلى ثم يذرّ عليه الدقيق حتى يغلظ فيلعق لعقاً. و(الحريرة)، وهي حساء من الدسم والدقيق. ومنها أيضاً (العكيس)، وهو طعام قوامه الدقيق، يصبّ عليه الماء، ثم يشرب، قال الشاعر منظور الأسدي، وهو من أهل الكوفة، ومن شرطة الحجاج:

ولما سقيناها العكيس تمذحت ... خواصرها وازداد رشحاً وريدها

وتمذحت بمعنى: انتفخت؛ بسبب هذا الطعام.

ومنها: (الحيس)، وهو طعام يتّخذ من التمر والسمن واللبن المجفّف، وحاس الحيس: اتخذه. ويقال: إن أول من حاس الحيس هو سويد بن هرمي: أحد أشراف مخزوم، وهو حيّ من قريش، قال الشاعر:

وإذا تكون شديدةٌ أُدعى لها
وإذا يُحاس الحيس يُدعى جندبٌ

ومنها: (العكة)، وهو طعام يتّخذ من دقيق يُعجن بسمن ثم يُشوى. و(الوشيقة)، وهو من اللحم يُغلى إغلاءةً ثم يرفع. و(البسيسة)، وهي كلّ طعام خُلط فيه صنفان أو أكثر؛ مثل: السويق، يُخلط بالأقط؛ أي: اللبن الرائب. ومنها أيضاً: (العبيثة) وهو، اسم طعام يُطبخ ويجعل فيه جراد. و(البغيث) (العليث)، وهو الطعام المخلوط بالشعير. و(البكيلة) و(البكالة)، وهو الدقيق يخلط بالسويق، ثم يبلّ بماء أو سمن أو زيت. والسويق هو الناعم من دقيق الحنطة والشعير. ومنها كذلك: (القريفة)، وهو طعام يُعمل من اللبن. و(المضيرة)، وهي من اللبن أيضاً، لكن سُمّيت بذلك لأنها تُطبخ باللبن الماضر، وهو الحامض. و(الرغيدة) و(الرهيدة) و(القصيدة)، وهي أطعمة تُصنع من اللبن والدقيق فقط.

فـي معجم اللغـة العربية، وفي الميراث الذهني، تكمـن خصوبة هذه اللغة، وقدرتها المتألقة على التعبير عن أطعمة العرب، ومدى انسـجام ما يأكلونه مع ظروف حياتهم، وطبقات مجتمعهم. وتشير هذه المفردات المدونة في المعجمات، وفـي كتـب اللغة والطب والاجتمـاع، إلى ما يمتلكه العربـي من ثروة لفظية ما زلنا نسـتعمل بعضها، بينما أصبح أكثرها طيّ النسيان، وهذا الأمر يفرض علينا حماية اللغة العربية وتراثنا اللامادي؛ لئلا تفقد ثقافتنا حضورها وخصوصيتها في ظلّ العولمة المخيفة.



أطعمة تحتاج إلى المعالجة

أما الأطعمة التي كانت تحتاج إلى شيء من المعالجة والتحضير والطباخة البسيطة، فقد عُرف منها: (الكوثان)، وهو الأرز والسمك. و(الخزير)، وهو حساء من الدسم والدقيق. و(الخزيرة)، وهو طعام يُوضع في القدر، ويتألف من لحم يقطع صغاراً، فإذا نضج يذرّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي (عصيدة)، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم[1]. والخزيرة من



الأطعمة التي كانت تُعاب عند القبائل، ومنها قبيلة مجاشع بن دارم؛ فقد قال جرير:

وُضع الخزير فقيل: أين مجاشعٌ؟! فشحا جحافلَهُ هِجَفٌّ هِبْلَعُ

وشحا فمه: أي فتحه، والهجف: الجافي الثقيل الذي لا فائدة لديه، والهبلع: العظيم اللقم الأكول.

وأيضاً من الأطعمة التي يُذمُّ طاعمها عند العرب: (السخينة)، وهي دقيق يوضع فوق ماء أو لبن، ثم يُطبخ فيؤكل بتمر، وقد قال خداش بن زهير، وهو أحد فحول الشعراء الجاهليين:

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وقال عبدالله بن همام المريّ السلولي، وهو من أكابر الشعراء في العصر الأموي:

إذاً لضربتُهم حتى يعودوا بمكة يلعقون بها السخينا

والسخين: من أطعمة قبيلة قريش.

و(الثريد): كلمة مازالت تُستعمل إلى اليوم؛ فقد نُسب إلى هاشم بن عبد مناف أبي عبدالمطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو أول من ثرد الثريد، وهشم الخبز لقومه؛ أي: كسره، وقد مُدح بذلك في قول الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتُون عجافُ

أي أنهم رجال هزيلون مُجدبون.

والثريد: تجمع على ثرائد، وهي أيضاً الثريدة أو الثرودة، وتتألف من خبز

من الأطعمة التي يُذمُّ طاعمها عند العرب: (السخيفة)، وهي دقيق يوضع فوق ماء أو لبن، ثم يُطبخ فيؤكل بتمر

هناك أسماء لأطعمة خشنة ورد ذكرها وتعدادها في كتب اللغة المختلفة؛ كالمخصّص، وعيون الأخبار، والعقد الفريد، والبخلاء

ثراء وتنوع

مدّت اللغة العربية تراثنا بألفاظ ثرّة غنية للتعبير عن أنواع من الأطعمة تختلف باختلاف البيئة والظروف والطبقات الاجتماعية؛ فكان منها ما يُمدح، وآخر يُذمُّ تبعاً لعاداتهم وتقاليدهم. وقد وردت تلك المفردات في كتب الطب واللغة والأدب؛ إذ أفردت لها أبواب مخصوصة تصوّر لنا طعام العرب قبل الإسلام، وطريقة معالجته. وأختتم بهذا المقطع الذي ذكره الجاحظ في بخلائه على لسان أحد الأعراب، فقال: «أتينا ببرّ كأفواه النغران، فخبزنا منه خبزة زيت في النار، فجعل الجمر يتحدّر عنها تحدّر الحشو عن البطنان، ثم ثردنا، فجعلنا الثريد يجول في الإهالة جولان الضبعان، ثم أتانا بتمر كأعناق الورلان، يوحل فيه الضرس»(*).

(*) الجاحظ، البخلاء، ص١٦١.



يفتّ ويبلّ بمرق اللحم وغيره. وقد مدحوا الثريد على أنه طعام الأشراف عامة، ووصفوه في كثير من أشعارهم، فقد قال حسان بن ثابت:

ثريد كأن السمن في حجراته نجوم الثريا أو عيون الضياون

والضياون: جمع الضاوي، وهو النحيف الدقيق من الرجال.

كما قال الشاعر الراعي، وهو أبو جندل النميري، من شعراء العصر الأموي، يصف جفنة امتلأت بالثريد الدسم:

فبات يعدّ النجم من مستحيرة سريع على أيدي الرجال جمودها

والمستحيرة: هي الجفنة مُلئت دسماً وطعاماً.

وكان لقريش حساء في الجاهلية يُعرف باسم (السخينة) فسُمّيت به، قال حسان:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها وليغلبنّ مغالب الغلاب

كما عاب خداش بن زهير قريشاً لإدمانها طعام السخينة، فقال:

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرمُ

وقد تقدّم ذكر هذا البيت[١].

أطعمة خشنة

هناك أسماء لأطعمة خشنة ورد ذكرها وتعدادها في كتب اللغة المختلفة: كالمخصّص، وعيون الأخبار، والعقد الفريد، والبخلاء، وغيرها، منها: (الرثيئة)، وهي اللبن الحامض الحلو. و(الفث)، وهو نبت له حبّ أسود يؤكل في الجدب، ويكون خبزة غليظا كخبز الملة، و(الهبيد)، وهو حبّ الحنظل تأخذه الأعراب وهو يابس، وتنقعه في الماء عدة أيام، ثم يطبخ.

وقد تطوّرت أطعمة العرب على إثر احتكاكهم بالأمم الأخرى، فظهرت ألوان جديدة، منها: (الدرمك)، وهو من أنواع الطعام الذي يُقدّم إلى الأضياف. قال الشاعر:

فأطعمها شحماً ولحماً ودرمكاً ولم تثننا عنه الليالي الحنادسُ

والدرمك: نقي لباب الخبز. والليالي الحنادس: هي الشديدة الظلمة.

ومن أنواع الحلوى ما يُعرف باسم (الحُوّارى)، وهو لباب الدقيق الأبيض بالسمن والعسل، وفي ذلك يقول الشاعر المخضرم النمر بن تولب:

لها ما تشتهي عسل مصفّى وإن شاءت فحُوّارى بسمن

ومما أخذ عن الفارسية حلوى تُعرف بـ(الفالوذق)، أو (الفالوذج)، أو (السرطراط)، أو (السريط)، والكلمة فارسية الأصل تدلّ على نوع من الحلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل.

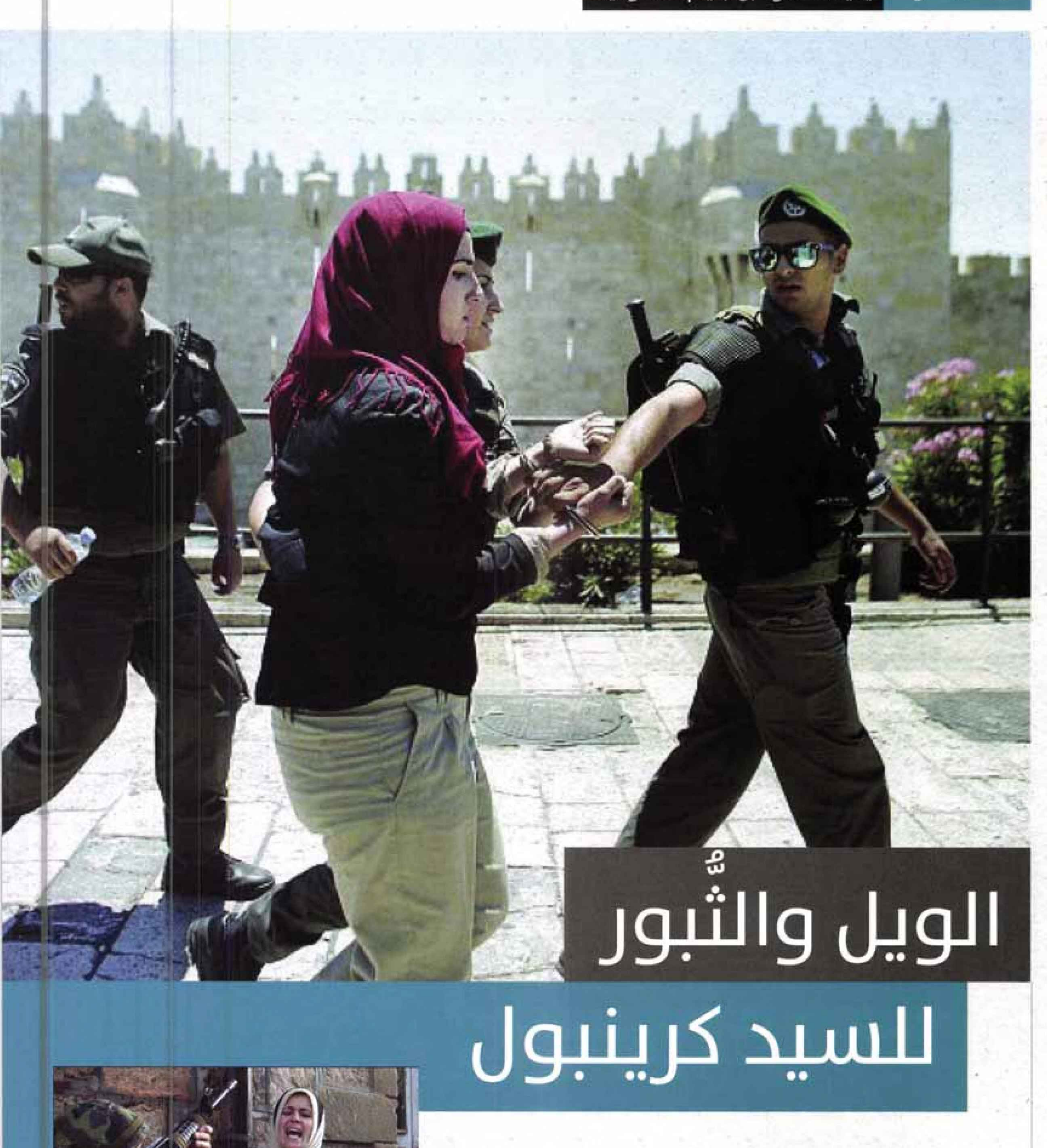
المراجع

(١) ابن سيده، المخصص في اللغة، ج٤، ص١٢٠-١٤٨، طبعة بولاق مصر. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٩. الجاحظ، البخلاء، ص١٦١.

(٢) سليمى محجوب، تاريخ الأطعمة عند العرب، ص٥١ وما بعدها، منشورات معهد التراث العلمي العربي في حلب.



تطوّرت أطعمة العرب على إثر احتكاكهم بالأمم الأخرى، فظهرت ألوان جديدة، منها: (الدرمك)، وهو من أنواع الطعام الذي يُقدّم إلى الأضياف



الويل والثُّبور للسيد كرينبول

جَرُؤ السيد بيير كرينبول -المفوّض العام للأونروا- على إصدار بيان شديد اللهجة ضد الغارة الإسرائيلية على مدرسة الأونروا، ضمّنهُ استخدام كلمة «مجزرة»، دعا فيه إلى محاسبة إسرائيل على هذا العمل. السيد كرينبول، الذي صحا ضميره بعد المشهد المروّع الذي نتج من إحدى مجازر إسرائيل في غزة، سوف يصبح هدفاً لإسرائيل وحلفائها، وستلحقه تهمة اللاسامية: فإسرائيل -التي هي فوق النقد- كان المطلوب منه أن يراعي وضعها المدلّل عالمياً: فيصدر بياناً رخواً يطالبها فيه بعدم استخدام القوة المفرطة. سوف يُلاحق السيد كرينبول، وستهبُّ جماعة الضغط الصهيونية في العواصم الغربية مطالبةً بإدانته، وقد يتراجع عن بيانه أمام الهجمات المسعورة التي ستطالُه، والتي ستذكّره بأن مجازر إسرائيل إنما هي للدفاع عن النفس ضد الأشرار في قطاع غزة الذين روّعوا الآمنين من الإسرائيليين.

إن الدماء التي سالت على أرض غزة، والدمار الشامل الذي طال كل بيت فيها، هو مجرد ردّ فعل مشروع في غُرف جماعات تَخلّتْ عن إنسانيتها، وتجرّدتْ من كلّ القيم التي يُفترض أن يتحلى بها الإنسان وهو يشهد الهجمات المسعورة على شريط صغير مُحاصر من كلّ جهاته براً وبحراً وجواً، وتدمّر منازله ومساجده ومستشفياته ومدارسه ومحطات الكهرباء والماء والملاجئ، مُعرِّضةً أكثر من مليون إنسان يقطنونه لمحرقة لا نظير لها في تاريخ البشرية، من دون أن تجد رادعاً، ومن دون أن تحظى بالتفاتة إنسانية من عالم الغرب الإنساني المتقدم الذي يمتلئ بجمعيات حقوق الحيوان.

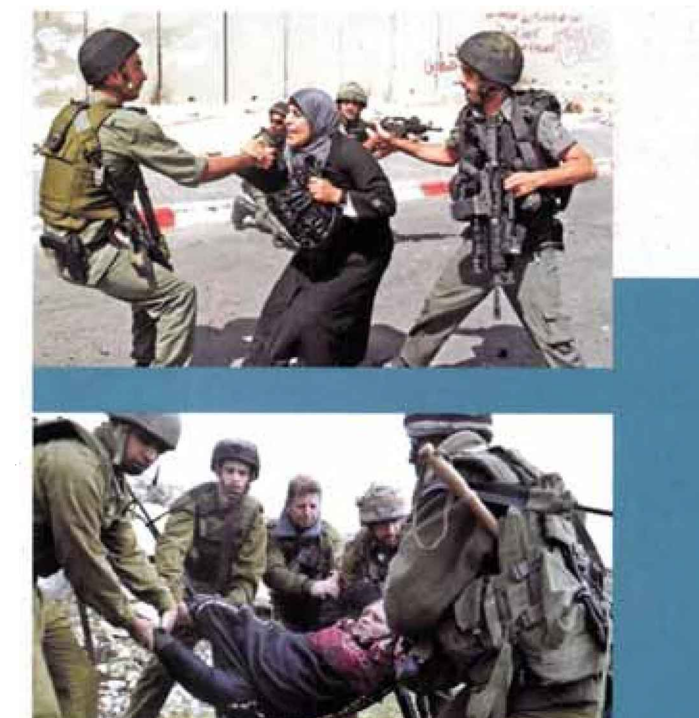
تلك الأهوال التي عاشتها غزة في أثناء العدوان، وتعيش نتائجها المأساوي اليوم، تعبّر عن محنة في الضمير الإنساني لدى مسيّري السياسة الغربية، الذين يصرّون على معالجة العدوان وفق الرؤية الإسرائيلية بإبقاء غزة تحت الحصار، وتدمير الأنفاق التي تستخدم لجلب القوت اليومي للمحاصرين، ونزع السلاح البدائي الذي تدافع به عن وجودها أمام الآلة العسكرية الإسرائيلية المتقدمة بطائراتها وبوارجها ودباباتها ومدافعها وصواريخها.

محرقة غزة هي مثال معبّر عن منطق القوة الغاشمة للدولة اليهودية التي دأبت منذ احتلالها أرض فلسطين على اللجوء إلى التدمير تحت غطاء حماية شعب إسرائيل من المتوحشين المحيطين بها، الذين لا يستحقون الحياة؛ لخروجهم عن الرؤية الغربية التي تعدُّ اليهود ضحيةً للتآمر، والتي أجبرت أمم الأرض على عدّ محرقة اليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية مأساةً إنسانيةً يُحاسب كلّ منكر لها حساباً عسيراً، كما يُحاسب كلّ منتقد للعدوان الإسرائيلي المستديم بوصفه لاسامياً. ومن ثمّ فإسرائيل لها الحق في إبادة شعب كامل أمام أنظار العالم.

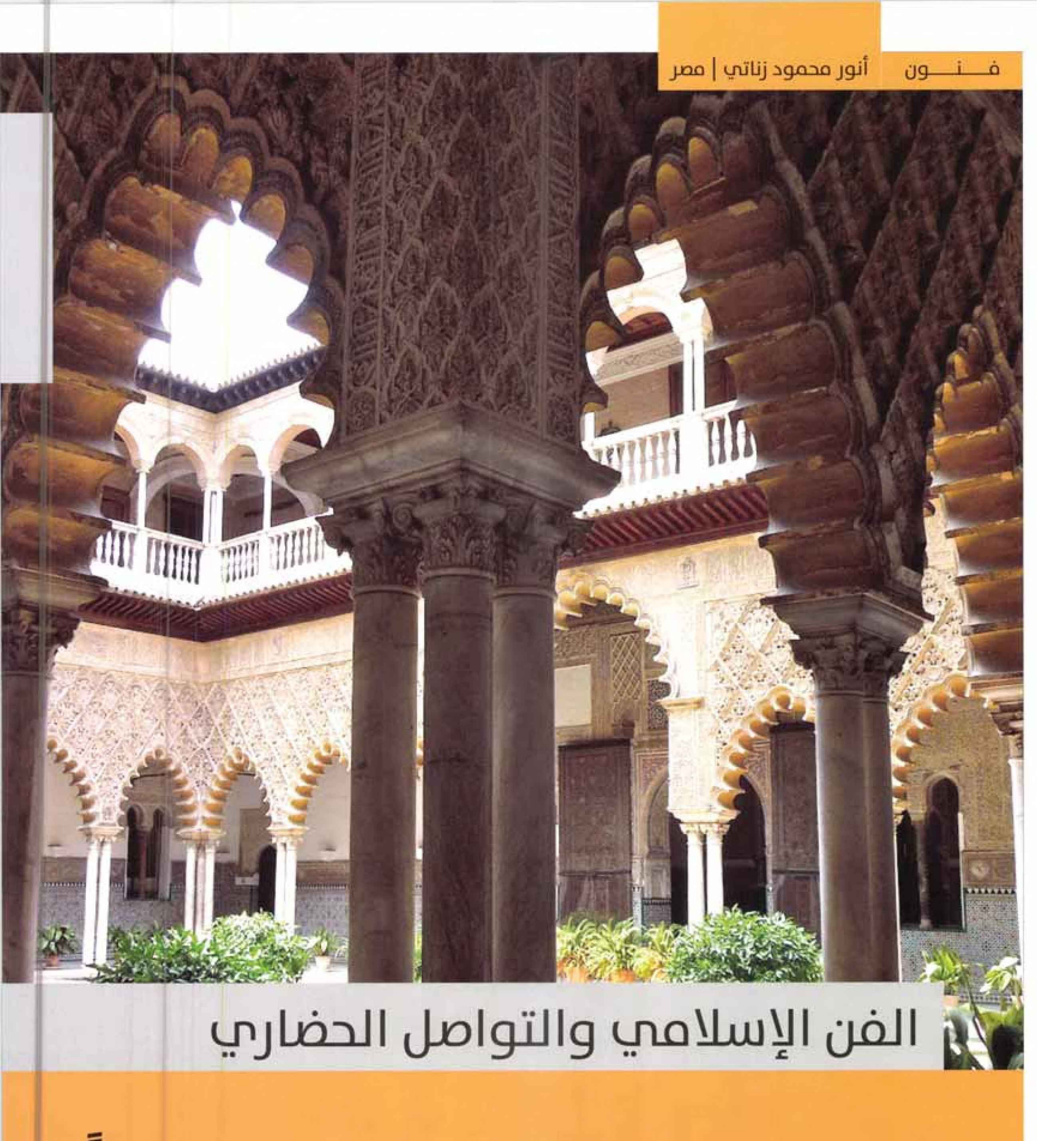
إن ما تناقلتْهُ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة يومياً منذ بدء العدوان هي - من دون شك في حال يقظة الضمير الإنساني- محرقة لا نظير لها، تحتاج إلى تشكيل محكمة دولية يُجَرُّ إليها نازيّةُ الصهاينة لمحاكمتهم كما حُوكم من اتُّهموا بالمحرقة (الهولوكوست)، و«دون ذلك خَرْطُ القَتاد»، فمن يجرؤ على رفع الراية؟ والويل والثبور للسيد كرينبول وأمثاله؛ فاليهود الصهاينة، والحكومة النازية الفاشية في «تل أبيب»، لهم اليدُ الطُولى في المحافل الدولية لردع كلّ من تُسوّلُ له نفسُهُ الاحتجاج على مجازر غزة، التي لا تقبل استخدام كلمات ليّنة، مثل: «التهدئة»، و«الامتناع عن الإفراط في القتل»، في وصف جرائمها الإنسانية، فما بالك باستخدام «مجزرة»؟! فنحن أمام شعب الله المختار، الذي يعيش داخل دولة ديمقراطية مسالمة، من حقّها أن تعمد إلى ارتكاب المجازر والإبادة الجماعية عندما تُحسُّ بالخطر من سكان شريط صغير لا يملكون غير الإرادة الحديدية في الدفاع عن أنفسهم، وإنْ أدى الأمر إلى إبادتهم جميعاً أمام أنظار العالم الحرّ.

وعلى هامش المجازر تَعْجَبُ لموت الإحساس لدى ذوي القرابة الذين يَكيلون التُّهم لأهل غزة، ويعدُّونهم السبب في هذه الواقعة، التي يخجل «نيرون» و«أتيلا» و«جنكيز خان» و«هولاكو» من ارتكابها، وهم منْ هم في الوحشية والطغيان.

ويح نفسي! هل أثار منظر العربية الأسيرة في القدس أيّ شعور بالمهانة، وهي تُقاد على أيدي ثلاثة من عتاة الصهاينة النازيين يسحبونها مقيّدةً إلى مصير مظلم؛ لأنها احْتَجَّتْ على ما وقع على ذوي قرابتها في غزة، وكأني بها تصرخ: «وامُعْتَصِماه»، ولا مُعتصم لها، كما شعبها كله الذي تفتك به إسرائيل ليل نهار قتلاً وحرقاً، ولا نسمع غير همْس خَجُول دون الخُفوت، يطالب بالتهدئة، وضبط النفس، وعدم الإفراط في صنع المجازر والتدمير من كلا الطرفين: المعتدي الغاشم صانع المجازر، والضّحية المعتدى عليها.



أنور محمود زناتي | مصر



الفن الإسلامي والتواصل الحضاري

الفن المعماري الإسباني نموذجاً

مـن المؤكـد أن الحضـارة الإسـلامية كان لها دورهـا الفعّال في التواصل بين الشـعوب، وهذا الدور لـم ينقطع على مرّ الزمن، لكنه في العصور الوسـطى Medieval كان أكثـر وأعرض وأعمـق؛ بفضل مـا توصّلت إليه الحضارة الإسـلامية من أسـباب التقـدّم والرقي، حتى فـي العصر الحديث ما زالـت هناك آثار لتلك الحضـارة، ولعـل أجلى مـا تتضح عليه صـورة ذلك الأثر هو الفن الإسلامي.

والفن عامةً يؤدي دوراً مهماً في صياغة عقلية الفرد والمجتمع، وهو مايمكن أن نطلق عليه مقولة: «الفن يهذب ثقافات المجتمع»، وهو الذي يصوغ عالمه وواقعه الحقيقي. والفن «أساس تشكيل الأفكار، ودليل على النشاط الفكري للفرد والمجتمع».

يعدّ الفن عامةً، والمعماري منه خاصةً، من أصدق أنباء التاريخ، وهو واحد من أهم علوم هندسة الروح والجسد، وأكثرها سمواً ورقياً؛ لأنه قادر -بوصفه موسوعةً وقوةً خازنةً لخيال الأمم- على تحقيق التواصل والتفاعل الحضاري. والفن المعماري أقدر من غيره على التواصل مع الآخر، وقد أدى الفن المعماري الإسلامي دوراً كبيراً في خلق حوار فني حضاري متميّز؛ لأنه انطلق من هويته، وحافظ على خصوصيته الثقافية، فاستطاع من خلال جمالية إبداعه الفني تقديم الوجه الحقيقي لحضارته[1].

والعمارة هي وعاء الحضارة، وتمثّل الهويّة الثقافية والمستوى الإبداعي والجمالي للإنسان، وكما قيل منذ القدم: هي أم الفنون؛ لأنها تجمع فنّ البناء إلى جانب النحت والرسم والخط والزخرفة[2]، وكما أخذت كلّ الفنون بعضها من بعض فقد أخذ فنّ العمارة الإسلامي أول الأمر من الحضارة الهيلنيستية، التي كانت سائدةً قبل الإسلام في بلدان أوربا الغربية، وفي شرق البحر الأبيض المتوسط، وكلّ الأمكنة التي وقعت تحت نفوذ الإمبراطورية الرومانية، وتواصلت مع مختلف الحضارات في الشام والعراق والهند والصين والأندلس، وأخذت طابعها الخاصّ الذي يعكس جوهر الفكر الإسلامي[3].

وبعد ذلك أتيح للحضارة الإسلامية أن تؤدي ما عليها من دَيْن للحضارات التي سبقتها؛ فأثّرت الأساليب المعمارية العربية الإسلامية في العصور الوسطى؛ إذ أعجب الحكام والفنانون الغربيون بالحضارة الإسلامية؛ فتأثروا بالعمارة والزخرفة، وليس مثل هذا التبادل الفني غريباً في شيء؛ فقد اتّصل الشرق الإسلامي بأوربا في العصور الوسطى عن طريق الحضارة الإسلامية التي قامت في الأندلس، وجزيرة صقلية، والتي كان لإشعاعاتها الفضل الكبير على أوربا في مختلف المجالات الفنية وغيرها، وعن طريق التجارة، وبفضل مشاهدات الحجاج المسيحيين الأراضي المقدسة، وما كانوا يحملونه معهم إلى أوربا من التحف الإسلامية، ثم عن طريق الحروب الصليبية التي قامت بين الشرق والغرب؛ إذ نقلوا كثيراً من التصميمات الشرقية إلى الغرب مع تطويرها لتلائم البيئة المحلية[4]، فضلاً عن اتّصال الأوربيين بالدولة العثمانية بعد ذلك[5].

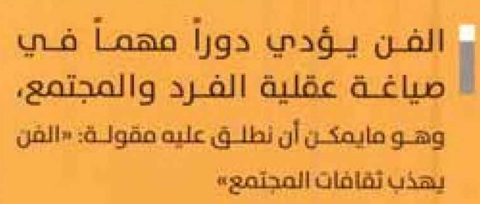
الأندلس: الفردوس المفقود

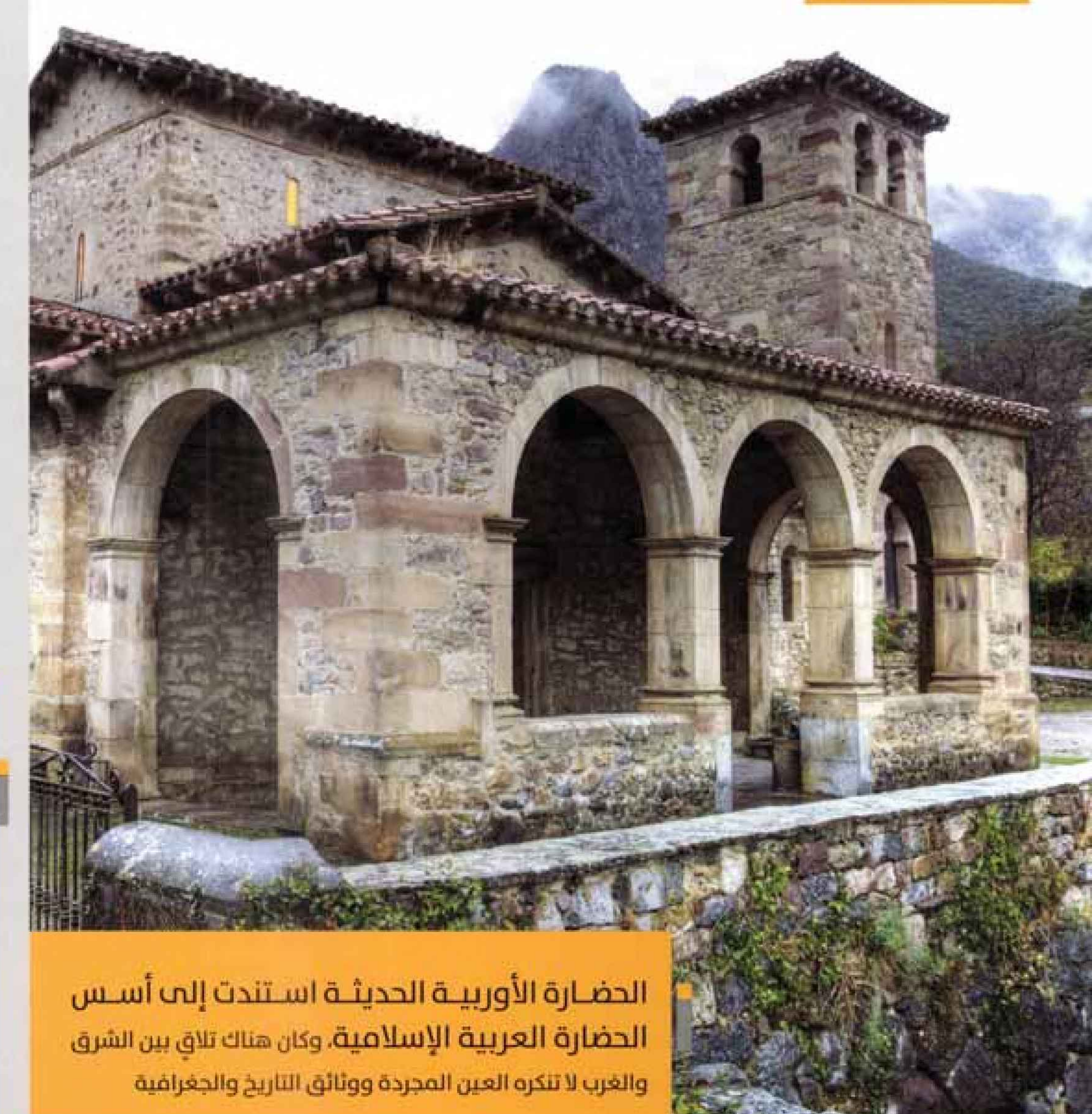
كان لفنون العمارة الأندلسية في مختلف عصورها أعمق الأثر داخل شبه الجزيرة الإيبيرية؛ فكانت القصور الملكية في الممالك النصرانية نماذج من القصور الملكية الأندلسية، وكان أثر الفن المعماري الأندلسي قوياً في الكنائس ذاتها؛ ففي كثير من الكنائس الإسبانية والبرتغالية ترى خطة المسجد ظاهرةً في عقودها وأروقتها، وقد أقيمت أبراج كثير من الكنائس الشهيرة على نمط المنارة الإسلامية[6].

وقد لاحظ المستعرب الإسباني خوان برنيط Juan-Vernet في كتابه (المسلمون الإسبان LOS MUSULMANES ESPAÑOLES) أنه من العسير جداً أن نحدّد مدى التأثير الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية؛ لأن الأندلس كانت دائماً هدفاً للهجرات الشرقية، وهو ما يكون له أثره فيما قبل الإسلام بكثير، على أن هناك أشياء ماثلة لا يمكن الشك في أنها إسلامية[7].

وقد درس مورينو على نحو مستفيض كنائس المستعربين Mozarabs[8]، التي قامت في قشْتالة[9] وليون وجلّيقيّة[10] خلال عصري الإمارة والخلافة الأمويتين في الأندلس، ووجد أنها







الحضارة الأوروبية الحديثة استندت إلى أسس الحضارة العربية الإسلامية، وكان هناك تلاقٍ بين الشرق والغرب لا تنكره العين المجردة ووثائق التاريخ والجغرافية

متأثرة بالفن الإسلامي، وتميّزت باستخدام العقود التي ترتفع فوق أقواس على شكل حدوة حصان. كما عكف إيلي لامبير Elie Lambert في دراسة له على تحديد هذه العلاقات، ووجد نفسه يقرّر الحقيقة الآتية: «إن مهندسي البناء والمزخرفين المسيحيين في إسبانيا وفرنسا على امتداد عصر الفن الروماني اقتبسوا بالتأكيد عدداً وفيراً من خيرة أشكال فن الإسلام الإسباني المغربي»[١١].

أما لويس بريهييه Louis Bréhier، فيستنتج تشابهات بين القبب ذات التصميم المثمّن الزوايا، وذات عقود الزوايا في الجناح، والهندسة العربية في إسبانيا. وفي رأيه، إذا لم يكن المهندس مسلماً فهو بالتأكيد أندلسي مسيحي[١٢]. ويقول المستشرق جورج يعقوب: إن كلّ العوامل التي خلقت الفنّ القوطي شرقية، وصلت أوربا عن طريق المسلمين؛ فالعقود المدبّبة، التي استخدمها الفن القوطي في القرن الثاني عشر بدلاً من العقود المستديرة، كانت معروفةً قبل ذلك في الشرق الإسلامي. وظهر العقد المدبّب في مقياس الروضة، ثم في مسجد أخيضر في العراق، الذي يرجع إلى أواخر القرن الثامن، ثم في جامع ابن طولون، الذي شُيّد في القرن التاسع الميلادي. وكذلك استخدم الطراز القوطي المشربيات والشرفات، وهي التي نجدها في سور جامع ابن طولون الخارجي الذي يمتاز بشرفات زخرفية يمكن عدّها أول نموذج للأسوار ذات النوافذ والشرفات، التي نراها بعد ذلك منتشرةً في الطراز القوطي في أوربا[١٣].

أما ظاهرة تحلية الأعمدة في المباني القوطية بتيجان على هيئة ناقوس، فقد سبق الشرق الإسلامي الغرب الأوربي أيضاً في ابتكارها؛ إذ نجد أن مسجد سامرّا، الذي يرجع تاريخه إلى أواسط القرن التاسع الميلادي، حُلّيت أعمدته بتيجان على هيئة ناقوس، وهو ما يرجّح انتقال هذه الظاهرة من المسلمين إلى غرب أوربا[١٤].

الفن المدجن

هناك الفن المدجّن، أو المعمار الذي قام

التأثر بقيم العمارة الإسلامية

يقول المؤرخ سيجفريد جيديون Sigfrid Giedion[١]، صاحب كتاب (الفراغ والزمن والعمارة Space, Time and Architecture)[٢]: إنه يمكن الفرض باطمئنان أن قبة كنيسة سان لورانزو في إسبانيا لم يكن لها أن تُصمّم ما لم يكن جوارينو جواريني قد شاهد قبة المحراب (Niche Mihrab) في مسجد الحاكم بقُرْطُبَة، الذي أُنشئ عام ٩٦٥م؛ فعقود محراب قُرْطُبَة -كما يقول جيديون- تعدّ أول عيّنة عُرفت في التاريخ أُعطي فيها بناء العقد وظيفةً إنشائيةً. ومن تحليل العمارة الإسلامية يتّضح مدى التزامها القويّ أسلوب التعبير عن الإنشاء، أو التعبير عن الوظيفة. وقد تأثر كثير من المعاصرين في الغرب بالقيم المعمارية للعمارة الإسلامية، ليس فقط من ناحية التصميم، لكن -أيضاً- من ناحية التعبير المعماري، ثم المعالجات المعمارية للعوامل المناخية[٣].

(١) سيجفريد جيديون: أحد روّاد نظرية المذهب الحديث في فنّ العمارة.

(٢) Giedion, S.(1967). Space, Time and Architecture, Cambridge, Massachusetts Harvard University Press.

(٣) نسرين خورشيد، العمارة الإسلامية هي الأصل، صحيفة الدار، ٣١ ديسمبر ٢٠١٠م، على الرابط: http://www.aldaronline.com/Dar/printArticle.cfm?ArticleID=131474

ترك المسلمون طابعاً فنياً ومعمارياً غنياً على كامل التراب الإسباني، إلا أن أبرز هذه الآثار المعمارية ما هو موجود في إقليم الأندلس الحالي

بتشييده المدجّنون Los Mudegeres، وهم العرب المسلمون الذين بقوا في البلاد التي استعادها الإسبان[15]. وكان منهم بنّاؤون مهرة استعان بهم حكام المقاطعات الإسبانية في تشييد الأبواب الكبرى للمدائن، وتشييد القصور والكنائس والأديرة والقناطر وسائر أنواع المعمار[16]. وكان الصنّاع المدجّنون يُستخدمون لزخرفة الكنائس والدور في أنحاء إسبانيا كافةً، ومثال صناعتهم يتجلّى في البهو البديع بقصر الأنفنتادو Infantado في وادي الحجارة Guadalajara[17]. وكذلك نرى أثر العمارة الإسلامية واضحاً في كنيسة مدينة سَرَقُسْطة Zaragoza[18] التي بُنيت في عصر (المدجّنين) في القرن السادس عشر الميلادي. وتلك الكنيسة مبنية من الطوب، وفتحاتها كلّها معقودة. أما برج الكنيسة فيشبه تخطيط المآذن minarets في المساجد الأندلسية التي في شمال إفريقية، خصوصاً مئذنة مسجد القيروان، إضافةً إلى استعمال الطوب في عمل الزخرفة التي على برج الكنيسة، كما استعملت المقرنصات stalactite-Muqarnas[19]. كما بنى المدجنون القصر المعروف بالكازار Alcazar للملك بدرو القاسي في إشبيلية على طراز إسلامي خالص، وكان يستخدم لمقام الملك، وأصبح منذ إعلان الجمهورية متحفاً[20].

وأخذ الغرب عن العمارة الأندلسية أشكال المآذن المربعة، التي أصبحت أبراجاً للكنائس[21]. والتي تجسّدت -على سبيل المثال- في برج ساحة القديس مرقص (سان ماركو)[22] في البندقية، وقد استخدمت في تلك الكنيسة العقود المدبّبة التي كانت قد أصبحت أهم مميزات العمارة العربية الإسلامية[23]، وكذلك اقتبس الغرب القوس المدبّب[24]؛ إذ حلّوا به مشكلة السقوف المفصّصة والمتقاطعة التي تشكّل إحدى واجهات مسجد قُرْطُبَة cordoba. واستمر تأثير العمارة الأندلسية إلى بعد خروج المسلمين من إسبانيا، وبرز بعد ذلك طراز إسلامي جديد، يسمى طراز المدجّنين، واستمر تأثيره إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل وصل إلى القرن العشرين، وتمثّل ذلك في كثير من الأعمال

العمرانية الإسبانية، منها ساحة مصارعة الثيران في مدريد، التي نرى فيها تجسيداً واضحاً وخالصاً للعمارة الأندلسية[٢٥].

وقد ترك المسلمون طابعاً فنياً ومعمارياً غنياً على كامل التراب الإسباني، إلا أن أبرز هذه الآثار المعمارية ما هو موجود في إقليم الأندلس الحالي؛ أي: جنوب إسبانيا، كما هو الحال بالنسبة إلى مسجد قُرْطُبَة الجامع، وقصر الحمراء، والزخارف الرائعة في غَرْناطة[٢٦]. وقد انتشرت الأقبية ذوات النواتئ، خصوصاً في قُرْطُبَة، ونجد تأثيرها في الكنائس الرومانية، والكنائس القوطية Gothic في شمال إسبانيا، كما في كنيسة طوريس دل ريو، وكنيسة سان ميان في شقوبية. ومن الآراء التي لها وجاهتها القول بأن القبو ذا النتوء، الذي انتشر في المعمار الأموي في الأندلس، قد ساهم في اختراع متقاطع الأوجيف La Croisee d'ogives الشهير في الفنّ القوطي Gothic art؛ لما هناك من صلة واضحة بين الأقبية ذوات النواتئ ومتقاطع الأوجيف[٢٧]. وقد بلغ تأثير جامع قُرْطُبَة أقصاه في كنائس جليقية؛ مثل: سانتا جودي بنيالبا، وسان مارتينو دي باثو؛ إذ نرى العقد المتجاوز الذي يمتد إلى ثلثي نصف القطر، كما أن توزيع سنجاته مركزي، وتلتفّ حوله طرة مربعة، إضافةً إلى وجود نوافذ مزدوجة[٢٨].

وشهد العمران والعمارة في جنوب أوربا، وإسبانيا خاصة، الإبداعات التي تتجلى في بناء العقود، وطريقة عمل الأقبية في كنيسة سان ميجل دي إسكالادا san-miguel-de-escalda[٢٩]، المبنية سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، وإبليون، وهي الكنيسة التي بناها القس ألفونسو مع صحبه الذين قدموا من قُرْطُبَة عام ٩١٣م، وكنيسة سان ميلان دي لاكوجويا عام ٩٨٤م، وسان ثبريان دي ماثوتي، التي بناها القس القرطبي خوان عام ٩٢١م[٣٠]، وكنيسة سان باوديل دي برلانجا، وكنيسة المزان في قَشْتالَة. وجميع عقود هذه الكنائس متجاوزة، ونسبتها في إسكالادا تبلغ ثلاثة أرباع القطر، وفي كنيسة سان سلفادور بقلد ديوس نافذة بها زخرفة هندسية جصّية متشابكة تشبه تشابكات إحدى نوافذ جامع قُرْطُبَة، ويتجلّى في ماثوني عقد قرطبي التخطيط، يتعاقب في سنجاته اللونان الأبيض والأحمر.

يتّضح مما سبق الدور الرائع للحضارة الإسلامية في إيجاد تواصل وحوار بين الثقافات والحضارات عن طريق تأثير الفنون الإسلامية في الفنون الأوربية، وأن الحضارة الأوربية الحديثة استندت إلى أسس الحضارة العربية الإسلامية، وكان هناك تلاقٍ بين الشرق والغرب لا تنكره العين المجردة ووثائق التاريخ والجغرافية.



كان الصنّاع المدجّنون يُستخدمون لزخرفة الكنائس والدور في أنحاء إسبانيا كافةً، ومثال صناعتهم يتجلّى في البهو البديع بقصر الأنفنتادو

كان أثر الفن المعماري الأندلسي قوياً في الكنائس ذاتها؛ ففي كثير من الكنائس الإسبانية والبرتغالية ترى خطة المسجد ظاهرةً في عقودها وأروقتها

الهوامش والمراجع

(١) مريم آيت أحمد، فن المعمار الإسلامي: جسر للتواصل الحضاري الإنساني، مجلة حراء، العدد ٢١، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١٠م، ص٤٠.

(٢) الزخرفة: هي علم من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد، والنسب، والتناسب، والتكوين، والفراغ، والكتلة، واللون، والخط، وهي إما وحدات هندسية، وإما وحدات طبيعية (نباتية، أو آدمية، أو حيوانية) تحوّرت إلى أشكالها التجريدية، وتركت المجال لخيال الفنان وإحساسه وإبداعه، حتى وضعت لها القواعد والأصول. علي ثويني، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، دار حوران للطباعة، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٦٩.

(٣) محمد حسن زينهم، التواصل الحضاري للفن الإسلامي وتأثيره على فناني العصر الحديث، ضمن مطبوعات برنامج الثقافية، التي تشرف عليها إدارة العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة المصرية.

(4) Enlard, c, Les Monuments des Croisades dans Royoume de Jersalem, 2 Vols, Paris, 1929,II, pp. 7073-.

(٥) غازي عيسى أنعيم، أثر فن العمارة الإسلامية على فنون العمارة الغربية، مجلة الوعي الإسلامي، عدد٥٣٢، ٢٠١٠م.

(٦) محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج٧، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م، ص٥١٤.

(٧) محمد بن تاويت، عرضاً للكتاب، ص٢٢٥.

(٨) المسيحيون الذين عاصروا المسلمين في الأندلس، وتظاهروا بالإسلام، وأخفوا دينهم، لكنهم تبنّوا تقاليد العرب ولغتهم، واهتموا بالحرف العربي، أنور محمود زناتي، قاموس المصطلحات التاريخية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م، ص٢٣٠.

(٩) قشْتالة Castilla: لفظ لاتيني معناه القلعة، وكان العرب يسمون قشْتالة القديمة القلاع، ويسمونها أيضاً قشتيلة، وتقع خلف جبل الشارات من جهة الشمال. للمزيد: نادية مرسي، العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانيا، ص٥٩، حاشية رقم (١).

(١٠) جلّيقيّة: منطقة جبلية في شمال غرب إسبانيا. راجع: يوسف بني ياسين، بلدان الأندلس، مركز زايد للتراث، ٢٠٠٤م، ص٢٩٥.

(١١) بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص١٢٤.

(12) BREHIER L., Les origines de l'architecture romane en Auvergne, s.l. 1923. BREHIER L., « Les influences musulmanes dans l'art roman du Puy», Journal des Savants, janv. févr. 1936, p14.

(١٣) سعيد عاشور، حضارة الإسلام، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٨٧م، ص٢٩٤.

(١٤) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص٢٩٤.

(١٥) المسلمون العرب الذين دجنوا في الأندلس بعد نزوح العرب عنها؛ فاستمروا على تمسّكهم بالتقاليد العربية، ونقلوا التراث العربي إلى الآثار القوطية، وكانوا جسراً لنشر هذا التراث في أنحاء أوربا. راجع: أنور محمود زناتي، قاموس المصطلحات التاريخية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م، ص٢٣٠.

(١٦) عبدالرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.

(١٧) ج. ب. ترند، تراث الإسلام، ج١، ترجمة: حسين مؤنس، لجنة الجامعيين لنشر العلم، ١٩٨٣م، ص٣٦.

(١٨) سرَقُسْطة Zaragoza: بفتح أوّله وثانيه، ثم قاف مضمومة، وسين مهملة ساكنة، وطاء مهملة، بلدة مشهورة بالأندلس، تتّصل أعمالها بأعمال تُطيلة، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع. راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٢. أبو بكر الزهري، كتاب الجغرافية، ص٨٦.

(١٩) المقرنصات: من عناصر العمارة الإسلامية المميّزة لها. ويشبه المقرنص الواحد -إذا أخذ مفصولاً عن مجموعته- محراباً صغيراً، أو جزءاً طولياً منه، وهو ذو أنواع وأشكال متعددة، ولا يُستعمل إلا متكاثراً متزاحماً بصفوف مدروسة التوزيع والتركيب، متجاورة متعالية، حتى لتبدو كلّ مجموعة من المقرنصات كأنها بيوت النحل أو أقراص الشّهد، تتلاصق خلاياها، وتجمع بين عناصرها خطوط وكُتل متناغمة، رياضية التصميم، متناهية في الدقة، تؤدي وظيفة معمارية محددةً، ودوراً زخرفياً جمالياً يتجاوز كلّ حدود. راجع: ثويني، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص٥٠٦.

(٢٠) ترند، تراث الإسلام، مرجع سابق، ص٣٦.

(21) Demus, O., The mosaics of San Marco in Venice. 2: The Thirteenth Century, Chicago/Londres: the University of Chicago Press, 1984.

(٢٢) شُيِّدت بين عامي ١٠٤٢ و١٠٨٥م.

(٢٣) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٣٦.

(٢٤) سيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٤٨٦.

(٢٥) كاظم طاهر شمهود، العمارة الإسلامية في إسبانيا، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

(٢٦) غرْناطة Granada: بفتح أوّله، وسكون ثانيه، ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، مدينة في جنوب إسبانيا، عاصمة بني زيري من ملوك الطوائف، وعاصمة بني الأحمر. استطاع الإسبان أن يوقعوا الفتنة بين خلفاء علي بن الحسن، ولما تمّ لهم ذلك حاصروا غرْناطة، وأرسل فرديناند -ملك إسبانيا- رسله إلى قادة غرْناطة المسلمة العربية بالاستسلام، ثم جهّزت ملكة إسبانيا إيزابيلا جيشاً آخر من ٥٠ ألف مقاتل لقتال المسلمين في القلاع والحصون الباقية، وبعد قتال مرير استسلمت المدينة، وسقطت في أيدي الإسبان. راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥.

(٢٧) عبدالرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، مرجع سابق.

(٢٨) السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، هامش رقم (٢)، ص٤٠٠.

(٢٩) ترند، تراث الإسلام، مرجع سابق، ص٣٣.

(٣٠) السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، مرجع سابق، ص٤٠٠.

الخيرالدا نموذج للتواصل الحضاري

برج الخيرالدا (بالإسبانية: La Giralda)، وهو برج قائم في إشبيلية Sevilla[1]، ومن أهم معالمها، كان في السابق مئذنة في مسجد من عهد الموحّدين Almohads، إلا أنه اليوم أصبح برجاً للأجراس، ويعدّ جزءاً من كاتدرائية إشبيلية، وهي أهم معالم المدينة. ويظهر في بناء البرج تأثير الحضارة الإسلامية، ويمكن تشبيهه بالملوية في سامراء. واتخذت منارة الخيرالدا نموذجاً لكثير من الأبراج في كنائس إسبانيا الجنوبية، بل تسرّب تأثير الفنّ الإسلامي إلى الهياكل ذاتها؛ فنرى -مثلاً- مصلّى دير لاس هولجاس Las Huelgas، أو الدير الملكي، في مدينة بُرغش أو بورغوس Burgos وقد صُنعت على الطراز الإسلامي، وعليها قبة عربية مقرنصة الزخارف[2]. وثمة منارة صغيرة تشبه الخيرالدا باقية إلى اليوم في كنيسة سان خوان الملوك San Juan de los Reyes بطليطلة[3].

(١) إشبيلية Sevilla: بالكسر، ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام وياء خفيفة. مدينة أندلسية كانت على جانب من الأهمية أيام الفينيقيين، اتخذها الرومان عاصمة لمقاطعة بيتيكا، وبنوا بجوارها مدينة أتاليكا، تتّصل بالمحيط الأطلنطي بنهر الوادي الكبير. فتحها المسلمون في شعبان سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م بقيادة موسى بن نصير بعد حصار دام شهراً، وأقام عليها عيسى بن عبدالله الطويل، وهو أول ولاتها من المسلمين. راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٢) محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج٧، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م، ص٥١٤.

(٣) فون شاك، الفن العربي في إسبانيا وصقلية، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص١٥٢.

علي عبدالله مرزوق | السعودية



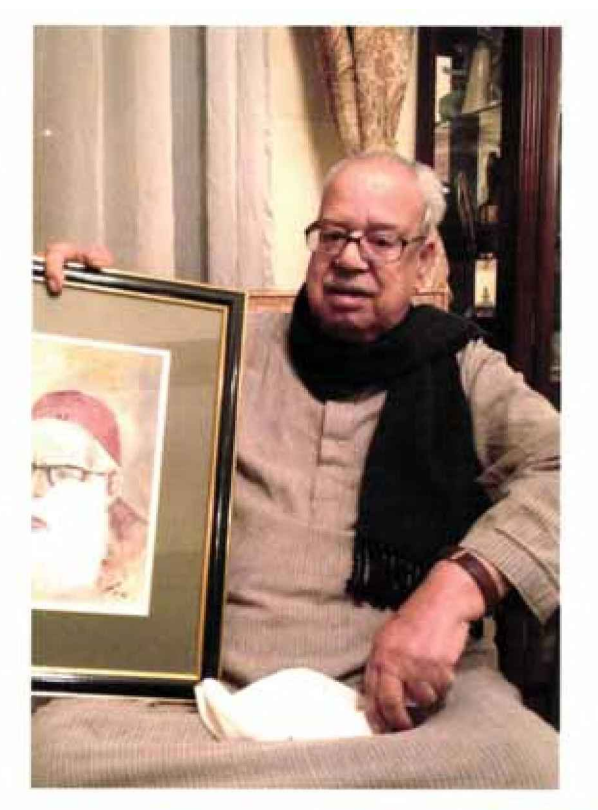
عبدالجبار اليحيا..

حوارات مع الإنســان والبيئـة

ودّع رائد الفن التشـكيلي السـعودي عبدالجبار اليحيا (١٩٣١-٢٠١٤م) الساحة التشكيلية عن عمر ناهز ٨٣ عاماً بعد معاناة مع المرض جعلته يتوقّف عن الرسم سنوات. وُلد اليحيا في مدينة الزبير بالعراق، وتلقّى تعليمه فيها، ممارساً هواياته الفنيـة التشـكيلية منذ طفولته وخربشـاته بالفحم على الحيطان، ثم صقلها معلّمو التربية الفنية في مراحـل التعليم العام، كما صقل تجربته الفنيـة اطلاعـه علـى الأعمال والتجـارب الفنية لمجموعة مـن فناني العراق، واطلاعـه كذلك على أعمـال فناني عصر النهضة، أمثال: سـيزان، ومانيه، وليوناردو دافنشي، ومايكل أنجلو.

في عام ١٩٤٩م عاد اليحيا إلى المملكة ليواصل مسيرته الفنية التشكيلية؛ انطلاقاً من المنطقة الشرقية؛ فمارس هواياته التشكيلية متنقلاً بين: التصميم، والرسم، والتصوير التشكيلي، والنحت، والحفر (الجرافيك)، التي أهّلته للمشاركة في المعارض الجماعية التي تقام داخل المملكة وخارجها. وفي عام ١٩٧١م أقام أول معارضه التشكيلية الشخصية، كان آخرها معرضه الثاني عشر في عام ٢٠٠٩م، واستضافته حوار جاليري في الرياض كتكريم له، ولتجربته الفريدة، وكفاحه الطويل من أجل الحركة الفنية التشكيلية السعودية والعربية. هذه المعارض الشخصية احتضنتها عواصم عربية وعالمية، هي: الرياض، وبيروت، وبودابست، إلى جانب مشاركاته الكثيرة في عدد من المعارض الدولية. وتعدّ مشاركته في متحف فوريست بارك بولاية ميسوري الأمريكية عام ١٩٥٢م أول مشاركة دولية بمعرض جماعي لفنان سعودي. أما تنقلاته بين كثير من الدول، والعيش فيها؛ مثل: العراق، والبحرين، والكويت، والمجر، والولايات المتحدة الأمريكية، فجعلته يطّلع ويحايش ثقافات مختلفة انعكست على أعماله وتجاربه التشكيلية.

- عضو جماعة أصدقاء الفن التشكيلي الخليجي.
- عضو جماعة ألوان.
- محرّر ثقافي/ تشكيلي في صحيفة (المدينة) عام ١٩٦٧م.
- عرضت أعماله في عدة دول، منها: السعودية، والإمارات، ومصر، ولبنان، والمجر، وفرنسا، وإسبانيا، وبريطانيا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل خلال الأعوام (١٩٧٣- ١٩٧٨م) مصمماً لأعمال الطباعة بوزارة المالية.
- ذهب إلى مدينة بودابست في المجر لممارسة الإنتاج الفني في عام ١٩٩١م.
- صمّم عدداً من النياشين العسكرية خلال عمله في القوات الجوية السعودية.
- تقتني أعماله عدة جهات وشخصيات في داخل المملكة وخارجها.





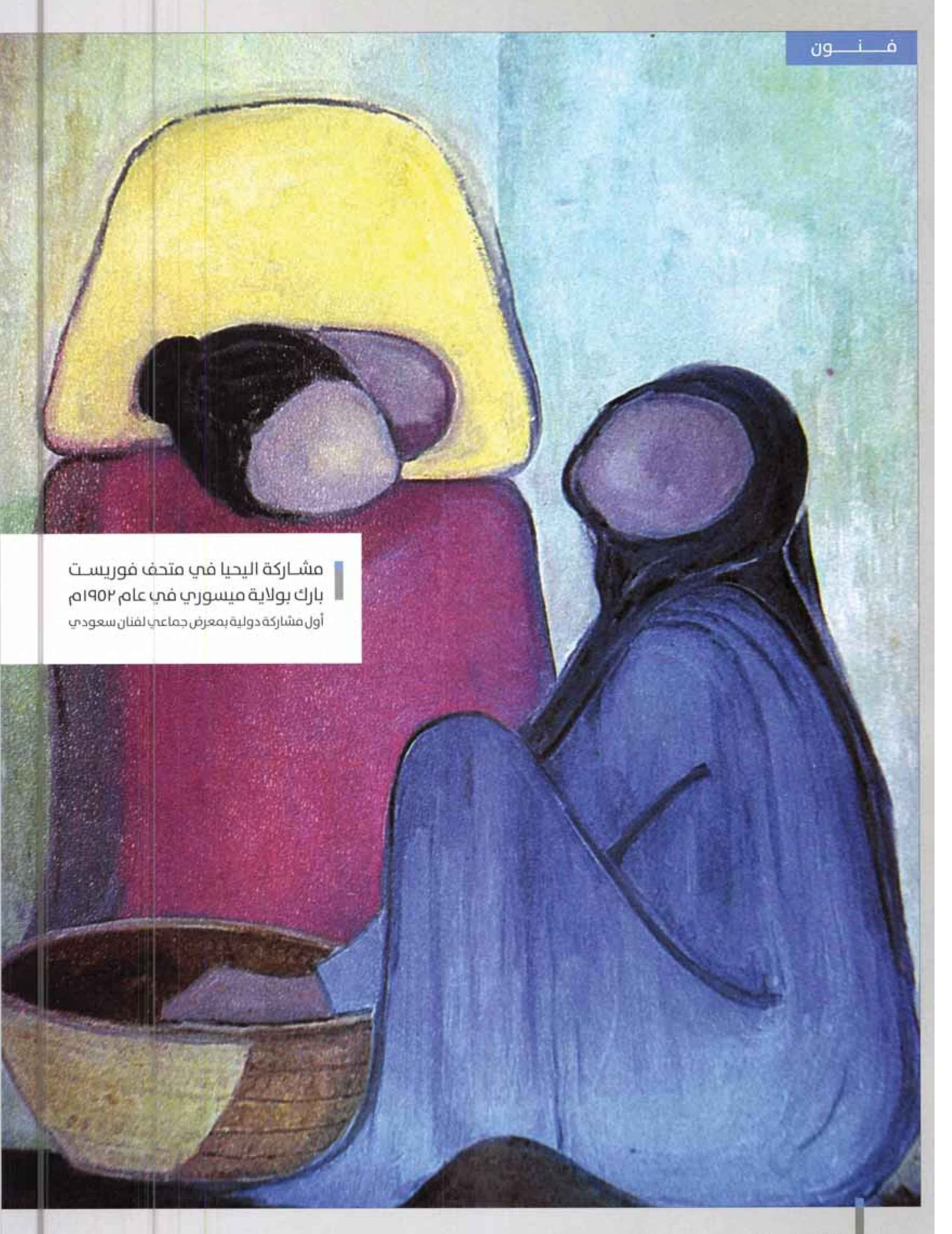
الفن للحياة

لم يكن الفن التشكيلي لدى اليحيا مجرد ممارسات لشغل وقت الفراغ، أو مادة للتسلية، كما أنه لم يكن يؤمن بنظرية «الفن للفن»، ولكنه مع «الفن للحياة»، وفي ذلك يقول: «لم يدُر بخلدي مطلقاً أن الفن تسلية أو هواية مجردة من الغرض والنفع العام، بل كنت أعتقد أن لي رسالة يجب أن أحققها، سواء بإدخال المتعة والسرور بتذوق الجمال أم بتحقيق فكرة تفتح كوة أمل للإنسان»؛ لذا عالجت أعماله التشكيلية قضايا اجتماعية تهمّ الإنسان بشرائحه المختلفة؛ فمثلت علاقة الإنسان بمجتمعه وبيئته بما فيها من تلّ أو شجر، وبما عليها من عمارة تقليدية تؤكد حضوره وتفاعله مع كلّ ما يحيط به؛ فلوحات: (انتماء، والعودة، ومبان تراثية، وشارع العليا) كلها أعمال تؤكد هذا التفاعل وهذا الانتماء وفق رؤية بصرية تبتعد من النقل الباهت للواقع، وهذا ما يؤكده الدكتور عبدالرحمن الرصيص بقوله:

«لا يتقيد اليحيا بمظاهر الرؤية البصرية الفقيرة في نتائجها الفنية، كما لا يتقيد بأسلوب فني واحد للتعبير عن عناصره الإنسانية، إنما يجنح إلى منح معرفته ورؤيته مزيداً من التفاعل مع الأفكار المستلهمة للخروج بعمل فني يحمل شيئاً من لغته وفلسفته الخاصة».

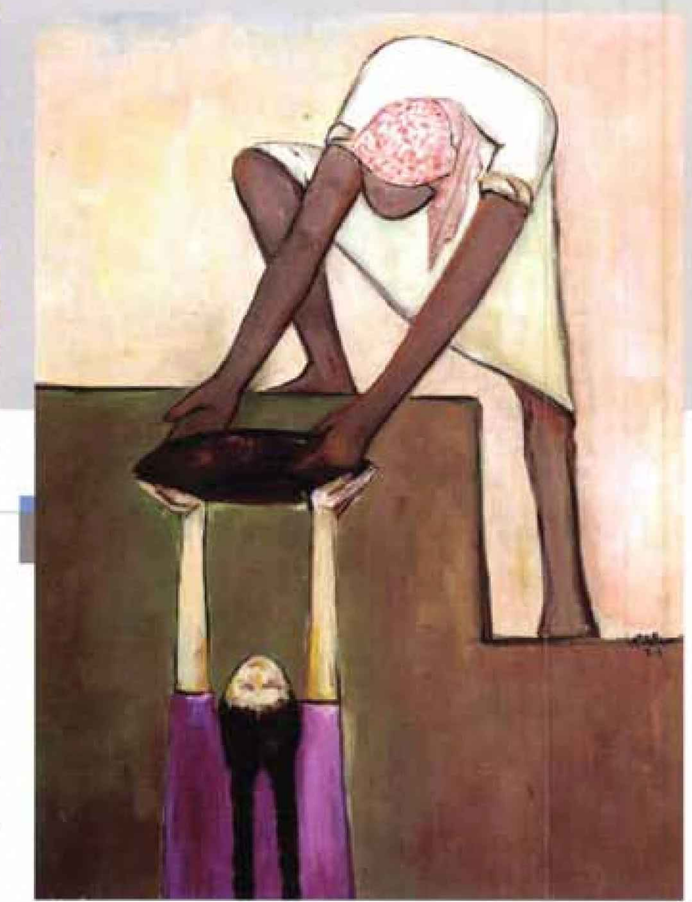
الاقتراب من المتلقي

إن المتابع أعمال اليحيا التشكيلية يلحظ أنه يروم من خلالها إلى خلق حوارات مع الإنسان والبيئة والحياة وفق أسلوب تعبيري يخصّه بعيداً من تقاليد الاتجاهات والمدارس الفنية؛ فنجح في الاقتراب من المتلقي بأطيافه وثقافاته المتعددة بأعمال تلقائية



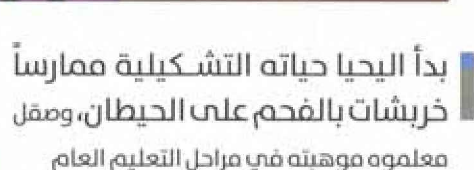
مشـاركة اليحيا في متحف فوريسـت بارك بولاية ميسوري في عام ١٩٥٢م

أول مشاركة دولية بمعرض جماعي لفنان سعودي



المعارض التشكيلية

- أقام اليحيا ١٢ معرضاً تشكيلياً داخل المملكة وخارجها، منها ما يأتي:
- المعرض الشخصي الأول، الرياض، عام ١٩٦٩م.
- المعرض الشخصي الثاني، الرياض، عام ١٩٧٠م.
- المعرض الشخصي الثالث، الرياض، عام ١٩٧٢م.
- المعرض الشخصي الرابع، الرياض، عام ١٩٧٣م.
- المعرض الشخصي السادس، بودابست، عام ١٩٩٤م.
- المعرض الشخصي العاشر، بيروت، عام ٢٠٠١م.
- المعرض الشخصي الثاني عشر، الرياض، عام ٢٠٠٩م.



بدأ اليحيا حياته التشكيلية ممارساً خربشات بالفحم على الحيطان، وصقل معلموه موهبته في مراحل التعليم العام





تبتعد من التعقيد اللوني والشكلي، وتلامس الهم الإنساني، وتصوّر معاناته، وهذا الأمر يؤكده الناقد المغربي محمد السلاوي بقوله: «اليحيا ينفذ إلى التعبير خارج القوانين الأكاديمية باستخدامه أقصى ما يمكن من جرأة دون خوف من الوقوع في شرك قوانين المدارس والأكاديميات من أجل إيصال خطابه التشكيلي». أما موضوعاته، فيقول عنها الناقد السوداني الدكتور عبدالمجيد فضل: إنه يختارها بعناية لتعالج قضايا فنية وفكرية واجتماعية. هذه الموضوعات تمثّل علاقات الإنسان مع ما يحيط به من منازل ونخيل وأرض (كما يذكر الفنان عبدالرحمن السليمان)، الذي يضيف بأن «توجهات اليحيا تأثرت بقناعات يدافع عنها، وأن أعماله تتضمن أبعاداً ومعاني تشكّلها علاقات العناصر، وأسلوب صياغتها في بساطة في التكوين، وزهد في التلوين، وسعى إلى تكثيف الفكرة، فاختفت في عدد من أعماله ملامح شخوصه».

الكتابة المتخصصة

بقي أن أذكر أن اليحيا لم يقف ممارساً الفعل التشكيلي، بل تعدى ذلك إلى ممارسته الكتابة الصحفية المتخصصة منذ عام ١٩٦٨م؛ إذ بدأ محرراً صحفياً في صحيفة (المدينة)، ثم تعدّدت كتاباته المتخصّصة في الفن والتشكيل بعدد من الصحف المحلية والعربية، كما أصدر كتيباً يحكي سيرته الذاتية، عنوانه: «عبدالجبار اليحيا وخمسون عاماً من الرسم». أما طموحاته وأمنياته التي لم تتحقّق إلى يوم وفاته، فقد ذكرها في كثير من لقاءاته الصحفية، منها: رغبته في أن يكون بكلّ مدينة متحف فني تشكيلي، وأن تُطلق أسماء روّاد الحركة الفنية التشكيلية السعودية على المعالم والشوارع وأقسام الفنون، وأن تُصرف للمبدعين بطاقات تأمين طبية، إلى جانب الاهتمام بالمؤلفات التي تخدم الفنون، وطباعتها، والترويج لها.



تعليم

علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في الصين

منذ دخول الإسلام الصين عام ٦٥١م -بحسب السجلات التاريخية الصينية- حظيت العلوم الإسلامية الأساسية؛ من علوم القرآن الكريم، وعلم الحديث الشريف، وعلم العقيدة، وعلم الفقه، بالدراسة والنشر في المساجد والجهات الدراسية المعنية الرسمية. ومن المعلوم أن علم الاقتصاد الإسلامي لم يكن علماً مستقلاً في الصين قبل القرن العشرين الميلادي، لكن تعليمه ودراساته كانت جزءاً لا يتجزأ من التربية الإسلامية منذ انتشر الإسلام في الصين فيما يتعلق بتعليم العلوم الإسلامية الأساسية ودراستها، خصوصاً ما يتعلق بالزكاة والعُشر، وزكاة الفطرة، والوقف، وغيرها من موضوعات علم الفقه أو أصول الفقه، حتى ظهر علم الزكاة الذي كان أساساً لتعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في الصين. أما بعض الجهات الدراسية المعنية الرسمية الصينية: من الجامعات، والمعاهد، والأكاديميات الاجتماعية، وباحثيها، بعد تشكيل النظم العلمية الحديثة وتنميتها في القرن العشرين، فتجعل علم الاقتصاد الإسلامي علماً مستقلاً لتعليمه ودراسته.



في أثناء المعاملات التجارية مع المسلمين في الدول الإسلامية كان يرافق البحّار تشن خه إمام مسلم يرشد أتباعه إلى التجارة المسموحة والتجارة الممنوعة إسلامياً

بناءً على الرؤية السابقة أعتقد أن تعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في الصين ينقسم إلى نوعين: الأول خاصّ بالمساجد، والآخر بالجهات المعنية الرسمية، سواء أكان في الزمن الماضي أم في العصر الحديث، ويتكامل فيه بعضها مع بعض، ويتميّز بعضها من بعض؛ لتنمية تعليمه ودراسته.

تعليم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في المساجد

وضع أئمة المساجد في الصين علم الفقه في مكانة مهمة بعد دخول الإسلام؛ لأن المسلمين الصينيين يعملون بفقه الزكاة؛ فكان الأئمة يعلّمون طلاب العلوم الإسلامية موضوعات الزكاة من الكتاب الفقهي (شرح الوقاية)، مع أدلة الآيات الكريمة وتفسيرها، والأحاديث الشريفة وشرحها، فيما يتعلق بالزكاة، وكان ذلك بمنزلة ظهور تعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في الصين. وبناءً على الكتب الفقهية كـ(شرح الوقاية) وغيره، فإن الأئمة بيّنوا للمسلمين نظرية الزكاة، وتطبيقها، وأنواعها، ونصابها، ومستحقيها، وقيمتها، المتعلقة بتنمية المجتمع من مساعدة الفقراء والمساكين وغيرهم، تبييناً واضحاً، فجعلوا الزكاة علماً يتجاوز الفقه، بل يرتبط بعلوم: الاقتصاد، والاجتماع، والأديان؛ لكي يفيد المسلمين خاصةً، والمجتمع عامةً. وإضافةً إلى ذلك، كان الأئمة في المساجد يقومون بتعليم العُشر، وزكاة الفطر، والوقف، والصدقة، والتجارة، وغيرها من الموضوعات الاقتصادية الإسلامية، ودراستها. ولا شك أن تعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في المساجد في الصين يعكس وجهين: وجهاً نظرياً، ووجهاً تطبيقياً، ومثال ذلك أن الأئمة كانوا يحثّون المسلمين على أداء الزكاة في شهر رمضان، وأداء زكاة الفطر في عيد الفطر، كما كانوا يشجّعونهم على الوقف: فهذه الأعمال الطيبة صارت مصدراً مهماً وطريقاً مفيداً لتعزيز علاقات المسلمين، وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء، ومساعدة الأئمة وطلبتهم على التعليم والدراسة، وتقديم النفقات التربوية للمساجد، وغيرها من قضايا التبرّعات.

هيئات تربوية

المساجد في الصين ليست هيئات تربوية للمسلمين الصينيين فحسب، بل تتحمل أيضاً مسؤولية رقابة معاملات المسلمين وأعمالهم وألفاظهم في المجتمع عند الأعمال التجارية والاقتصادية؛ لذلك فالأئمة يرشدون ويدلّون المسلمين على العمل بالأصول الإسلامية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المختصة بالأخلاق والتجارة والاقتصاد والمالية في المواسم الدينية: كخطبة الجمعة، وخطبتي العيدين، أو في الدروس الخاصة في رمضان المبارك أو غيره. إن أسلوب تعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في المساجد هو أسلوب النقل من الكتب الفقهية العربية الشهيرة؛ فلم يترك الأئمة كتباً صينيةً في التاريخ إلا قليلاً؛ مثل كتاب (الهداية) باللغة العربية أو اللغة الفارسية، أو بكلتيهما معاً.

تعليم الاقتصاد الإسلامي ودراسته في الجهات المعنية الرسمية

ينعكس تعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراساته الأكاديمية في الجهات المعنية الرسمية الصينية في المراحل الثلاث الآتية:

- مدرسة هوي هوي الوطنية:

دلّت السجلات التاريخية الصينية على أن تاريخ هذه المدرسة يرجع إلى عام ١٢٨٩م في عصر يوان الملكية، وبُنيت المدرسة تحت إشراف الإمبراطور الملكي، وكانت المدرسة الأولى في تاريخ الصين لتعليم اللغات الأجنبية (تُسمى بلغة الاصطفاء، والمرجّح أنها اللغتان العربية والفارسية) والاقتصاد الدولي، وتهدف إلى تربية الكوادر الممتازين لمعرفة اللغة العالمية والتجارة الدولية لخدمة السياسات الداخلية والعلاقات الخارجية والتجارة الدولية.



علم الاقتصاد الإسلامي لم يكن علماً مستقلاً في الصين قبل القرن العشرين الميلادي، لكن تعليمه ودراساته كانت جزءاً من التربية الإسلامية

وكانت الدولة العربية الإسلامية في ذلك العصر ترتبط بعلاقات دبلوماسية وتجارية واقتصادية مع حكومة يوان الملكية، ولا شك أن تعليم اللغتين العربية والفارسية والاقتصاد الدولي في مدرسة هوي هوي تعلّق بعلم الاقتصاد الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر، وكان ذلك بمنزلة بداية تعليمه ودراسته وتطبيقه في الجهات الرسمية الصينية.

- **الرحلات البحرية السبع للبحار الكبير تشن خه المسلم:**

أرسلت حكومة مينغ الملكية البحار الكبير تشن خه المسلم(١٣٧١ - ١٤٣٣م) إلى الدول الخارجية، بما فيها الدول الإسلامية، في رحلاته البحرية السبع للدبلوماسية والتجارة والصداقة والتبادل والتعاون. وفي أثناء المعاملات التجارية مع المسلمين في الدول الإسلامية كان يرافق تشن خه إمام مسلم، مثل الإمام حسن كي، يرشد أتباع تشن خه إلى التجارة المسموحة والتجارة الممنوعة إسلامياً بحسب العقيدة الاسلامية والفقه وأصول المعاملات التجارية الإسلامية؛ ليجنبهم الأسباب والأشياء غير المناسبة للتجارة والمعاملات من جهة، ولتعظيم عقائد المسلمين وتقاليدهم، وتعزيز التبادلات التجارية الصينية العربية الإسلامية وتوسيعها وتعميقها من جهة أخرى.

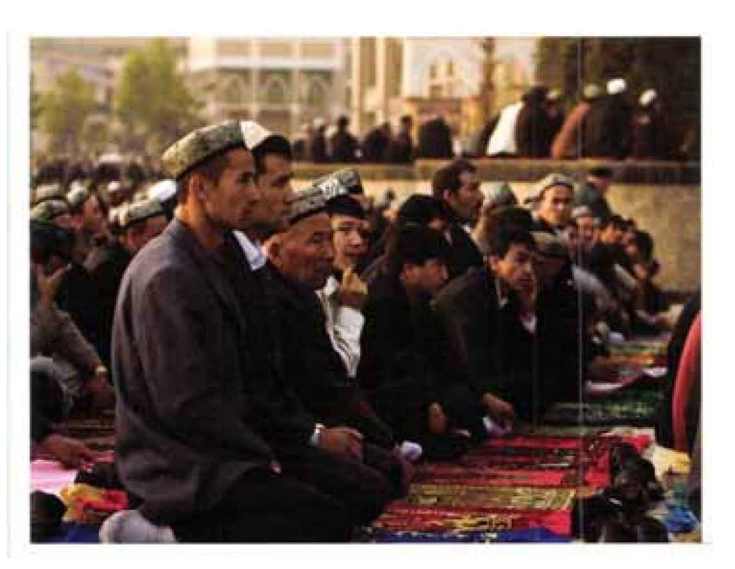
- عهد جمهورية الصين الشعبية:

تأسّست جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، وفتح التبادل الصيني العربي والتعاون المشترك، والعلاقات الخارجية الودية منذ أكثر من ألفين عام صفحةً جديدةً، فتطورت العلاقات الصينية العربية تطوراً سريعاً وكاملاً، وتوسّع التعاون الصيني العربي توسعاً كبيراً وشاملاً، وارتفعت التبادلات الصينية العربية ارتفاعاً عالياً. وعلى هذه الخلفية، وصل علم الاقتصاد الإسلامي في الجهات الرسمية الصينية إلى ذروته كما يأتي:

- كثرة الجهات الأكاديمية: أصبحت الجهات الرسمية الأكاديمية لتعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كثيرة، أهمها معهد دراسات الشرق الأوسط بجامعة شانغهاي للدراسات الدولية، ومعهد دراسات غرب اسيا وشمال إفريقية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وقسم دراسات الاقتصاد العربي الإسلامي لمركز الدراسات العربية لوزارة التربية والتعليم الصينية بجامعة نينغشيا، وقسم دراسات قومية هوي المسلمة والإسلام بأكاديمية نينغشيا للعلوم الاجتماعية، وقسم دراسات المالية الإسلامية بجامعة الشمال للقوميات، وغيرها.
- كثرة المشتغلين بدراساته: قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية كان

تزايد الاهتمام بالاقتصاد الإسلامي

تشـهد الصين حالياً اهتماماً بعلم الاقتصاد الإسـلامي، ويتبدّى ذلك في كثرة الجهات الأكاديمية المعنيـة بهذا العلم، وتزايد المهتميـن بـه، والاهتمـام بمناقشـته مـن خـلال النـدوات المتخصّصة، والدراسـات الأكاديميـة، ونشـر الكتـب المتخصّصـة، وترجمـة بعضها من العربية والإنجليزية إلى اللغة الصينية.



أئمة المساجد جعلوا الزكاة علماً يتجاوز الفقه، بل يرتبط بعلوم: الاقتصاد، والاجتماع، والأديـان: لكي يفيد المسـلمين خاصةً، والمجتمع عامةً



معظم المشتغلين بتعليم علم الاقتصاد الإسلامي ودراسته هم الأئمة في المساجد فقط، لكن بعد تأسيسها أصبح كثير من العلماء والخبراء والخبيرات من المسلمين وغير المسلمين يقومون بهذا العمل القيّم: بسبب كثرة الجهات الرسمية الأكاديمية، وكثرة التبادل والتعاون في المجالات المتعلقة بالاقتصاد والمالية والتجارة بين الصين والدول العربية الإسلامية، خصوصاً بعد تأسيس منتدى التعاون الصيني العربي عام ٢٠٠٤م، وبناء منتدى الاقتصاد والتجارة بين الصين والدول العربية بمدينة ينتشوان - عاصمة حكومة منطقة نينغشيا ذات الحكم الذاتي لقومية هوي عام ٢٠١٠م - (ارتفع مستواه إلى المعرض الصيني العربي عام ٢٠١٣م).

- كثرة الندوات المتخصّصة: تقيم بعض الجامعات والمعاهد الندوات العلمية المتخصّصة في علم الاقتصاد الإسلامي والعربي على المستويات المختلفة، بحسب حاجات التنمية الاقتصادية والمالية والتجارية بين الصين والدول العربية؛ فقد أقامت حكومة نينغشيا الدورات الأربع من ٢٠١٠- ٢٠١٣م تحت عنوان (المؤتمر النظري لمنتدى الاقتصاد والتجارة بين الصين والدول العربية)، وحضرها كثير من الدبلوماسيين والخبراء والعلماء المتخصّصين في دراسات الاقتصاد الصيني العربي والإسلامي، ثم نشرت المجلدات الأربع لمجموعة البحوث فيها، فدفعت دراسات الاقتصاد العربي الإسلامي إلى قمة جديدة.
- كثرة النتائج الدراسية الأكاديمية: في السنوات الأخيرة بعد تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج عام ١٩٧٨م نُشر كثير من الكتب الأكاديمية، وأطروحات الدكتوراه، والبحوث الدراسية. أما الكتب المثالية المطبوعة الرسمية، فهي: (فكرة الاقتصاد الإسلامي)، و(فكرة الاقتصاد الإسلامي وتطبيق الاقتصاد في مجتمع المسلمين الصينيين) لليو تيان مينغ، و(منهج نظام الاقتصاد الإسلامي) لوانغ تشنغ وي، و(دراسات نظام المال الإسلامي) للي يان جي، و(دراسات تنمية المالية الاقتصادية في شرق جنوب آسيا) لشيونغ تشنغ يانغ، و(الدراسات في الاقتصاد الإسلامي) لما يو شيو، كما نُشرت الكتب المنقولة من العربية والإنجليزية إلى الصينية، مثل: معلومات البنك الإسلامي، ونظرية المالية الإسلامية وتطبيقها، و Islamic finance and banking system، و Islamic finance، و Islamic Bank، وغيرها. أما البحوث والمقالات المنشورة في المجلات المختلفة، فعددها أكثر. والجدير بالذكر أن جين تشونغ جيه (شمس الدين) في جامعة نينغشيا يقوم برئاسة تحرير السلسلة المترجمة للدراسات المالية الإسلامية، كما أن يان لي جين في جامعة الشمال للقوميات تقوم برئاسة تحرير موسوعة الاقتصاد الإسلامي بأسلوب الترجمة.
- كثرة المجالات الدراسية: في السنوات الأخيرة تتعلّق النتائج العلمية المتخصّصة في علم الاقتصاد الإسلامي بالمجالات المتنوعة من نظرية المالية الإسلامية وتطبيقها، وفكرة الاقتصاد الإسلامي ونظامه، والتعاون الاقتصادي التجاري، والتعاون المالي الإسلامي، والتبادل الاقتصادي بين الصين والدول العربية والإسلامية، وفكرة الاقتصاد العربي الإسلامي المعاصر، ودراسات النظم المالية الإسلامية في الدول الإسلامية والعربية، والاقتصاد والمال الإسلاميين مع العولمة، وغيرها.

جمال الدين الخضيري | المغرب

الرجل الذي أضحك الحمار



حدّثني رجل من أهل النظر سقط عني اسمه، وأوصاني ألا أبوح بهذه الحكاية لأحد أبداً، فرقّشتُها خلسةً على ما سردها، علّها تكون عبرةً ومدداً، قال:

«قُيِّض لنا أن نلتقي بصاحب الحمار علال بن شلال -نضّر الله وجهه، وبَسَط ظَرْفه- في مجلس والي المدينة حالم بن ظالم، مع ثلّة من خاصّته وندمائه، منهم نديمه المفضّل صاحب القطار رحال النمام، وهو مجلس طافح بالأنس والسمر. وبعد أن دارت كؤوس الراح، وتشنّفت أسماعُنا بأصوات القيان الساحرة، وهامت عيوننا وألبابنا في بساتين أجساد راقصة لا تُسْبَر، تدور كالخذروف، وتنساب لدنةً بيضاء كالصوف، اشتدّ اللغط حول فضائل الحمار ونواقصه، واستشرى النَّبْز بعلال وبحيوانه، بتشجيع من الوالي نفسه. وعلال هذا -أعزّك الله- سائس لدوابّ أكابر البلد، وعُرف في المدينة بصاحب الحمار؛ لأنه لا يمتطي إلا ظهره، ولا أحد أدرى بسريرته غيره، وترسّخ هذا اللقب أكثر بعد الحادثة الطريفة التي سأسردها لك، فشغلت الساكنة، وانهمرت على رأس حالم بن ظالم شواظاً ساخنة.

ولقد قيل في المجلس على سبيل إثارته:

- أصحيح -يا علال- أن إحدى أتانك ولدت جحشاً جميلاً قبل أن تلقى حتفها؛ لقدر رأوك تحمله بين ذراعيك وتلقمه حليباً.

أجاب مبتسماً:

- أجل يا سادة، إنه جحش يتيم.

عقّب أحدهم:

- لا تنسَ حفل العقيقة، متى نويتَ أن تقيمه؟!.

ردّ بسرعة بديهة، والابتسامة لا تفارقه:

- قريباً، سأقيمه خصيصى لكم، أنتم مدعوون، متى ما رأيتم الحمير قادمةً فاتبعوها.

علت الأصوات منددةً:

- خسئتَ يا ابن الخبيثة.

قال بهدوئه المعهود:

- لا يأبى الدعوة إلا لئيم.

متى ما رغب أحد في شراء حمار، أو سقطت دابته مريضة، إلا وقصد علال بن شلال منتفعاً بمشورته، أو مصطحباً إياه إلى بغيته. تصوّرْ أن الحمار أعزّ المخلوقات إلى قلبه، لدرجة أنه عندما غضب على ابنه بسبب إحجامه عن أداء فاتورة الكهرباء طرده من غرفته، وأسكن فيها الحمار.

وفي مجلس سمر الوالي تحدّى الجميع أنه قادر على إضحاك الحمار. نعم، أجزم أنه بإمكانه أن يُعْدي هذا الحيوان البئيس بفرقعاتٍ من الضحك، ويجعله يستغرق في القهقهة بدل النهيق، وما على الذين يرتابون في أمره

إلا أن يركبوا التحدي إن أرادوا، أو فليتراهنوا معه بما شاؤوا، آنذاك سيريهم برهانه نهاراً جهاراً. كان يرفع من هامته، ويقول بثقة طافحة:
- أليس لهذا المخلوق إرث طويل في تجشّم المشاقّ، وتحمّل صروف الدهر وسياط الإنسان؟! فالضحك أهون وأيسر من جميع ما قصم ظهره، وأدمى جلده، فما الذي يمنعه من ذلك؟!
يقسم بأغلظ الأيمان أنه بحركة بسيطة منه سيجعله يضحك كأيّ إنسان.
قال الوالي حالم كارعاً قدحه، مبللاً لحيته، دافعاً بالتندّر إلى أقصى مدى:
- لو أسعفني في ذلك صاحب القرار الأوحد لأنصفنا هذا الحيوان وجعلناه شعار البلد؛ أسوةً بالدول العظمى وأحزابها العريقة الذين ما فرّطوا قطّ في الحمار؛ جبراً لخاطرك يا علال، لعل الشعب يقتدي به في تحمّله شتى صنوف العذاب.
قال صاحب القطار الذي لا يكفّ ريقه عن النثار:
- مستعدون أن نضع صورة الحمير في منازلنا وسياراتنا وقطاراتنا، لكن نخافُ أن تقوى شوكة علال، ويتكالب علينا بعد أن يحظى برضا هذه المخلوقات، ويصبح الناطق باسمها.
ردّ علال:
- يكفيكم أنكم تعلّقون صفائحها على أبواب منازلكم، وتجعلونها سبلاً للخلاص. غريب، تتلمسون الخلاص من محتاجين للخلاص!!.
تدخّل الوالي بصوت مثقل أبح؛ لفرط ما استقرّ في بطنه:
- علينا ترويض الجحاش أولاً، والأخذ بناصيتها؛ حتى نحصل فيما بعد على حمير جيدة.
قاطعه رحال:
- لكن -يا صاحب العز والسيادة- يستحيل ذلك؛ فلي خبرة طويلة في هذا الشأن اكتسبتها بوصفي سائقاً للقطار.
ردّ علال ساخراً:
- وما علاقة الجحاش بالقطار؟
سرعان ما عاد إلى كلامه:
- إن أمهلتموني برهنتُ لكم عن هذه العلاقة، ونظر نحو الوالي كأنه يطلب منه التأمين على الاستمرار، قبل أن يستطرد قائلاً:
- طول عمري وأنا أقطع البراري والفيافي بالقطار، فرأيت من الحُمُر ما لم يرَ أحد، من بعيد تلوح لي دوابّ جاثمة في السكة، حتى بتّ أميز بين الجحش والحمار قبل أن أقترب منها.
ردّد أكثر من صوت:
- يا سلام على نباهتك، إنه فتح مبين.
عاد مَن جديد إلى الكلام بحماس أكبر غير عابئ بهم:
- اعلموا أن الجحش بمجرّد ما يرى القطار حتى ينفضّ هارباً، معتقداً أنه نجا بجلده، وأنه سيبلغ شأواً عظيماً عندما يكبر، في حين أن الحمار يبقى في مكانه لا يتحلحل على الرغم من زعيق المنبهات القويّ حتى يدهسه القطار، مدركاً أنه حمار مغبون، وسيبقى كذلك، والمؤسف أنه متى ما كبر الجحش، ووعى محيطه، إلا وانساق نحو المصير نفسه عن حبّ وطواعية، هذا هو باختصار الفرق بين الجحش والحمار.

أضاف وهو يوجّه كلامه إلى الوالي:
- إن كلّ جحش هو مشروع حمار، (سرعان ما ينظر صوب علال متمّماً كلامه بلهجة أكثر حدة)، ضحك أو نهق فالأمر سيّان.
قامت قَيْنة متثنّيةً كاسرةً رتابة الحوار الذي انخرط فيه السُّمّار، وقالت بنبرة خليعة ذات معنى:
- لن تدركوا هذا المخلوق مهما استحمرتم، ولن تصلوا أبداً إلى نجاعة أخْور حمار، اسألوني أنا.
تناولت دفاً، وطفقتْ في الغناء، وكلّ مَن في المجلس يردّد غناءها بأصوات يطغى عليها التلعثم والغلظة، تفوق كل نهيق ونعيق:
ذهبتُ إلى الشيطان أخطبُ بنته
فأدخلها -من شقوتي- في حباليا
فأنقذني منها حماري وجبّتي
جزى الله خيراً جبتي وحماريا
تمسّك علال بمشروعه الرامي إلى إضحاك الحمار تمسّكاً كبيراً، اعتقد الحاضرون أن الخمرة لعبت برأسه، وأن حميّا الكأس أخذت منه مأخذها، وجعلته يحتطب الكلام احتطاباً دونما ضابط أو رابط، لكنه تشبّث بوعده أكثر بعد الصحو، وبعد انصرام المجلس؛ كأن الخمرة كانت سبباً في نفض مكنونه، والبوح بما يراوده، فطفق ينثر بثبات في الأنحاء والأرجاء ما تفتّق عن خبرته وطول عشرته لهذه الكائنات الوديعة.
ولما انتشر خبر ما ينوي الإقدام عليه بين الناس تفاوتت ردودهم بين مستنكر ومشجّع، وصار حديث الخدور والتهكم في المجامع والأسواق. وعندما أفشت امرأته أنها رأته أكثر من مرة ينجح في إضحاك حمارهم انتشر الخبر انتشار النار في الهشيم، وانتقل إلى مناطق أخرى نائية، وصار نجم الرجل ساطعاً، وألصقت به بعض الخوارق، ثم أصبحت الرحال تُشدّ إليه، وتتبرّك بحماره العجيب.
ولقد امتلأت الصفحات الأولى للصحف والمواقع الإلكترونية المحلية، حتى الوطنية، بعناوين مثيرة، كلها تتفنّن في رصد ضحكة الحمار التي لم يرَوْها قط: «ضحكة جوكاندية على محيّا الحمار، ضحكة الحمار أنغام وورود، عندما يقهقه الحمار تورق الكروم، ضحكة الحمار لا ريْث ولا عجل كأنها الغيوم، ...».
وصل الخبر إلى والي المدينة، وتناهى إليه إصرار الرجل على المضيّ قدماً فيما هو عازم عليه، واستمرار تحلّق الناس حوله، وزيارتهم له. استدعاه، وحذّره من تماديه في غيّه متوعداً:
- أحذّرك من مغبّة الاستمرار في الدجل، إنك تشغل الناس وتصرفهم عن أمورهم.
أجاب بثقة طافحة:
- ليس دجلا، وبمقدوري أن أبرهن على صحة ما أقوله.
قال الوالي بصوت أخفّ؛ كأنه يسترسل في موعظة:
- هَبْ أن ما تدّعيه صحيح، ألا تعلم أنك تحرّض الحمير على الضحك، وتغتصب حقوقها بقلب نهيقها إلى قهقهة؟!.
ردّ بالثقة نفسها، وبثبات من لا يودّ التّراجع عن عزمه:
- إطلاقاً سيدي، كلّ ما أقدمت عليه أنني ألجمتُ أصواتها النافرة وهذّبتها،

على الأقل فللضحك معنى..

قاطعه مستنكراً:

- يا للمفارقة العجيبة أن تتحوّل أنكر الأصوات إلى أنكسها، وعلى يديك أنت!!.

سرعان ما عقّب كأنه طمع في أن يقنعه:

- ثِقْ -يا سيدي- أنها أمم مثلنا، ومجراها مجرى الناس، ولها قابلية للتثقيف والتأديب.

عاد الوالي إلى لهجته الناقمة متبرّماً:

- ما شاء الله، فقد تساوينا، وأصبحنا كلنا حيوانات ضاحكة، مجلجلاً بضحكة مثل هدير جرّار.

عقّب صاحب الحمار مهدئاً:

- وهل ضحك الوالي كضحك باقي الحيوانات، أضحك الله سنّك؟!

انصرف وهو عازم على أن يتم مشروعه، ويقدمه أمام الملأ على الرغم من تحذيرات حالم بن ظالم؛ فهو لا يدري لماذا ورثوا كلّ هذا الخوف من الضحك. مازال يتذكّر أنه في بعض مجالس السمر حينما يتم الاستغراق في الضحك تعقبه في النهاية تلك اللازمة المعروفة «اللهم أخرج عاقبة ضحكنا على خير» كأنه جريمة من أعتى الجرائم. إذا كان هذا التوجس ناتجاً من الضحك الذي ينتاب الإنسان فلا مِرْية أنه يغدو هجيناً عندما يصدر من مخلوق آخر، وأيّ مخلوق؟!.

ضرب موعداً للذين يودّون رؤية ابتكاره في بطحاء المدينة، وهي ساحة ممتدة يُقام فيها سوق أسبوعي، احتشد جمع غفير من الناس لم تشهده المدينة حتى في أعيادها ومواسمها. جاء الوالي متدحرجاً بعبلته يسعى. غاب صاحب الحمار عن المكان. طال الانتظار، وكثر القيل والقال:

- أفّاك، ضحك على ذقوننا.

- لعله وجد حماره ميتاً من كثرة الضحك.

- من قال لكم: إنه سيجلب معه حماراً حقيقياً، سيجلب صورةً ضاحكةً للحمار على غرار صورة البقرة الضاحكة، وهو إشهار لدواء يجعل متعاطيه في قوة الحمار.

قال الوالي بعد أن فقد صبره، وتحلّق حوله الأطفال مستهزئين ناهقين:

- إن لم يأتِ فسأكنس به الأرض.

وعندما لاح من بعيد مهرولاً مجرجراً حماره تعالت الأصوات صادحةً، وعلت الأصابع مشيرةً نحوه بإعجاب. نفذ وسط الساحة تلسعه الأبصار حتى استقر في وسطها. نظر حوله، وبهت للحشود الكبيرة المحيطة به. أحسّ بهول الموقف الذي حشر نفسه فيه، وأدرك فداحة المأزق الذي سعى نحوه بمحض إرادته، وزاده ارتباكاً نكوص حماره عن المضيّ قُدماً. جثم عليه خاطر منذر بالخراب، وتلعثم بصوت وجل وهو يطوّق رقبة حماره مُربّتاً عليها:

- حمارٌ من برهن مصيره بما قد ينبعث من هذه الرقبة.

سرعان ما دنا من أذنيه الكبيرتين المنكمشتين هامساً فيهما باستجداء:

- بحياتي عليك لا تخذلني، اضحكْ ولا تنهقْ.

بادره الوالي متوخّياً أن يبعثر كلّ أوراقه:

- أبعدْ حمارك؛ فإنك قد روّضته على ما أنت مزمع الإقدام عليه، إليك حماري هذا.

لا مجال للمناورة، خُيّل إليه أنه لو امتنع لانهمرت عليه أكثر من حجارة، ولفتك به الحشد المتربّص به، الذي انتظره منذ الصباح. لم يكن بدّ من قبول عرض الوالي. تفحّص الحمار، وسحبه نحوه. رفع يده، فساد صمتٌ مطبق، تنحنح ثم قال بوثوق وبصوت جهور:

- يا حضرات، الضحك سَهْوٌ رَهْوٌ مع أيّ حمار، وسترون هذا بعيونكم.

همس أحدهم:

- حتى لو روى للحمار نكتةً فتلزمه سنوات كي يضحك.

ردّد آخر:

- صحيح، لكنْ سيستوعبها الحمّار قبل الوالي.

أخرج علال من عبّه قارورةً صغيرةً، وبدأ يدهن بها مؤخرة الحمار وأغفاجه بعناية ولين، والناس مشدوهون متعجّبون، ثم أومأ إليهم بالقارورة قائلاً:

- من أدوات العمل، إنها زيت زيتون معجونة بأعشاب ومساحيق.

أردف:

- يلزمني حافز للضحك؛ فالضحك بلا سبب ....

لم يغفل الحاضرون لحظةً عما يتبدّى لهم، الكلّ انشغل بتصوير هذا المشهد المثير، متأبّطين كاميرات خاصة، أو مكتفين بهواتفهم النقالة. صمّم علال على إحضار حافز للضحك كما سمّاه، وهذا الحافز هو أتان تمرّ أمام الحمار من بعيد. ولما لبّوا طلبه، وبرزت الأتان، حاول الحمار أن يركض نحوها، فلم يفلح في ذلك؛ لأنه كان مشدوداً إلى وتد، فاكتفى بالنهيق، فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً؛ لأن النهيق لا يتأتّى إلا بشدّ عضلات الكفل، وسدّ جميع التجاويف والمنافذ في جسم الحمار، فتراه يقوّس أذنيه، ويُوصِد دبره، حتى يدفع بذلك الهواء القويّ من جوفه نافذاً عبر حلقومه، فيتحول إلى نهيق، إلا أن بوتقةً مهمّةً كانت مشرعة عن آخرها هذه المرة بفعل زيت الزيتون. فكلما حاول شدّ عضلات مؤخرته كانت تنفلت وترتخي، وتتزحلق ملتقى حوافها اللزجة جيئةً وذهاباً، فخانه نهيقه، وجاء صوته في المقابل عبارة عن فحيح كالضحك، أو بالأحرى جاء ضعيفاً أشبه بالخوار، بارزاً عن أسنانه الضخمة، فلا تنزُّ منه إلا فرقعات ضحك لا تختلف عن قهقهة الإنسان. واختلط ذلك مع موجات ضحك الحاضرين، فبدا الأمر غريباً مريباً وسط احتجاج الوالي حالم بن ظالم، الذي رفع عقيرته مهدّداً:

- يا هالك، لقد احتلتَ على الحمار ولم تضحكه، هذا مسخ، تهجين.

- ....».

ما إن أنهى حكايته حتى سعيتُ باحثاً عن علال بن شلال، جانباً الوهاد والتلال، لكني لم أعثر له على رائحة أو أثر يُقتفى. كلما سألتُ عنه أحداً يقول: إنه مرّ من هنا ممتطياً حماره، فأكتفي فقط بجمع ما تناثر من حكاياته التي تفرّقت في روايتها السبل، واختصمت فيها الظنون. فقيل من ضمن ما قيل: إن الوالي أعجب في نهاية المطاف بوصفة علال السحرية، والتمسها دواءً لزوجته التي تشخر ليلاً، وتصعق بالشتيمة نهاراً، وبعد ذلك مضى يوزّعها على أكابر البلد، وقيل: إن الحاكم الأكبر ينوي تجريب هذه الوصفة على شعبه كافةً لصناعة الضحك في البلد السعيد الذي جُعجع به الدهر عن مسرّاته، وسكنته المآسي والانتقاضات، والله أعلم.

محمد عباس علي داود | مصر

رفيق الدرب

قُمْ
يا رفيق الدرب
للفجر الجديد
قُمْ
فعانق
بسمة الطير السعيد
واملأ الآفاق
شدواً
مثله
فهناك ربٌّ
لا يغيب ولا يحيد
•••
قُمْ لرزقٍ
لا يزيغ
عن السبيلْ
ذاك حقك
لا يضيع
ولا يميلْ
فاسْعَ للرزق المباح
بطيب نفسٍ
فالذي
يعطيك رزقك
ربُّك الهادي
الجليلْ
•••
يا رفيق الدرب
وابدأ بالسلامْ
للقريب
وللغريب
على الدوامْ
دينك الإسلام
حضّ على الهدى
فانشر الخيرات
تنعم بالوئامْ
•••
قُمْ
يا رفيق الدرب
فابدأ بالسجودْ
للذي أحياك
حراً
في الوجودْ
ذلك الرحمنْ
فاطلب عفوه
بصفاء نفسٍ
لا تزيغ
من الجحودْ
•••
واجعل القرآن خلاً
في الضميرْ
رتّل الآيات
حباً في القديرْ
تبلغ الغاياتِ
تأمن
أينما
كان الطريق
وأينما
كان المسيرْ



كمال عبدالرحمن النعيمي | العراق



أحتمي بك مني

اشتعلت محلة (النبي العالية) بحكاية سعدية. كانت محلة (النبي يونس) تنقسم عفوياً إلى ثلاثة أقسام: البيوت القريبة من المسجد أو المحيطة به، وصار اسمها (محلة التركمان)، والبيوت التي تقع في الجهة المعاكسة لها، وعُرفت بمحلة (العرب)، أما تلك التي في الوسط، والتي هي أعلى ارتفاعاً من المحلتين، فسُمِّيت (النبي العالية). وعلى مدى خمسين عاماً أو أكثر توارث الناس هذه الأسماء من دون أن يُعيروها أهمية جغرافية أو اجتماعية تفرّق بين هذا أو ذاك. الناس هنا كأنهم بيت واحد، بل يصل بهم التماهي أحياناً إلى حدّ يوصف فيه تآلفهم كاللحمة والسدى، لكنها تسميات صنعتها العجائز من النساء قبل عشرات السنين، ربما لأغراض البيع والشراء: ففي فجر كلّ يوم تنطلق من محلة التركمان أصوات تزلزل هدوء الفجر (عيران.. عيران)؛ إذ يحدّ الباعة في عرض (اللبن)، الذي هو عيران باللغة التركية، وفي الوقت نفسه ترج صفاء الفجر صيحات في محلة العرب (كاز.. كاز)، وبينما كانت تشتهر المحلتان، واحدة ببيع اللبن، والأخرى ببيع (النفط)، فإن محلة النبي العالية قد عُرفت بأبنائها الموظفين ومنتسبي دوائر الدولة.

اشتهرت حكاية سعدية حتى تجاوزت المحلات الثلاث، وعبرت شارع الكورنيش باتجاه محلة (نينوى الشرقية)، ومن محلة إلى أخرى انتشرت الحكاية في الجانب الأيسر من مدينة الموصل، حكاية سعدية مصّاصة الدماء.

كانت ولادتها شؤماً، لا بسبب الصاعقة التي ضربت بيتها ليلة الولادة، أو لأن والدتها ماتت لتهبها الحياة بعد مخاض عسر، أو أن خالتها احترقت في الليلة نفسها، أو أسباب كثيرة مؤلمة يمكن ربطها بولادة هذه المخلوقة الغامضة، ليس من أجل هذه الأشياء فحسب، بل لأن الخوف أفزع من رآها بعد الولادة؛ فقد كانت كفّها مغلقة بشدة كأنها تمسك بداخلها سراً غريباً، وانكشف حينما انفتحت الكفّ عن بقعة متجمدة من الدماء. ومن هنا بدأت رحلة سعدية مع الدم؛ فمنذ أن كانت طفلة صغيرةً كانت تفتّش عن الدماء في كلّ مكان تصله يداها؛ فكم مصّت من دماء الدجاج والماعز والقطط بواسطة سكين صغيرة تخفيها دائماً في جيبها وهي تطارد الحيوانات الصغيرة من مكان إلى آخر، وحينما كُشف أمرها اضطر أبوها إلى حبسها بغرفة، وأغلق عليها من الخارج بقفل كبير مع سلسلة، والمفتاح لا يفارق جيبه أينما ذهب. لكن المشكلة تفاقمت حينما تبيّن أن سعدية تجرح يدها، وتمتصّ منها الدماء. تكاثرت الحكايات عن سعدية وغرائبها وجنونها؛ فمن قائل: إنها مجنونة تلبّستها الشياطين، وقال غيرهم: إنها مصابة بمرض خطير، وهو ما استدعى أن يذهب بها والدها إلى بيت (عبد جدّو) المشهورين بالرقى والعزامات عن طريق القرآن الكريم.

كان على بيت (عبد جدو) أن يرقوها ثلاثين يوماً بالآيات الكريمة، لكنها لم تمتثل لذلك، وهو ما أشاع بين الناس أنّ شيطانها قويّ، ولا فائدة تُرجى من شفائها. لكن ما تذكره محلة (النبي العالية) أن سعدية تماثلت للشفاء بعد خمسة عشر عاماً من يومها المشؤوم، صحيح أن شخصاً تشاجر مع والدها قبل أعوام فطعنته بنصل، وأرادت أن تمصّ دمه، إضافة إلى بعض الحوادث المتفرقة من اعتداءات صغيرة، أو تشاجر بسيط، أو معركة لسانية، لكن سعدية شُفيت من كلّ هذا، إلاّ من مهنة العداء الخفي بلا سبب لكلّ الناس في (النبي العالية)، وأوّلهم والدها. مهنتها الكره، وهوايتها التشاجر، وتسليتها إضرام الفتن، وعلى الرغم من أن أحداً لم يعُدْ يهتم بأسباب شفائها إلا أن والدها كان يهدّدها بالحبس كلما أخرجت أنياب فتنة، أو حاولت إضرام نار العداوة بين الناس، واعتاد كلّ من يعرفها الابتعاد منها ومن مشكلاتها، ورضخت البيوت لتوقّع انفجار قنبلة موقوتة تهدّد كيان المحلة، اسمها سعدية.

وهكذا طرأت فكرة أغرب من سعدية لدى إحدى العوائل المجاورة لها، فكرة ذبحتها العائلة نقاشاً وتحليلاً، وكانت النتيجة (عبدالحميد). أذكر أنني كنتُ صغيراً بما يكفي لكي تضيع مني تفاصيل كثيرة من الحكاية، وكانت هذه العائلة هم بيت خالتي، سمعت ابنهم يقول: عبدالحميد هو الحلّ الوحيد. وتراكضنا نزولاً من تلّ (النبي العالية) نحو (البيادر) عبر شارع الكورنيش نسأل عن عبدالحميد؛ لنعرض عليه قنبلة اسمها سعدية قد تنفجر في أيّ لحظة، فتدمر المحلة.

قال أحمد ابن خالتي وهو يلهث: جئناك يا عبدالحميد، أنت ابن عمي، وحاجتنا إليك كبيرة.

قال: خيراً.

قال أحمد: هناك مجنونة، اسمها سعدية، جارتنا في (النبي العالية).

قال عبدالحميد: سعدية، من هي سعدية؟

قاطعه: سعدية مصيبة حلّت على رؤوسنا، ليس مهماً أن أروي لك التفاصيل، المهم أن ترضى بمساعدتنا.

قال: أساعدكم بماذا؟

قال أحمد: سأقول كلاماً يبدو مضحكاً وغير منطقي، لكن لا حلّ لمشكلتنا من دونه.

قال: أقلقتني يا رجل، ما حكايتك؟

أجاب: ليست حكايتي، بل حكاية سعدية، وباختصار: نتوسّل إليك أن تحبها تحبك.

ضحك عبدالحميد، ثم قال بابتسامة: تحبّني؟! يا أخي ماذا تقول؟! من هي سعدية؟! ولماذا تحبّني وأنا لا أعرفها أصلاً؟!

قال أحمد برجاء واضح: ستعرفها، وستحبك، وإذا لم تساعدنا فلن ترى وجهي بعد الآن.

لم يكن عبدالحميد أوسم شاب في الجانب الأيسر فحسب، بل أجمل ضابط شرطة في المدينة كلها، إذا ارتدى زيّه الحكومي، ومشى في الشارع، فإنه يخطف الأبصار من النساء والرجال على حدّ سواء، وكان ابن خالتي يطلب منه أن يزورهم باستمرار في (النبي العالية)؛ لتقع سعدية في حبه، وتنتهي المشكلات. لكن عبدالحميد سخر كثيراً من هذه الفكرة، حتى وإن كانت لأسباب إنسانية؛ فهو لا يعرف سعدية، كما أن لديه شخصيته الفذة التي لا يغامر بوضعها في أيّ منزلق يقترحه عليه ابن عمه، أو حتى لو كان عمّه العاجز الذي يكنّ له حباً كبيراً. لكن محلة (النبي العالية) أشرقت ذات صباح بزيارة سريعة قام بها عبدالحميد إلى بيت أقربائه بحجة زيارة عمّه المريض، وتوالت الزيارات، ولم تكن سعدية في بيتها، كانت مفقودة من المحلة، وتهامس الناس: هل قتلها والدها، أو زوّجها قسراً وسراً بعجوز في إحدى القرى، أو تكون مريضة راقدة في أحد المشافي؟!. أسئلة يحلو لأهالي المحلة تضخيمها وتأويلها؛ كرهاً لسعدية المجنونة، وحقداً عليها.

لكن هذه المجنونة ظهرت بعد أيام تمشي على سطح بيتها الطيني، الذي نمت الأعشاب عليه، ومعها بعض أزهار الربيع، كان بعض الناس مع نفسه يدعو الله أن تسقط هذه المجنونة من حافة السطح ولا تتوقف إلاّ في (البيادر) حيث أشلاؤها على شارع الكورنيش، فتمحقها السيارات المارة محقاً، ويختفي أثرها من الدنيا. تكاثرت الدعوات والهمسات، ومع ذلك لم تسقط، ولم تتعثر، وأدارت وجهها عن عبدالحميد الذي تراه أول مرة. كان عبدالحميد قد قبل تحت إلحاح أقربائه، وبكاء زوجة عمّه، وشكاوى الجيران، أن يمثّل دور المحبّ لسعدية، مع إدراكه أنها فكرة ساذجة ومضحكة في آن واحد، لكن الإلحاح كان عليه شديداً؛ فاضطر إلى تمثيل الدور الصعب.

بعد أسابيع سمعت ابن خالتي يقول: «لقد وقعت العصفورة في الشبكة»، ولم أفهم، وما كان ليجيب عن سؤالي لو حاولت ذلك، لكنني رأيت طيفاً من السعادة يغشى بيتهم، بينما انفرجت بعض الشفاه عن ابتسامات لم يكن لها طعم سابقاً، ربما لأن سعدية لم تكن تحمل العداء لأحد في هذه

المحلة كما تحمله لبيت خالتي، وقد تحملوا منها أذى بعضه لا يُطاق، حتى إنها في أحد الأيام فرضت عليهم (حظر التجوال)، وكانت تقف في بداية الزقاق وجيوبها ملأى بالسكاكين. لكن بعد أيام من تعارفها مع عبدالحميد، وفي صباح كنّا نتناول الإفطار في بيت خالتي، سمعنا طرقا على الباب، وذهبت خالتي لتنظر من شقوق الباب الخشبي، ورأيناها تعود مسرعة وهي تهمس: «سعدية، إنها سعدية، اقطعوا أنفاسكم، ولا تفتحوا الباب». لكن الطَّرْق لم ينقطع، وبعد دقائق سمعنا صراخ سعدية من وراء الباب: «خالتي أم أحمد، جئت أسلّم عليكم». وبعد أن انقطع الصوت، وأدركنا أن سعدية قد ذهبت استرجعنا أنفاسنا، وأغرقنا أنفسنا في بحر من التأويلات والأسئلة التي لا تنتهي.

وفي المساء عادت سعدية تطرق الباب من جديد، سمعناها تقول: «جئتكم ببعض الخبز الحار، ألا تفتحون قبل أن يبرد». وبجرأة جنونية اعترض أحمد أوامر والدته بعدم فتح الباب، ففتحه، وهكذا دخلت سعدية وهي تحمل بعض أرغفة الخبز. قالت برقة لا شبيه لها إلى حدّ التمثيل والمبالغة: مساء الخير خالتي أم أحمد. فردّ بعضنا التحية بفتور كأنه الهمس. قالت: جئتُ في الصباح ومعي لبن طازج لخالتي، لكنكم لم تفتحوا. ولما لم يردّ عليها أحد قالت بتمثيل واضح: أنا أحبكم خالتي، وسأخدمكم بكلّ شيء منذ اللحظة.

وهكذا كلما دخلتُ بيت خالتي أرى سعدية تكنس، أو تطبخ، أو تغسل الملابس، كأنها جُنّت ببيت خالتي. الآن فهمتُ لماذا قال أحمد العصفورة وقعت في الشبكة. كان عبدالحميد كثير الشكوى من الحال كلها، يهمس في أذن أحمد أن المصيبة ستكبر حينما تكتشف سعدية أنه يمثّل عليها دور العاشق، وخالتي تبكي كلما حاول عبدالحميد التراجع عن تطبيق خطته. وانبهر أهالي المحلة حينما أصبحت سعدية خادمة في بيت خالتي، بينما والدها يمدّ الجسور بينه وبين عبدالحميد. وهكذا نعمت محلة (النبي العالية) بالصفاء، وعادت الرحمة تشعّ من بيوتها: ليصل هذا التصافي الى محلتي (العرب) و(التركمان). صارت الدنيا أجمل. وحينما جاء العيد تشرنقت على (تل التوبة) دوائر وأنصاف دوائر من الدبكات الشعبية التي كان يقودها رموز الغناء الشعبي في (الموصل)، ومنهم أحمد الانضباط. وجاء عبدالحميد إلى تل التوبة. كانت الأرض مزخرفة بالألوان الخلابة، ومع أن عيد سعدية هو كلّ يوم إلا أن الناس رأت عبدالحميد وهو يصافح سعدية ووالدها بمناسبة العيد أول مرة، وكان حدثاً مهماً وخطيراً في حياة سعدية وأهالي المحلة.

مضى زمن تغيّرت فيه خريطة محلات (النبي)؛ فمديرية الآثار قضمت بعض بيوتها بحجة الحفاظ على تأريخ المدينة وتراثها، والبلدية أكلت نصف محلة (العرب). أما مديرية الأوقاف فقد التهمت محلة (النبي العالية)، وأغلب بيوت محلة (التركمان)، ومن جرّاء ذلك تحوّلت المنطقة إلى مساحة خربة تقف عليها قلّة من البيوتات المهدمة، أو المتروكة، أو التي يسكنها قسراً تحت ضغط الفاقة عدد من الفقراء. مضى زمن نسيت الناس حكايات سعدية وعاشقها الولهان كذباً. تغيّر البشر، ضاقت الدنيا، وانفرط أبناء هذه المحلات هاربين من المنطقة التي تحوّلت إلى مستنقع أشباح، بيوت هرمة أو متآكلة أو مهدمة، وهي لا تشكّل ربع المحلات أيام زمانها وعزّها، وكفرط الرمان اندسّ أهلها متفرّقين في محلات أخرى متناثرة على أطراف الموصل: فلم تعُد الصباحات تحفل بنداءات الباعة (عيران، عيران) أو (كاز، كاز)، ثلة من البيوت المخيفة تقف بقلق على أطراف أصابعها على (تل النبي يونس)، يشكّل وجودها نشازا مع الأبنية العصرية التي اكتسحتها، فأصبحت بيوتها نقاطاً سوداً على ورقة بيضاء. مضى زمن، غادرت طفولتي فيه، وأصبحت جداً في الخامسة والخمسين يداعب حفدته كلما ناله أسى الشيخوخة.

قبل أيام اضطرتني العائلة إلى مرافقتهم إلى (الدركزلية)، أو ما عرفناه منذ أزلنا بأنه (سوق الأكراد). مشينا في الشارع المزدحم بالباعة والمتجولين والمحلات المزدهرة بالبضائع. لم أكن مع عائلتي في أثناء سيري معهم، كنت مع همومي، لا يشغلني شيء سواها؛ لذلك لم أر شيئا من هذه السوق الكبيرة. صحيح أنني كنت أتطلع إلى واجهات المحلات، وأناقش أسعار البضائع، ومع ذلك لم أكن مع عائلتي، أو مع نفسي، ولا مع السوق. لكنني رأيتها فجأة، رأيتها، عجوز أكل الدهر عليها وشرب، تمشي ببطء، وتتعثّر، تتوكأ على أحزانها، وجهها جعّدته الكآبات، امرأة ذابلة كأنها شبح يمشي على قدمين. اندهشت عائلتي حينما هرولتُ بلا وعي إليها، بصعوبة تذكّرتني. قلتُ بصوت مرتفع وأنا أقرّب فمي من أذنها: مرحباً خالتي. قالت بارتجافة من شفتيها بعد أن عرفتني: أ.. أ.. أنت ابن خالة أحمد جارنا القديم. سارعت عائلتي إلى التكوّر حولي بدهشة واضحة على الوجوه. لم أستطع أن أقول لهم: هذه سعدية أيام زمان، لن يفهموا؛ لذلك طلبت منهم التراجع إلى الرصيف

قلتُ: خالتي سعدية، أين تسكنين الآن؟

قالت: هنا، أقصد بيتي قريب من السوق، أتأتون إلى بيتي؟

قلتُ بنشوة وفرح: نعم، نحن ضيوفك.

قالت بتثاقل من جرّاء مجموعة أمراض أنهكتها: إذاً، اتّبعوني

كان بيتها متواضعاً في محلة (كمبص) القريبة من السوق، ويبدو أنها كانت تسكن مع عائلة أحد أبنائها. تكوّرنا جميعا في غرفة ضيقة، وقلتُ: خالتي، لا طعام ولا شراب، نحن في عجلة، لكنني أتحرّق شوقا إلى سماع الحكاية. ابتسمت على الرغم من حزنها، قالت ورأسها يرتجف: أيّ حكاية يا رجل، لقد ذهبت الدنيا بأهلها.

وتحت ضغط إصرارنا، بل توسّلاتنا، تحسّرت بمرارة، وقالت: اسمع يا ولدي، أنا أعرف قصدك، لكن لماذا نفتح الجرح؟! أنت تريد قصتي مع عبدالحميد، ماذا تريد منها؟!

قلت بشغف: الحكاية كلها.

قاطعتني: لكنك تعرفها.

قلت: كنتُ طفلاً لا يعي ما يدور حوله، وضاعت عليّ التفاصيل.

قالت بعد أن سعلت مرتين من جرّاء ما تخزّن من تبغ السجائر في رئتيها: حسناً، سأبدأ من النهاية.

قلت: موافق.

صمتت قليلاً، ثم أضافت: عبدالحميد، عبدالحميد دمّر حياتي، أدخلني في

جنة أكاذيب، ظننتها جنة حقيقية، لكنه كان يخدعني. عشقته بجنون شفاني من جنوني أيام الشقاوات، صرتُ خادمة لبيت خالتك؛ لكي يرضى عني. حوّلت سيئاتي إلى حسنات، انقلبت من مجرمة إلى فتاة مهذبة أرقّ من الفراشة. احترتُ ماذا أفعل بنفسي، وما أفعله للناس كي يرضى عني الحبيب. كنت أرسل إليه أشواقي الحارة من وراء الباب، أو من شباك غرفتي المطلّ على الزقاق. ذات مرة صافحني من دون أن يرانا أحد، فقبّلتُ يده. أردتُ أن أقبّل حذاءه، فرفض. قلتُ بحسرة عظيمة: أنت جنة حياتي؛ فلا تتركني حتى لو قامت القيامة. توسّلت إليه كثيرا. كلّمته حتى ييست رجاءاتي. كان يلاطفني، ويرسم لي كذبا خريطة حبّنا الأعظم. عبدالحميد إنسان نبيل، مهذّب، شفّاف، كيف سمحت له نفسه أن يتركني في عراء الدنيا بلا عزاء، كشاة وحيدة ضعيفة تنتظر الذبح؟!. ومع أنني كنت أهذي بحبّه ليل نهار، لكنني في غفلة من الدنيا تزوجتُ. لا أعرف كيف حدث هذا. المهم أنني تزوجت، وظنّ الناس أنني نسيت، لكن نار عبدالحميد كانت تستعر في قلبي كالجمر. لم أنسه يوما، أقابله كل ليلة في أحلامي، وفي الأحلام كان يخدعني أيضا؛ لذلك حينما حانت الساعة، وعلمتُ أنه سيتزوج، قلتُ: إنها فرصة عظيمة لأنتقم لحياتي التي أكلتها نيران ظلمه وتعسّفه. كان زفافاً أسطوريا. الناس التي حضرت العرس لا تُعدّ ولا تُحصى، والراقصون من كثرتهم لا يعرف بعضهم بعضاً؛ لذلك تسلّلتُ الى داخل هذه الجموع. كانت بعض العجائز في الحفل يضعن خمارا (بوشيّة) على وجوههن، وهو ما سهّل وصولي إلى العروسين. وجهي تغطيه البوشيّة ولا أحد يعرفني، ولا أحد يعرفني. رقصتُ بحرارة بين يدي العروسين. رقصتُ بما أوحاهُ إليّ ألمي الأعظم، وبحركة خاطفة انقضّت سكيني على صدر عبدالحميد، وقبل أن تصحو الناس من دهشتها قفزت يدي بالسكين إلى رقبة العروس. ظننتُ أنني قتلتهما؛ لذلك على بركة الدم التي شربتُ منها كنت أرقص. رقصتُ بلذة الدنيا كلها، بنشوة عارمة مجنونة. رقصتُ، رقصتُ، رقصتُ والسكين بيدي حتى وصلت الشرطة.

انتابتها موجة سعال، فتوقفت عن الكلام، وقبل أن أسألها مواصلة الحكاية قالت بصوت أجشّ أنهكته أعداد لا تُحصى من السجائر على مدى سنوات بعيدة: أعرف، أعرف، أنت تتشوّق إلى المزيد. جاءت الشرطة، وألقت القبض عليّ وأنا لا أزال أرقص تحت نشوة الانتصار، لكن العروسين لم يموتا. لم تكتمل فرحتي، وبعد أشهر خرجا من المشفى متعافيين. سكيني كانت جبانةً، أو يدي المرتعشة لم تصل إلى قلب عبدالحميد. أما العروس المذبوحة، فلم أتمكن من حزّ رقبتها، لكنني شربتُ من دمائهما. الناس شاهدتني، مئات المحتشدين رأوني وأنا أشرب نخب الانتصار. وفي السجن لم أندم؛ لأنني لم أهرب بعد الحادثة، لكن هذا السجن اللعين صار يعلّمني دروسا ما كنتُ أفهمها. كم قضيتُ فيه من سنوات؟! لا أدري. المهم أنني خرجتُ من أحضان السجن إلى أحضان الشيخوخة، وها أنت ذا تراني على حافة القبر.

قلتُ: خالتي، أرى صحتك جيدة، والأعمار بيد الله.

قالت وهي تسعل، ووجهها يحمرّ من جرّاء السجائر، مع أنها تركتها: أين الصحة يا ولدي؟! لقد ذهب كلّ شيء.

قلتُ: الآن، وبعد مرور تلك السنوات، هل تعرفين شيئاً عن عبدالحميد وزوجته؟

قالت ببرود: نعم؛ فهما يسكنان في (العطشانة) قرب (الكصاصيب)؛ أي: محلات القصابين.

قلت: وهل قابلتهما بعد الحادثة؟

قالت بما أدهشني: طبعاً. أقابلهما.

ونادت على امرأة في البيت: ليلى، ليلى.

وجاءت المرأة.

قالت خالتي سعدية:

هذه ليلى زوجة ابني، أقصد ابنة عبدالحميد.





مركز الملك فيصل

يحقّق المرتبة الثانية بين أفضل المراكز العلمية العربية

حقّق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية المرتبة الثانية بين أفضل عشرة مراكز بحوث في العالم العربي، وذلك في التقرير الثاني الذي أصدره مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية حول تصنيف أهم مراكز الدراسات والبحوث العربية والدولية بعنوان: «تقييم مراكز الدراسات والبحوث العربية والدولية ٢٠١٣- ٢٠١٤م».

وأوضح الدكتور جمال السويدي -المدير العام لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية- أن المركز يتبع في إصدار هذا التقرير معايير محدّدة، يستثني فيها المركز نفسه من الدخول في المنافسة ضماناً للحيادية ونزاهة التقويم.

وأضاف أن الدافع الرئيس الذي حفز المركز إلى إصدار التقرير للعام الثاني على التوالي هو ما وجده التقرير الأول الصادر في العام الماضي من اهتمام ملحوظ من مراكز البحث والفكر في المنطقة العربية والعالم، مشيراً إلى أن إعداد التقرير الجديد استغرق وقتاً طويلاً من العمل الجاد والدؤوب امتد إلى شهور؛ لبلورة معايير علمية وموضوعية جديدة في تصنيف مراكز البحث والفكر، لا يشوب حياديتها أو نزاهتها أيّ شك.

وأكد السويدي أن أهمية إصدار هذا النوع من التقارير تتّضح من اهتمام معظم دول العالم بالاعتماد على الفكر والعلم والمعرفة؛ لطرح حلول ناجعة للتحديات المختلفة التي تواجهها.

والمراكز التي احتلت المراتب العشر الأولى بالترتيب، هي: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية المصري، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومركز دراسات الشرق الأوسط الأردني، ومركز دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويتي، ومركز البحرين للدراسات الإستراتيجية والدولية والطاقة، وكلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية الإماراتية، والمركز المصري للدراسات الاقتصادية، ومنتدى الفكر العربي الأردني، ومركز دراسات الوحدة العربية اللبناني، والمعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية المغربي.

شريحة

تحاكي العقل البشري

تمكّن علماء من إنتاج شريحة إلكترونية بحجم طابع البريد تحاكي عملية التنظيم التي يقوم بها المخ البشري، تحتوي على مليون وحدة كمبيوترية مضغوطة تسمى «العصبون». ويتّصل كل عصبون بـ٢٥٦ عصبوناً؛ ليتمكّن هذا العدد من تعرّف تفاصيل أيّ مشهد مرئي حقيقي؛ اعتماداً على قدر قليل جداً من الطاقة. ويمثّل هذا الإنجاز العلمي ثمرة جهود استغرقت وقتاً طويلاً بين عدة جهات، قادتها شركة آي بي إم.

وقال دهرمندرا مودها، كبير معدّي الدراسة: إن «الإجمالي التراكمي يعادل العمل الذي من الممكن أن يقوم به الفرد في ٢٠٠ سنة».

وأضاف: إن هذا المعالج الإلكتروني هو «مكنة جديدة لعصر جديد». لكن الأمر سيستغرق بعض الوقت حتى تنتج تلك الشريحة، التي أطلق عليها العلماء اسم ترونورث، في شكلها النهائي، ويبدأ استغلالها تجارياً.

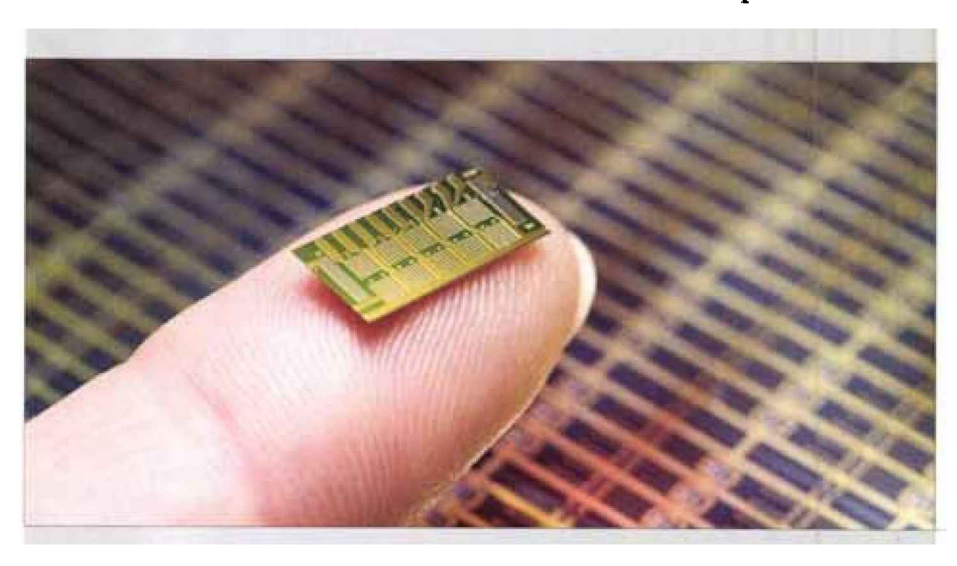
وتوفّر البنية المتشابكة إلى حدّ بعيد، والمحاكية لعمل المخ البشري، التي يُشار إليها بأنظمة نيرومورفاتيك، مثل ترونورث، قدراً أكبر من الكفاءة في التعامل مع كميات كبيرة من البيانات في الوقت نفسه.

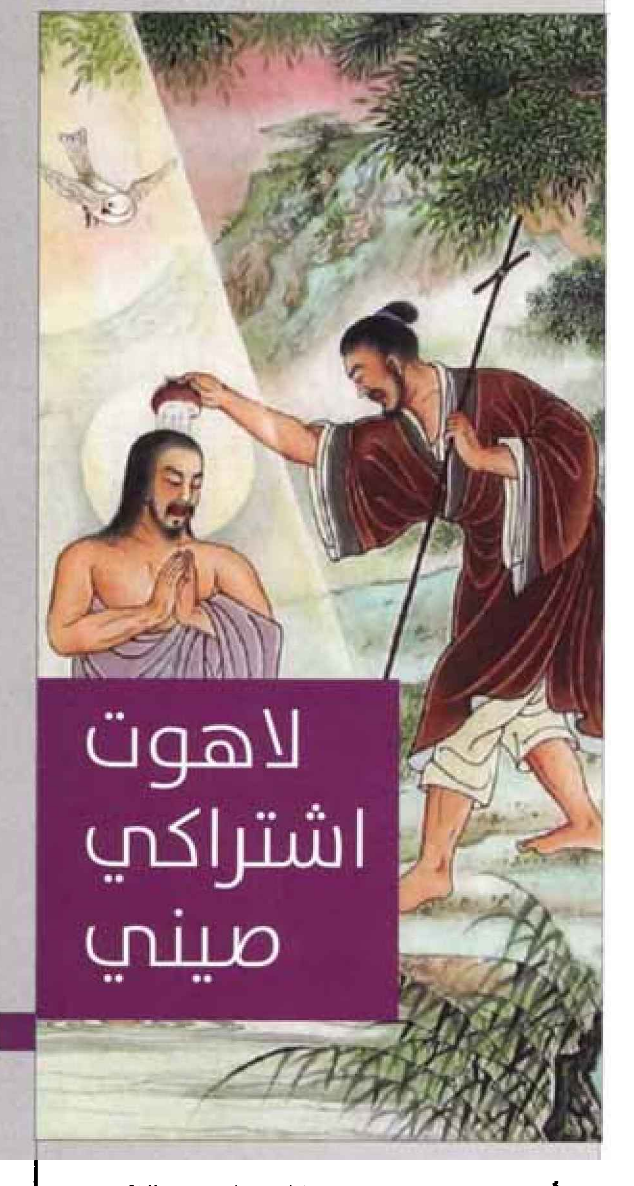
وترى صوفي -زميلة الأكاديمية الملكية للهندسة والأكاديمية الملكية- أن هناك دوراً مستقبلياً كبيراً سيؤديه الجيل المقبل من إستراتيجيات تشغيل الحاسب الآلي، التي تقوم عليها فكرة الشريحة الخارقة.

وأضافت صوفي: إنه «من الواضح أن المعالجة العددية تزداد صعوبةً في أثناء تنفيذ هذه المهام»، موضحةً أن صور جوجل -على سبيل المثال- تقوم بمهمة رائعة لتعرّف صورة قطة، لكنها تستخدم نظم كمبيوتر معقدة جداً.

ومن أجل إلقاء الضوء على قدرات ترونورث، برمج مودها وفريقه تلك الشريحة لتقوم بخداع الإدراك البصري.

فقام الفريق باستخدام مقطع فيديو مصوّر لبرج جامعة ستانفورد، وحلّلت شريحة واحدة الصور المتحركة التي يتضمنها الفيديو، وتعرّفت مساحة نقاط الشاشة التي تعرض المشاة، وراكبي الدراجات، والسيارات، والحافلات، والشاحنات أسفل البرج.





لاهوت اشتراكي صيني

أوردت صحيفة «تشاينا دايلي» الصينية الحكومية أن بلادها تعتزم وضع «لاهوتها المسيحي» الخاص المنسجم مع الثقافتين الصينية والاشتراكية.

وقال وانغ زيوان؛ المسؤول في إدارة الدولة للشؤون الدينية: «يجب أن ينسجم وضع اللاهوت المسيحي الصيني مع الظروف الوطنية، ويندمج مع الثقافة الصينية». واللاهوت على الطريقة الصينية «يجب أن ينسجم مع طريق الاشتراكية»، الذي اعتمده الحزب الشيوعي الصيني. ويراوح عدد المسيحيين في الصين بين ٢٣ و٤٠ مليون بروتستانتي؛ أي: بين ١٫٧ و٢٫٩٪ من السكان. ويتقبّل سرّ العمادة سنوياً نحو ٥٠٠ ألف شخص من البروتستانت الصينيين كما أوردت «تشاينا دايلي».

وأشار وانغ إلى أنه «في العقود الأخيرة ازدهرت الكنائس البروتستانتية الصينية بسرعة كبيرة في سياق سياسات دينية وطنية».

ويشرف الحزب الشيوعي إشرافاً وثيقاً على الممارسات الدينية، وهو يتخوّف من بروز سلطات مضادة، ولا يستطيع أتباع مختلف الديانات المعترف بها الاجتماع إلا في أماكن مصرّحة.



هنري كيسنجر: تخاريف خريف العمر

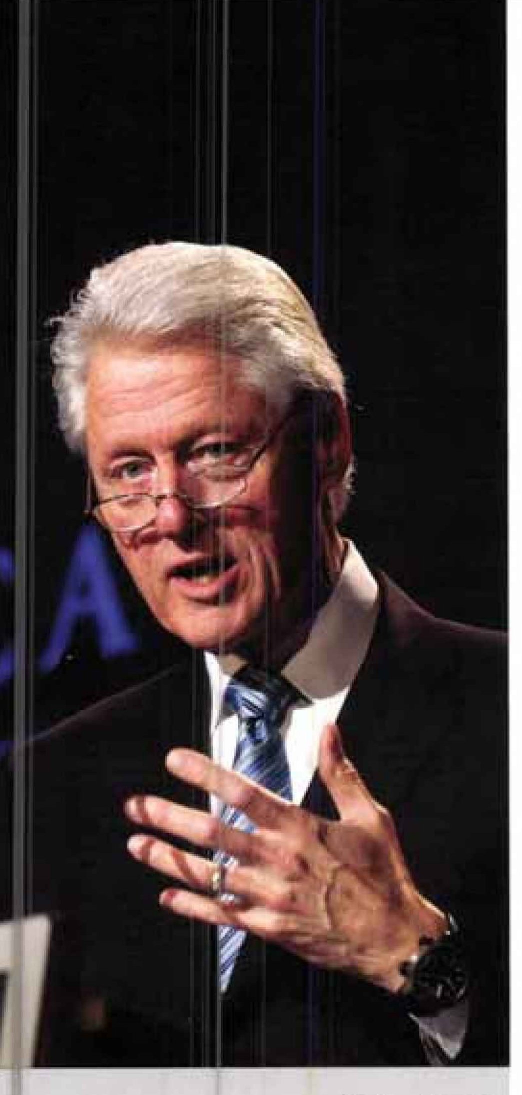
أوردت صحيفة نيويورك بوست تصريحاً لهنري كيسنجر -وزير الخارجية الأمريكية السابق- يقول فيه: «إنه بعد عشر سنوات لن تكون هناك إسرائيل»، وأوضحت المحررة أن مقالها الذي نشرت فيه هذه التصريحات كان دقيقاً؛ إذ قال كيسنجر لها جملة تحمل هذا المعنى، ونصّها حرفياً: (In 10 years, there will be no more Israel)، وهو ما يعني أن «إسرائيل» لن تكون موجودةً على الخريطة الدولية في عام ٢٠٢٢م.

وتشغل نهاية إسرائيل في عام ٢٠٢١م، وعام ٢٠٢٢م، قرّاء الطالع والنجوم وبعض المتخصصين في الميثولوجيا، حتى في «إسرائيل» نفسها، وتمتلئ بهذه النبوءات شبكة الإنترنت، بعضها من الكتب المرموقة والمحترمة، ككتاب: «زوال إسرائيل نبوءة قرآنية أم صدفة رقمية»، الذي صدر في عام ١٩٩٢م لمؤلفه بسام جرار، وهو أستاذ الرياضيات في جامعة القدس، طُبع عام ٢٠٠٠م بدمشق، وصدر عن دار الشهاب، وغيرها كثير من الكتب والمقالات والدراسات.

ويشير محمد بن سعيد الفطيسي في موقع المركز الفلسطيني للإعلام، نقلا عن صحيفة الوطن العمانية، إلى أن الذهنية الكيسنجرية مازالت مستمرة في انحدار التركيز والمصداقية، وتردي الأفكار والآراء، والانجراف وراء خليط من الأساطير والميثولوجيا الدينية والسياسية التنظيرية، وتأثره بمرجعيته الأصولية والأيديولوجية الصهيونية، التي انعكست على لغة خطابه السياسي، أو تصريحاته الصحفية والإعلامية. وأوضح الكاتب أن تصريحاته من جهة تناقض بعضها بعضاً؛ فالمتابع لها يجد أنه فاقد قدرته على التركيز والربط بين ما يقوله اليوم من أفكار وآراء وتصريحات وما قاله قبل مدة قريبة، وربما ما سيقوله في الأيام والشهور المقبلة، وإلا فكيف لـ «إسرائيل» حتى من خلال «الكهانة والعرافة وقراءة الطالع» أن تنتصر هي والولايات المتحدة الأمريكية، وتحتل نصف الشرق الأوسط في حرب كبرى مقبلة محتملة توقّعها كيسنجر في تصريح سابق وبين زوالها بعد عشر سنوات في تصريحه الأخير؟

وسخر قائلا: «تصريحات كيسنجر تلك ليست أكثر من كهانة رجل عجوز يحاول تعلّم الطالع وقراءة النجوم في مرحلة عمرية متأخرة، وقد تأثّر بخرافات سياسية ودينية كأمثال أصدقائه من الحاخامات اليهودية، ولا يمكن بحال من الأحوال «والعلم لله طبعا» أن تتحقّق قريباً في ظلّ الأوضاع الدولية الراهنة، خصوصاً أن «إسرائيل» اليوم تعدّ قوةً نووية وعسكرية لا يُستهان بها على الرغم من إخفاقها الذريع في عدد من الحروب التي خاضتها، خصوصا في لبنان.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى فكلنا يعلم أن وراء «إسرائيل» اليوم يقف كثير من الدول الكبرى في العالم، وعلى رأسها القوة العظمى الأولى؛ أي: الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعدّ القفاز الذي يحمي تلك المستعمرة، ومن الصعب أن تسقط «إسرائيل» قبل انهيار الولايات المتحدة الأمريكية بالكامل، وعجزها عن الدفاع عن طفلها المدلّل، الذي لا يمكن -بحال من الأحوال- توقّع حدوثه بناءً على المعطيات الدولية الراهنة في القريب العاجل، أو حتى المدى الزمني المتوسط».



كلينتون تحت العيون الإسرائيلية

أوردت صحيفة جيروسالم بوست زعم أرون بريغمان -الخبير السياسي البريطاني الإسرائيلي- بأنه يمتلك أدلة تثبت تجسّس إسرائيل على الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون عبر التنصّت على اتصالاته الهاتفية مع الزعماء العرب.

وقال بريغمان: إن أدلته تثبت وضع الاستخبارات الإسرائيلية أجهزة تنصّت على هواتف كلينتون؛ للتجسّس على مكالماته التي كانت من أبرزها مكالماته مع الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، وينوي بريغمان وضع هذه الأدلة في كتابه الجديد «الفوز الملعون: تاريخ إسرائيل والأراضي المحتلة».

من أسرار غرف الفنادق:

احتمال التجسّس والتلوث

في تجربة للبي بي سي لمعرفة احتياطات النظافة التي يجب أن يتّخذها روّاد الفنادق، لجأت إلى (موقع كورا Quora)، وطرحت السؤال الآتي: ما الذي نجهله بالنسبة إلى غرف الفنادق؟ جاءت الإفادات مثيرة؛ فالعين السحرية لباب الغرفة (وهي ثقب في باب الغرفة مزوّد بعدسة مكبّرة لتعرّف من يطرق الباب) يجب أن تكون شفافة ونظيفة، وأن تمكّن من الرؤية بوضوح، وإذا كانت غير صالحة بأيّ شكل من الأشكال فهي غير آمنة؛ فربما تكون كاميرا صغيرة مثبتة في باب الغرفة بشكل عكسي يسمح لمن هو خارج الغرفة بأن يسترق النظر إلى داخلها.

كما أن جهاز صنع القهوة قد يبدو نظيفاً في الظاهر، لكن لا أحد يعلم كيف كان يستخدمه النزيل السابق في الغرفة. فكّر في أشياء مثل أعقاب السجائر، والأقلام، أو ربما التقيّؤ.

أما الأكواب الزجاجية الموضوعة على الحوض في دورة المياه، فهي -في الأغلب- ليست نظيفة كما تبدو من مظهرها؛ فكلّ ما يفعله عمال النظافة في الفندق هو مسحها بخرقة، أو غسلها بماء عادي، ويفضّل أن يغسل النزلاء هذه الأكواب جيداً بالماء والصابون قبل استعمالها للتأكد من نظافتها.

أما أفضل مكان لوضع الأمتعة فهو المرحاض؛ لأن بق الفراش يحبّ الخشب؛ لذا يمكن أن يتسلّل إلى الثياب عن طريق ذلك الحامل الخشبي، أما الحامل المعدني فهو خيار أفضل.

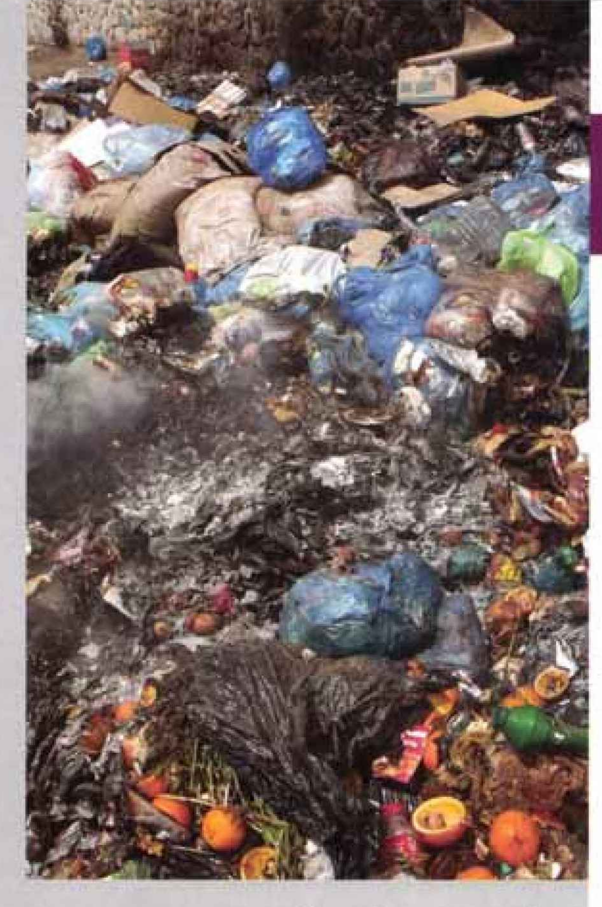
وجهاز التحكم من بعد (الريموت كنترول) الخاصّ بالتلفاز هو أكثر الأشياء تلوثاً في الغرفة، وأوضحت دراسة صدرت في عام ٢٠١٢م عن جامعة هيوستن أن أجهزة الريموت كنترول ملوّثة بدرجة دورات المياه نفسها.

ويحتاج استخدام زرّ مصباح الإنارة الجانبية إلى مسحه بفوطة مضادة للبكتيريا، أو رشّه برذاذ معقّم.

وتستخدم بعض الفنادق قضباناً تطلق أشعة فوق بنفسجية تقتل البكتيريا لدى تمريرها فوق محتويات الغرفة، كما بدأت هذه الفنادق في استخدام أجهزة ريموت كنترول مضادة للماء؛ لكي يسهل تنظيفها.

والنصيحة إحضار الفوط الخاصة، أو مواد رشّ مضادة للبكتيريا، أو استخدام كاشف البكتيريا لفحص الأشياء الموجودة بالغرفة؛ مثل: الأغطية، والهواتف الأرضية.





البلاستيك

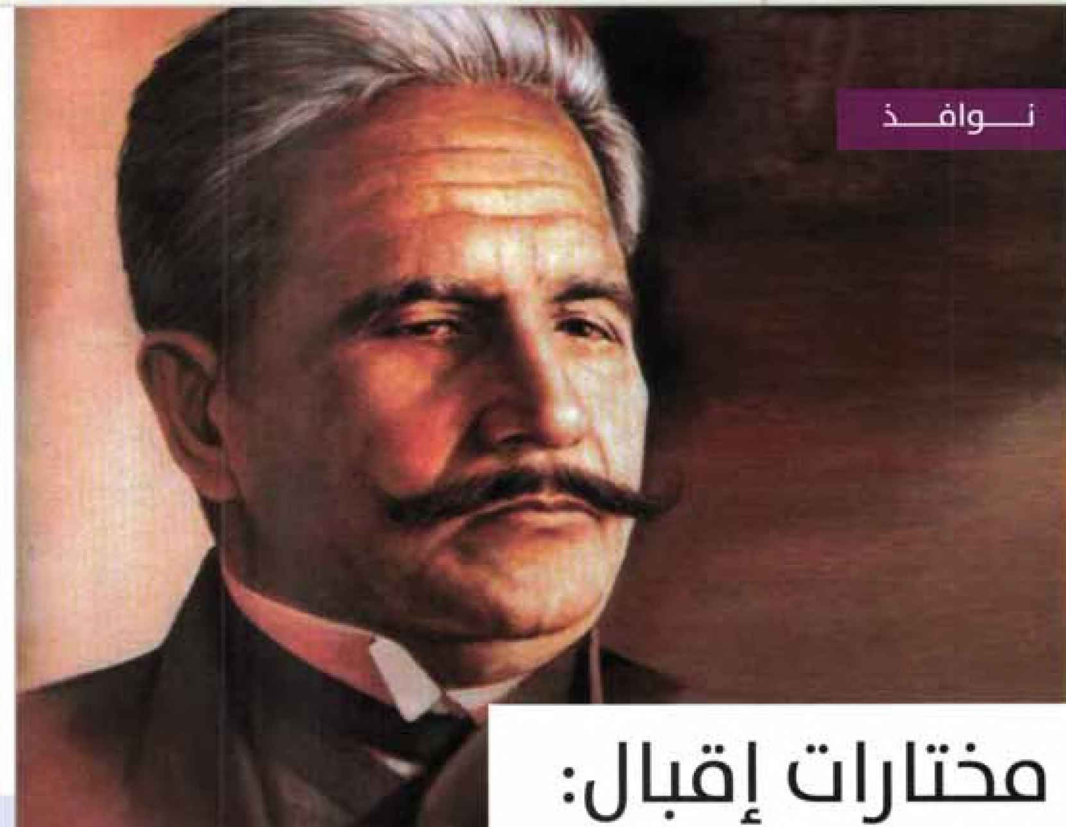
في السلسلة الغذائية للبشر

أوضح باحثون إسبان في دراسة نُشرت في الولايات المتحدة مؤخراً أن قطعاً دقيقةً من البلاستيك تلوّث ما يصل إلى ٨٨٪ من أسطح المحيطات في العالم، وتؤثّر سلباً في السلسلة الغذائية البحرية؛ إذ تبتلعها الأسماك وحيوانات بحرية أخرى.

وقال أندريس كوزار: الباحث في مركز الأبحاث العلمية في جامعة كاديز في إسبانيا: «إن التيارات البحرية في المحيطات تنقل قطعاً بلاستيكية مفتّتةً إلى جزيئات صغيرة بتأثير أشعة الشمس، وهي يمكن أن تبقى مئات السنين، وقد سجّل وجودها في ٨٨٪ من أسطح المحيطات».

وأكدت هذه الدراسة وجود خمس بقع كبيرة في المحيطات تجتمع فيها النفايات البلاستيكية، وتبتلع الحيوانات البحرية النفايات وتمتصها، وتدخل بذلك في السلسلة الغذائية.

وتقدّر الأضرار البيئية والاقتصادية الفادحة الناتجة من ذلك بنحو ١٣ مليار دولار سنوياً، بحسب الأمم المتحدة.



مختارات إقبال: الشوق إلى السماء

كتب محمد إقبال (١٨٧٧- ١٩٣٨م) شعره بالعربية، بل سعى إلى استنهاض همّة الأمة العربية في مواجهة الاستعمار الأجنبي في العالمين العربي والإسلامي. وقد أصدرت مجلة الدوحة القطرية ديوان شعر، عنوانه: (محمد إقبال: مختارات شعرية)، يشتمل على ٩٠ صفحة متوسطة القطع بمقدمة للناقد الجزائري بومدين بوزيد.

أوردت رويترز أن كثيرين، منهم: المصريون عبدالوهاب عزام (١٨٩٤- ١٩٥٩م)، والصاوي شعلان (١٩٠٢- ١٩٨٢م)، ومحمد يوسف عدس، والسوريان: عبدالمعين الملوحي (١٩١٧- ٢٠٠٦م)، وزهير ظاظا، ترجموا أعماله، وغنّت أم كلثوم قصيدة (حديث الروح)، فتضافرت فيها كلمات إقبال، ولحن رياض السنباطي، وأداء أم كلثوم، في سبيكة شجن صوفية، وإن لم تتضمن الأغنية أبياتاً، منها:

ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا
نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

وتثبت هذه المختارات أن (حديث الروح)، التي اشتهرت بعد أن غنّتها أم كلثوم، هي مختارات من أبيات قصيدتين لإقبال، بعنوان: (الشكوى)، و(جواب الشكوى). وفي قصيدة (الشكوى) يقول:

أشكو وفي فمي التراب وإنما
أشكو مصاب الدين للديان

وفي مقدمة عنوانها: (من الشرق إلى الغرب بحثاً عن الشرق) قال بوزيد: إن إقبال، الذي وُلد في ولاية البنجاب، ودرس الفلسفة في بلاده، ثم أكمل دراسة الفلسفة والاقتصاد في بريطانيا وألمانيا، عاد إلى الهند عام ١٩٠٨م، وعايش أحداثاً شهد فيها العالم انفجارات واضطرابات، «فترقّى عنده الشعور بالذات الإنسانية»، مستفيداً من ثقافته وأسفاره.

وأضاف: إن إقبال نهل من تراث المتصوّفة، خصوصاً في الشرق الإسلامي، وهو تراث يمتد إلى جلال الدين الرومي (١٢٠٧- ١٢٧٣هـ)، ونور الدين عبدالرحمن الجامي (١٤١٤- ١٤٩٢هـ)، كما اطّلع على الفلسفات الغربية والشعر الإنجليزي والألماني.

وسجّلت المقدمة ما قاله الكاتب المصري أحمد حسن الزيات (١٨٨٥- ١٩٦٨م) من أن إقبال «نبت جسمه في رياض كشمير، وانبثقت روحه من ضياء مكة، وتألف غناؤه من ألحان شيراز. لسان لدين الله في العجم، يفسر القرآن بالحكمة، ويصور الإيمان بالشعر، ويدعو إلى حضارة شرقية، قوامها الله والروح، وينفر من حضارة غربية تقدّس الإنسان والمادة.»

كما سجّلت أيضاً قول إقبال في آخر حياته: «أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً». ويفسّر بوزيد هذه الطمأنينة بأن إقبال كانت حياته حافلة بالشوق نحو السماء.

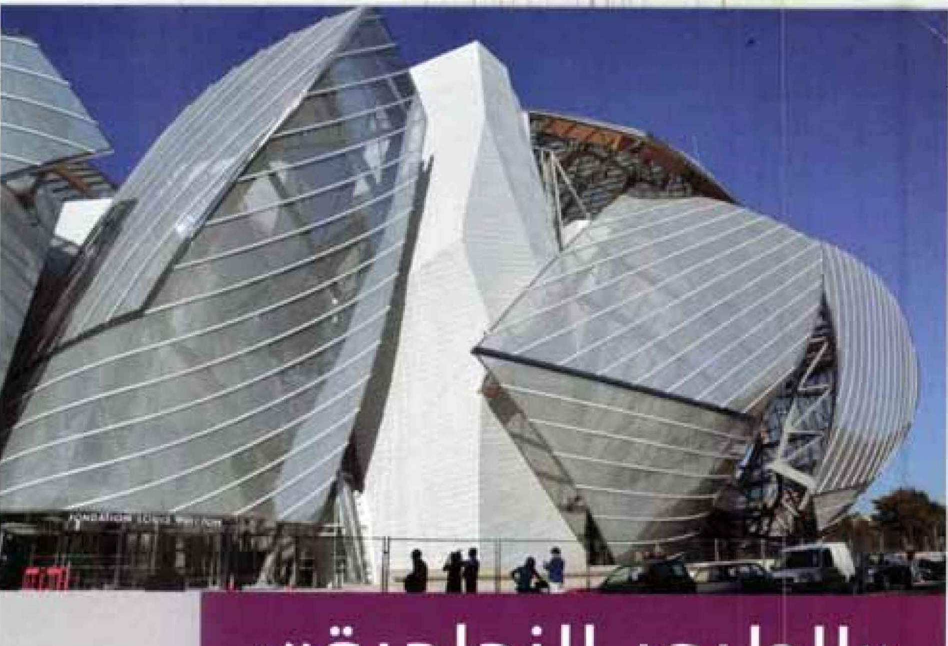


٣٣ شهراً في السجن مقابل فلم

قام فيليب دانكز (٢٥ عاماً) بتسجيل الجزء السادس من سلسلة أفلام «سريع وغاضب» Fast And Furious من المقاعد الخلفية لإحدى دور السينما، وحمّل الفلم على شبكة الإنترنت، وقام مستخدمون بتنزيله قرابة ٧٠٠ ألف مرة.

وقال اتحاد مكافحة سرقة حقوق النشر البريطاني: إن ذلك يعني أن شركة «يونيفرسال بيكتشرز»، المسؤولة عن توزيع الفلم، خسرت «ملايين الجنيهات». وقضت محكمة بريطانية بالسجن ٣٣ شهراً على دانكز، كما قضت بمعاقبة شخص آخر، يُدعى مايكل بيل، بأداء خدمة عامة غير مدفوعة الأجر مدة ١٢٠ ساعة.

وجاء في حيثيات الحكم أن بيل، الرفيق السابق لشقيقة دانكز، كان له دور في تحميل مادة الفلم على شبكة الإنترنت. وذكرت المحكمة أنه، إضافةً إلى تحميل الفلم على الإنترنت، عرض دانكز بيع نسخ من الفلم على حسابه الشخصي بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك. واستخدم دانكز حسابه على موقع فيسبوك لإطلاع أصدقائه على سير القضية، وكتب في ٢٠ أغسطس، قبل يوم واحد من جلسة الحكم: إن «الأمر لا يبدو جيداً». واستمر دانكز في توزيع الفلم بشكل غير قانوني حتى عقب إلقاء القبض عليه في مايو الماضي بحسب الشرطة.



«الطيور الزجاجية»: أحدث متحف في باريس

افتتح مؤسسة لويس فويتون، أي: الجناح الفني للشركة الفاخرة (إل في إم إتش)، متحف في باريس يشغل مساحة ١١ ألفاً و٤٤٠ قدماً مربعاً، وسيعرض أعمالاً للنجوم العالمية من الفنون. وقام بتصميم المبنى المعماري الشهير فرانك جيهري. وبحسب CNN يقدر تصميم المتحف بمبلغ تفوق قيمته ١٤٣ مليون دولار. ويمثل المبنى مقراً للمجموعات الفنية العامة والخاصة، ومكاناً للمعارض والعروض المؤقتة لفنانين معاصرين. وافتتح المتحف بشكل رسمي أمام الجمهور في ٢٧ أكتوبر ٢٠١٤م.

وأوضح برنارد أرنو -الرئيس التنفيذي لماركة (إل في إم إتش)، الذي تزيد ثروته على ٣٠ مليار دولار- لشبكة CNN أن هذا المتحف وسيلة الشركة لتقديم شيء مميّز إلى المدينة، مضيفاً: «هذا الأمر يثبت أننا مواطنون جيدون، ولا نعمل فقط من أجل الربح، بل أيضاً من أجل شيء أسمى». وستقدم لويس فويتون المتحف بجميع محتوياته إلى باريس خلال ٥٥ عاماً.

وقد استوحى جيهري تصميمه الهندسي من الحديقة الزجاجية في القرن الـ١٩، وأطلق على المبنى اسم (الطيور الزجاجية)، أو جبل (الجليد).

مايكروسوفت تلغي نوكيا

يبدو أن العلامة التجارية المشهورة للهواتف المحمولة (نوكيا) ستصبح شيئاً من الماضي بعد أن أفصحت شركة مايكروسوفت عن نيّتها الاستغناء عن علامة نوكيا التجارية واسمها على الهواتف الذكية الجديدة بعد مرور أقلّ من عام على استحواذها على الشركة الفنلندية لتصنيع الأجهزة المحمولة. وستحلّ (مايكروسوفت لوميا) محلّ (نوكيا لوميا)، بينما ستستمر الأقسام الأخرى في نوكيا، التي لا تصنع الهواتف.

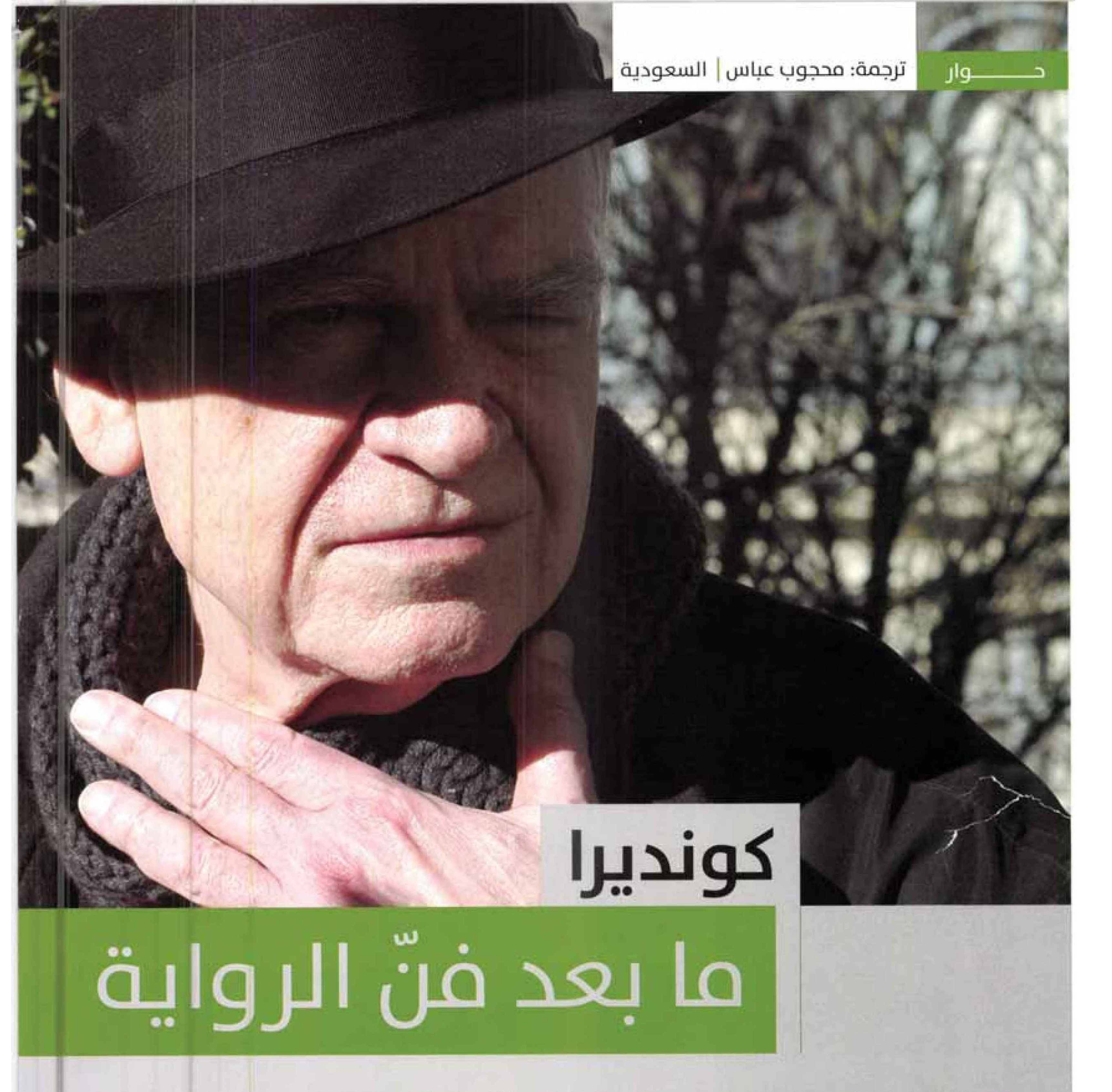
وكانت مايكروسوفت قد اشترت قسم الهواتف المحمولة لنوكيا في إبريل الماضي في صفقة بلغت قيمتها ٧,٢ مليارات دولار. وأكد تعليق نُشر على صفحة فيسبوك لنوكيا في فرنسا تغيير اسم علامة نوكيا على الهواتف الجديدة، وقالت مايكروسوفت: إن تغيير العلامة التجارية سينتشر تدريجياً على مستوى العالم في الوقت المناسب.

أمل جديد لمنتظري زراعة القلب

أعلن أطباء في جراحة القلب في أستراليا عن جراحة أولى من نوعها يمكن أن تمنح أملاً للمرضى الذين ينتظرون زراعة لقلوبهم من خلال زيادة عدد القلوب المتوافرة في الأصل. وأشار الأطباء في مستشفى سانت فينسنت في العاصمة الأسترالية سيدني إلى أنهم تمكّنوا من تنفيذ ثلاث عمليات زراعة للقلب توقّفت عن النبض في أجساد المتبرعين بها، بدلا من اللجوء إلى الأسلوب المعتاد بنزع الأعضاء من المتبرعين المصابين بالموت الدماغي. وكانت القلوب تتوقف لمدة ٢٠ دقيقة لتتم زراعة تلك القلوب لدى المرضى.

ويأتي جهاز جديد من اختراع شركة TransMedics ليدخل الدم المشبع بالأكسجين والهرمونات والمواد المغذية خلال عملية زراعة القلب، إضافةً إلى حقنها بمواد حافظة، عوضاً عن الأساليب المعتادة التي يتم من خلالها الاحتفاظ بالقلب في الثلج، وهي عملية يمكنها أن تؤدي إلى الإضرار بالقلب قبل زراعته، وتُعرف طبياً بمصطلح DCD، اختصاراً لـ donors after circulatory death.

ولا تزال قضية زراعة القلوب التي توقّفت عن النبض في أجساد أصحابها محلّ دراسة، وأشار مركز Victor Change لبحوث القلب، الذي عمل مع المستشفى في عمليات الزراعة الثلاث، إلى أن استعمال قلوب DCD سيزيد من القلوب المتوافرة للزراعة، فيقلّ الانتظار في طابور زراعة الأعضاء. وتذكر CNN أن العمليات الثلاث امتدت على مدى ثلاثة أشهر، وأن مَن تمكّنوا من الحصول على هذه القلوب شعروا بأن وضعهم الصحيّ أصبح أفضل مما كان عليه الحال قبل العمليات.



كونديرا
ما بعد فنّ الرواية

ميلان كونديرا كاتب وروائي تشيكي من مواليد عام ١٩٢٩م. تخرّج في الجامعة عام ١٩٥٢م، وكان له خلال الدراسة وبعدها إنتاج غزير في الشـعر والمسـرح والسـينما. كان عضواً في الحزب الحاكم آنذاك، إلا أنه فُصل منه مرتين، فتفرّغ لكتابة الرواية، واضطـر إلـى الهرب إلى باريس عام ١٩٧٥م، وحصل على الجنسـية الفرنسـية عام ١٩٨١م. له آراء جريئة وجديدة في فـنّ الرواية، وتتجلى تلك الآراء في معظم أعماله التي تتّسـم دائماً بعلوّ باع المعمار الروائي على المضمون، وكان يقول: إن البناء والأسـلوب لهما أولوية على المحتوى؛ لأن المهمة الأساسـية للكاتب تتعدى الدعوة إلى الحقيقة إلى الكشـف عنها. وهذا الكشـف هو الذي يعطي أعماله طابعها الكوني العام، تماماً كما عند جارسيا ماركيز وسولزنستين. وفي رأي كثير من المهتمين بالأدب فإن كونديرا نجح في تحويل تشيكوسلوفاكيا، التي احتضنته طفلاً وشاباً في مقتبل العمر، إلى أسـطورة حية تفرض سـلطانها على الجميع. وقد تجلّت هذه الأسـطورة بشـكل باهر في معظم أعماله الروائية وغير الروائية، وهي: المزحة، وكتاب الضحك والنسـيان، والخلود، وكينونة غير محتملة، والجهل، والحياة في مكان آخر، إلى جانب كتاب (فنّ الرواية).

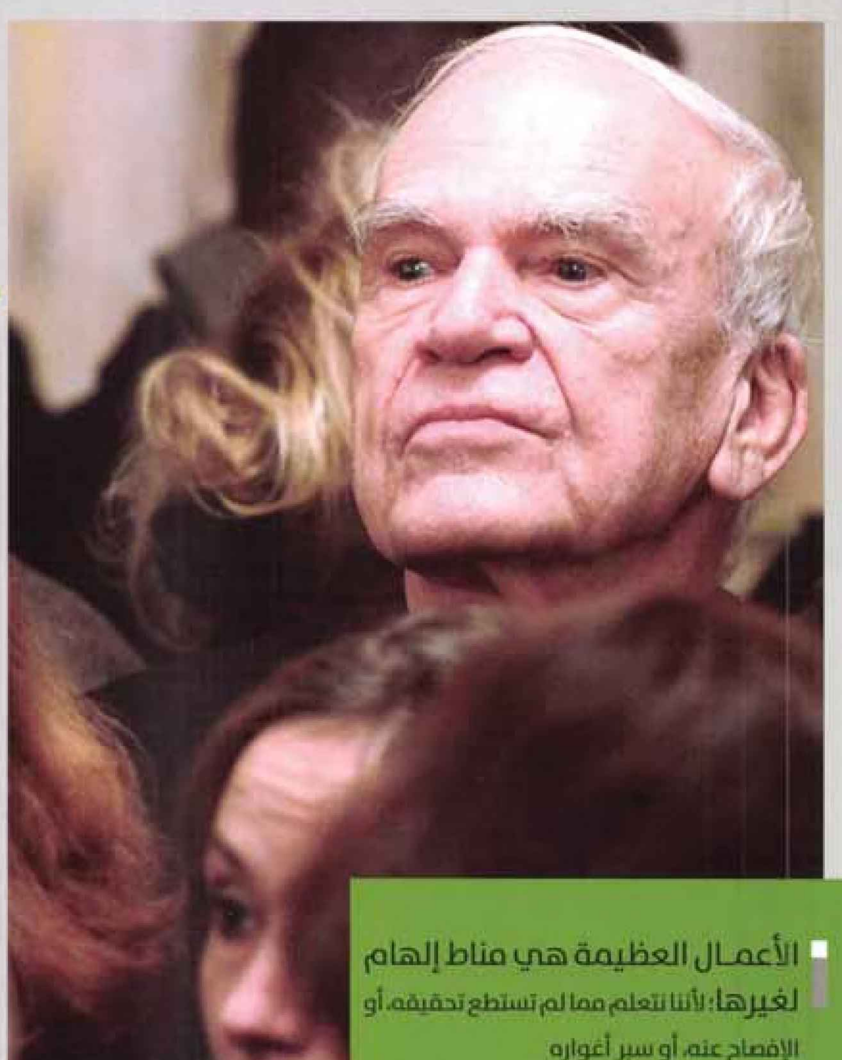


المقابلة المنشورة فيما يأتي تعكس آراء كونديرا ورؤاه عن فنّ الرواية بعد صدور كتابه بالعنوان نفسه قبل عدة سنوات، ولا تتعرّض لأيّ قضايا اجتماعية أو سياسية، سواء على مستوى وطنه الأم، أم الجديد، أم الغرب عامةً، مع أن لكونديرا إلماعات فكرية خطيرة عن كلّ ما يشغل عالمنا المعاصر؛ فهو -على سبيل المثال- لا يشعر بالانخلاع الثقافي والروحي لتبنّيه الجنسية الفرنسية؛ لأنه يؤمن بأن التشيك مرتبطون بالغرب منذ أكثر من ألف عام، وأياً كان الأمر فإنه ما زال جزءاً لا يتجزأ من «روح براغ»، تلك الروح التي جسدها كافكا وهاسيك وميلوس فورمان.

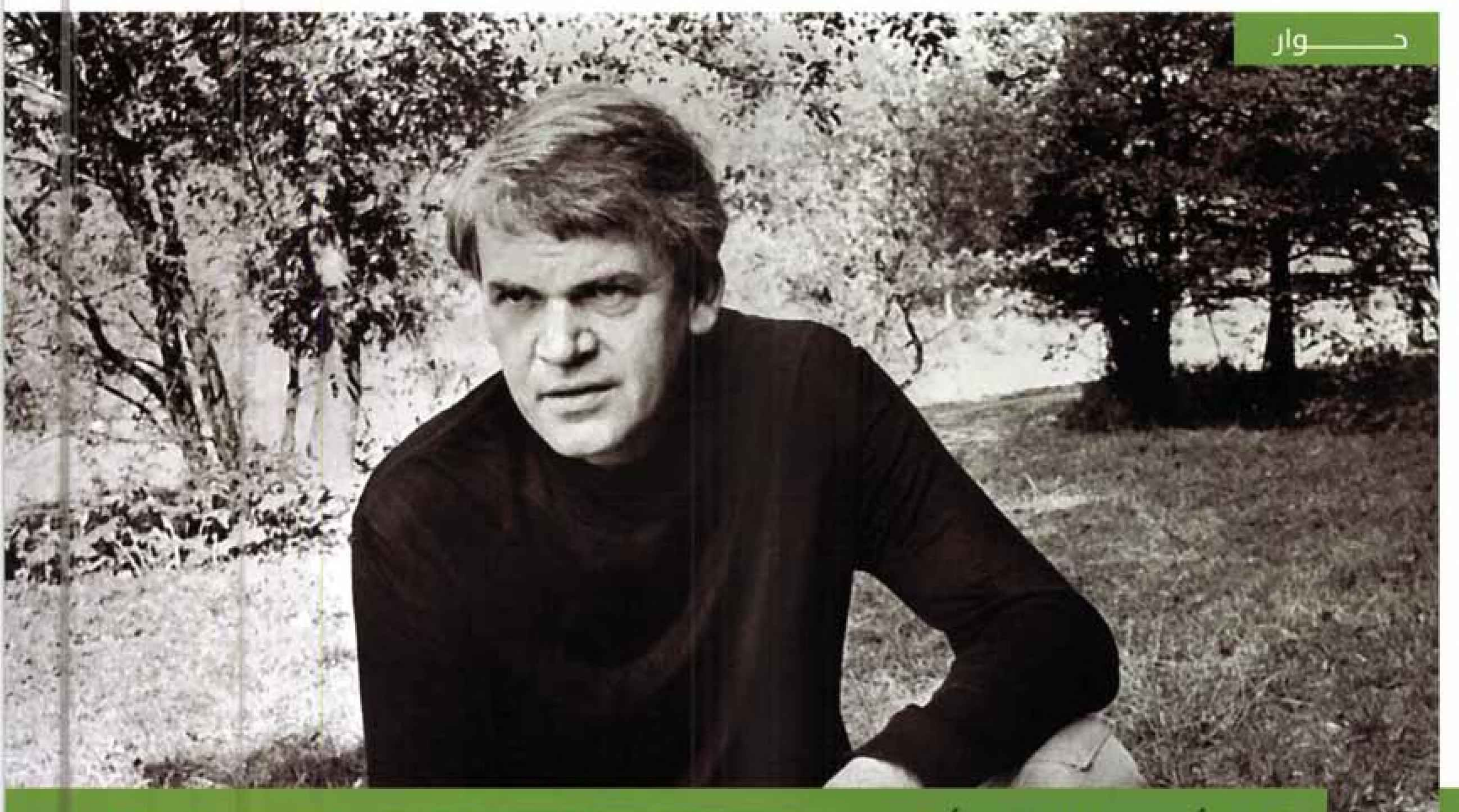
الحوار الآتي هو حصيلة عدة لقاءات أجرتها (باريس ريفيو) مع كونديرا. وتعدّ هذه الحصيلة الأولى من نوعها؛ لأن كونديرا لم يشترط تزويده بالأسئلة قبل إجراء الحوار، وقبل أن يكون اللقاء أو اللقاءات حرة، شريطة موافقته على النصّ النهائي قبل نشره. كما أن هذا الحوار فريد من ناحية أخرى؛ لأنه أتى بعد سنوات من نشر كتابه عن (فن الرواية)، وأتاح للروائي تنضيد أجمله، أو ما لم يقع عليه تفصيل في الكتاب المذكور، وتحديداً مفاهيم مثل: تعدّد الأزمان، والأصوات الروائية، أو البوليفاني، والحبكة الحلمية، وغيرها من هموم الرواية المعاصرة.

على كثرة ما يُنسب إليك من فتوحات جديدة في مجال الرواية دعنا نبدأ بمسألة الرواية السيكولوجية، ومفهومي: تعدّد الأصوات في الرواية الواحدة؛ أي: البوليفوني Polyphony، والرواية المشخصة لتواريخ مختلفة Polyhistory؟

بعض مَن سبقونا من روائيين علّقوا آمالاً غير محدودة على الرواية ومستقبلها، بوصفها أعلى وأرقى تركيب فكري، وآخر حيّز لطرح الأسئلة الكلية عن العالم والحياة. وعلى أساس هذا العلوّ الفكري فإن الرواية العظيمة تطوي جميع نطاقات الشعر، والفنتازيا، والفلسفة، والمقالة، وتضعها في سلّتها. هيرمان بروك -على سبيل المثال- أعلن نهاية الرواية السيكولوجية، وبداية الرواية التاريخية الموسوعية Polyhistorical، وعدّ رواية (الصيف الهندي) تجسيداً لهذا المطلب. رواية



الأعمال العظيمة هي مناط إلهام لغيرها؛ لأننا نتعلم مما لم تستطع تحقيقه، أو الإفصاح عنه، أو سبر أغواره



لو كتبتُ سبع روايات لما وضعتُ يديّ على اللحظة الوجودية الأساسية لعصرنا من خلال عمل روائي واحد

(الصيف الهندي) عدّها نيتشه أيضاً أحد أكبر أربعة أعمال روائية ألمانية، لكن قُلْ لي: مَن الذي يذكر هذا العمل اليوم؟ بل إنني على يقين أن تلك الرواية غير قابلة للقراءة الآن. دعني أكشف لك السبب: هذه الرواية تقول كلّ شيء عن طبوغرافية الأرض، وعلم النبات والحيوان، والحرف، والفنون الجميلة، والهندسة، لكنها لا تقول أيّ شيء عن الإنسان والوضع البشري عامةً. هذه التأريخانية، سواء أكانت حقيقيةً أم مزعومةً، تفتقد إلى الشيء الجوهري الذي يميّز الرواية من غيرها من الأشكال الأدبية، وهو إضاءتها -وليس إضاعتها- حقيقة الوجود. بهذا المعنى يمكن للرواية المتعددة الجذور والمنابت التاريخية أن تؤدي دورها الحصري: كشف ما لا يمكن كشفه إلا بالسرد.

• في مقال لك في (باريس ريفيو) تقول: إن كلّ عمل روائي عظيم يتّسم جزئياً بعدم الاكتمال، وإن هذا هو سبب عظمتها؟

الأعمال العظيمة هي مناط إلهام لغيرها؛ لأننا نتعلم مما لم تستطع تحقيقه، أو الإفصاح عنه، أو سبر أغواره. صفة أو سمة عدم الاكتمال عند بروك أو تولستوي أو سواهما تحثّنا على البحث عن أشكال جديدة، وإستراتيجيات أكثر فاعلية، منها:

- تخليص الرواية من الزوائد الطفيلية، والتفاصيل الثانوية؛ لنقبّض لها إمساك عصب الوجود المعاصر بالنواجذ من دون إهدار مبدأ سلاسة المعمار الروائي.

- زجّ الأفكار والرؤى الفلسفية والعلمية والسردية في قالب واحد، أو بالأحرى ما يشبه الجملة الموسيقية الواحدة والموحدة على الرغم من التنافر الظاهري لهذه المكونات.

- اعتماد المقال السردي وتطويره عوضاً عن اللجوء إلى أساليب أخرى مفارقة أو افتراضية أكثر مباشرة.

يبدو أن الملاحظات الثلاث السابقة تشكّل جوهر برنامجك الروائي؟

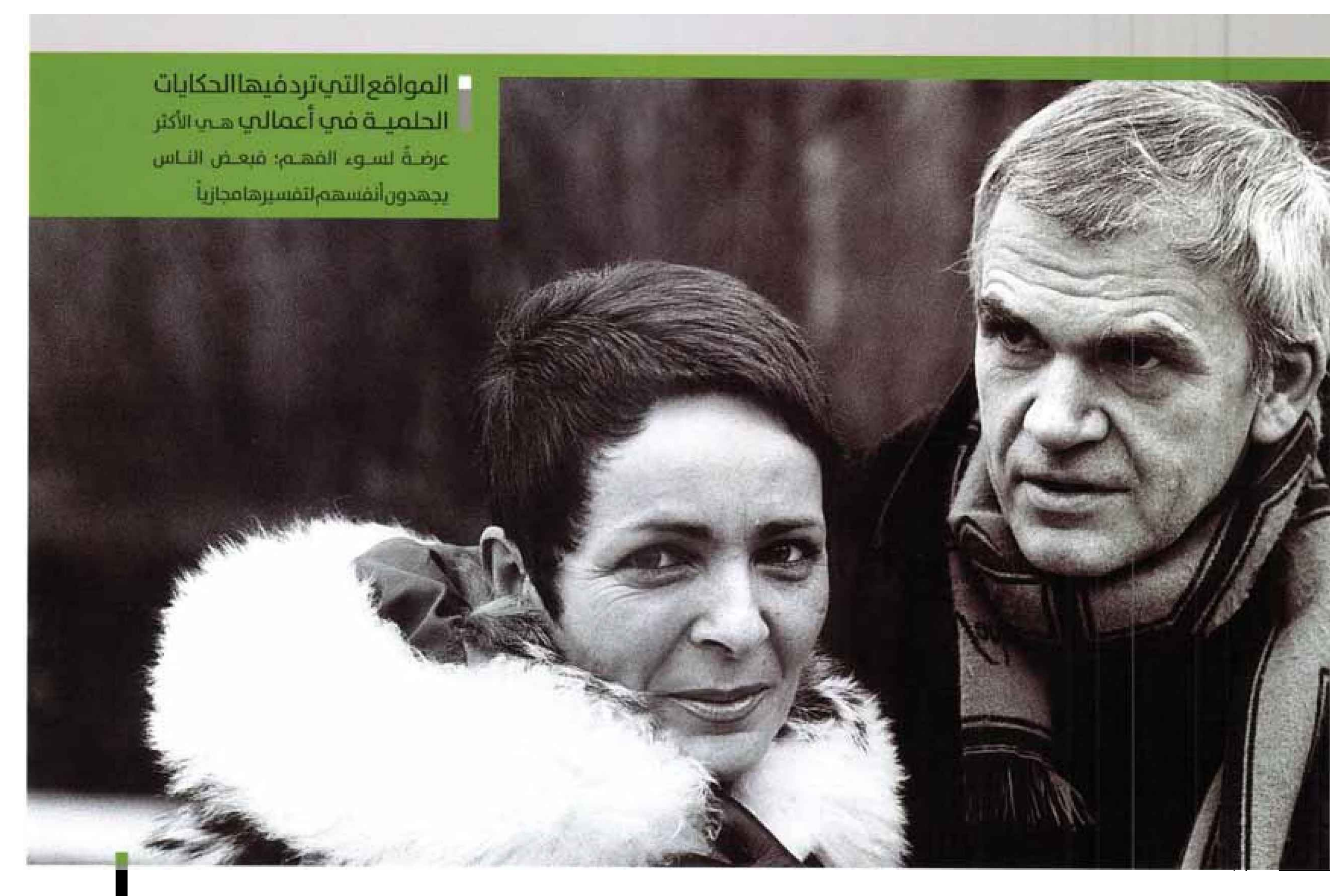
لن تكتسب الرواية قيمتها التاريخية، وقدرتها على الإحاطة الحقيقية بجوهر الوجود، إلا إذا أجادت تقنيات الحذف والاختزال والتكثيف، وإلا وقعت في محاذير الإطالة المملة وغير المجدية من وجهة نظر إبداعية. تخيّل قلعةً منيفةً لا تستطيع الإحاطة بكلّ تفاصيلها بنظرة واحدة، تخيّل تحفةً موسيقيةً تستغرق ستّ ساعات، هذا شيء لا يُحتمل. هناك حدود أنثروبولوجية لا يجوز، بل لا نقدر على تجاوزها؛ فهناك حدود لطاقة الإنسان، وهناك حدود للذاكرة البشرية. بعد الفراغ من قراءة رواية يجب أن تكون قادراً على استحضار بدايتها، وإلا فقدت الرواية قوامها، وتصدعت قشرتها الأرضية.

روايتك (كتاب الضحك والغفران) تحوي سبعة أجزاء، لو أنك ترفّقت قليلاً في اللجوء إلى التكثيف والحذف والاختزال ربما كنت كتبتَ سبع روايات منفصلة؟

لو كتبتُ سبع روايات لما حققتُ الشيء الجوهري، وهو وضع كلتا يديّ على اللحظة الوجودية الأساسية لعصرنا من خلال عمل روائي واحد. المهم عندي هو انطلاق سهم الرواية ليصيب قلب الأشياء مباشرة من دون لفّ أو دوران كما يُقال. من هنا لجأت إلى التكثيف والحذف؛ لأنني غير معنيّ بتقديم شخصيات روائية، أو وصف بيئتها الاجتماعية، أو تصوير موقعها وموضعها التاريخي، ورصد مواقفها، وسرد أحداث لا قيمة لها. إن أسلوبي واضح وبسيط: تحرير الرواية من الرهانات الآلية المحفوظة والسدادات اللفظية والبلاغية. لا تنس أن الحاسوب الاصطناعي قادر على كتابة رواية حسب القواعد المحفوظة والمكررة إذا تمّ تزويده بها، وعقل الروائي أيضاً مزوّد بحاسوب خاصّ. أتدري ما الفارق بين هذين الحاسوبين؟ الفارق الأساسي هو أن الأول لا يحمل، ولا يمكن أن يحمل، ذرةً واحدةً من فكرة أصيلة، ومهمتي الأساسية هي تحطيم ذلك الحاسوب ودعاة الكتابة الأرتوماتيكية ومناصريها.

دعوتك إلى تعدّد الأصوات الروائية ألا ترهق كاهل الرواية، أو تجعلها عاجزةً عن الوفاء بهذا المطلب من دون الإخلال بالشروط الفنية والجمالية؟

تعدّد الأصوات أو البوليفوني يتم بوسائل وطرائق كثيرة؛ فمثلاً: في رواية (دون كيشوت) هناك حكاية رئيسة، هي حصيلة أسفار الفروسية الخيالية والحقيقية التي ترتكز عليها الرواية، إلى جانب حكايات وروايات فرعية مستقلة لعدة شخصيات يتم إدراجها في متن الحكاية الأصلية من دون أن نحسّ بأنها تشكّل خروجاً أو مساساً بالمسار الطبيعي للرواية. النموذج الآخر للبوليفوني، أو تعدد الأصوات، نجده عند دوس باسوس، أو جان بول سارتر، في رواية «المهلة Reprieve»: إذ تسير الحدوتة الأساسية والفرعية جنباً إلى جنب من دون انسجام حقيقي؛ فتعدد الأصوات في


المواقع التي ترد فيها الحكايات الحلمية في أعمالي هي الأكثر عرضةً لسوء الفهم: فبعض الناس يجهدون أنفسهم لتفسيرها مجازياً

رأيي لا يكون ناجحاً من الناحية البنائية والجمالية إلا إذا تكافأت العناصر وتقاربت من دون أن يطغى صوت على آخر. وفي حالة سارتر مثلاً: من دون أن يطغى الأصلي على الفرعي، أو العكس. خلاصة القول: تقنية تعدّد الأصوات الروائية تكون مقبولة إذا:

- تساوت الأصوات وحقّقت أعلى قدر من التكافؤ.
- صارت الرواية بنيةً كليةً غير قابلة للتفتيت أو التشظّي.

وفيما يخصّني شخصياً من هذه التقنية أشير إلى أنني أستخدمها في معظم أعمالي؛ ففي (كتاب الضحك والغفران)، في الجزء السادس على وجه التحديد، هناك أربع حكايات، هي:

- حكاية حلمية عن موت تامينا.
- حكاية عن وفاة والدي.
- أطروحة عن الموسيقا.
- تأمّلات في وباء النسيان الذي اجتاح براغ في حينه.

ما العلاقة بين وفاة والدي وموت تامينا تحت وطأة التعذيب؟! إنه شبيه بلقاء مكنة الخياطة مع المظلة كما يقول لوتريامون في قصيدته المشهورة. تعدّد الأصوات الروائية في ظنّي ممارسة شعرية أكثر منها تقنية وحيدة الجانب.

● تقنية البوليفوني غير حاضرة بشكل ظاهر في «الخفة غير المحتملة للوجود»؟

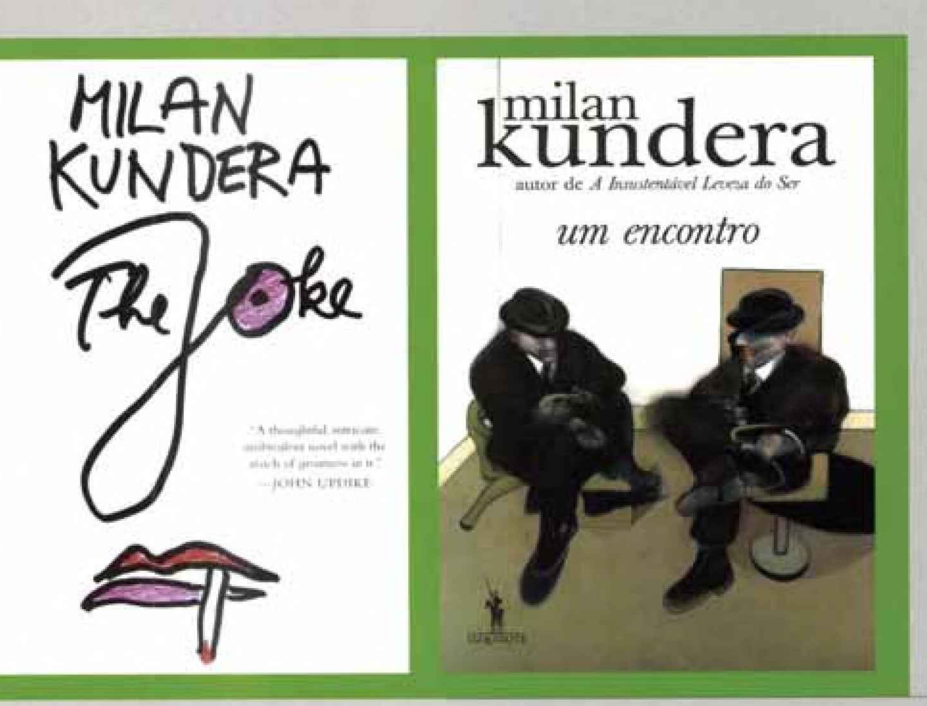
هذه مسألة مقصودة؛ ففي هذه الرواية حرصت على تدفّق الحلم والسرد والتأمّلات معاً في مجرى واحد وطبيعي، لكن الطابع المتعدّد للرواية بادٍ للغاية في الجزء السادس: قصة ابن ستالين والتأملات اللاهوتية، وحدث سياسي في آسيا، وموت فرانز في بانكوك، وتشييع توماس في بوهيميا؛ فأينما تتحرّك هو السؤال الأبديّ: ما سقط المتاع؟. العناصر المتعددة التي ذكرتها آنفاً هي بمنزلة العمود الفقري لهذه الرواية، ومفتاح لفكّ ألغازها وطلاسمها بالنسبة إليّ على الأقلّ.

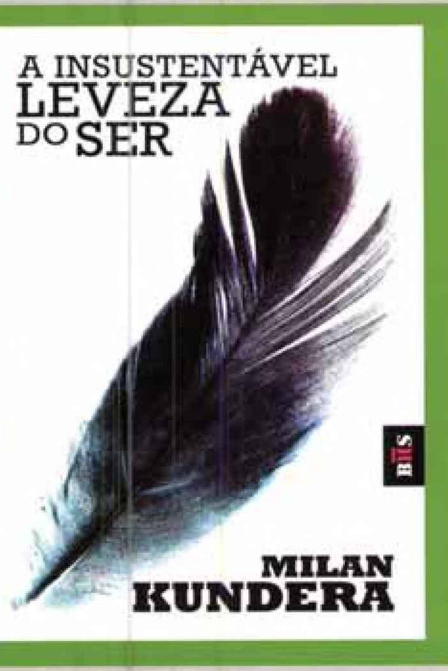
● تحدثت عن المقال الروائي بوصفه مكوّناً عاماً في الأعمال الروائية، ألا تخشى الغبار الأيديولوجي للمقال داخل العمل الروائي؟ ولماذا يطرح الكاتب تأملاته أياً كانت في نطاق الرواية، وليس خارجها؟

في رأيي أن كلّ التأملات التي تُودع في باطن الرواية تختلف عن تلك التي تُذاع خارجها. داخل الرواية كلّ شيء فرضيات ليس إلا، بينما خارج الرواية تكون التأملات أفعالاً يقينية وتأكيدات. ثم إن المقال الروائي ليس أطروحةً عن فلسفة الروائي؛ لأن الروائي الحقيقي في رأيي لا فلسفة له. بعض الناس يتحدثون عن فلسفة تشيكوف، أو كافكا، أو موسيل، لكننا في حقيقة الأمر لا نجد أيّ بناء نظري فلسفي متماسك وواضح في آثار هؤلاء الكتّاب. حتى الأفكار التي نجدها في دفاترهم الخاصة لا تعدو أن تكون تمرينات فكرية مرتجلة. والفلاسفة الذين لجأوا إلى الرواية للإفصاح عن رؤاهم؛ كألبير كامي، وفولتير، وغيرهما، كانوا أشباه روائيين، ولم يكتشفوا أبداً ذلك الشيء الذي «تقدر الرواية وحدها على الإفصاح عنه».

● لن يكتمل الحديث عن تعدّد الأصوات الروائية، أو البوليفوني، من دون التعرّض لعنصر الحكاية الحلمية التي تستخدمه في كلّ أعمالك الرئيسة، وكذلك في «الخفة غير المحتملة للوجود» من خلال أحلام تريزا؟

المواقع التي ترد فيها الحكايات الحلمية في أعمالي هي الأكثر عرضةً لسوء الفهم؛ لأن بعض الناس يجهدون أنفسهم لتفسيرها مجازياً، أو كما لو كانت مشبعةً برسائل رمزية. ويمكن أن أقول بكلّ صراحة: إن (أحلام تريزا) ليست وقائع مشفّرةً، ولا مُلغزةً، بل هي تراتيل شعرية عن الموت، ولا نلتمس لها أيّ معنى خارج جمالها الخاصّ، الذي يملك بدوره القدرة على التنويم الإيحائي. وقد عانى كافكا -وما زال يعاني- إساءة الفهم



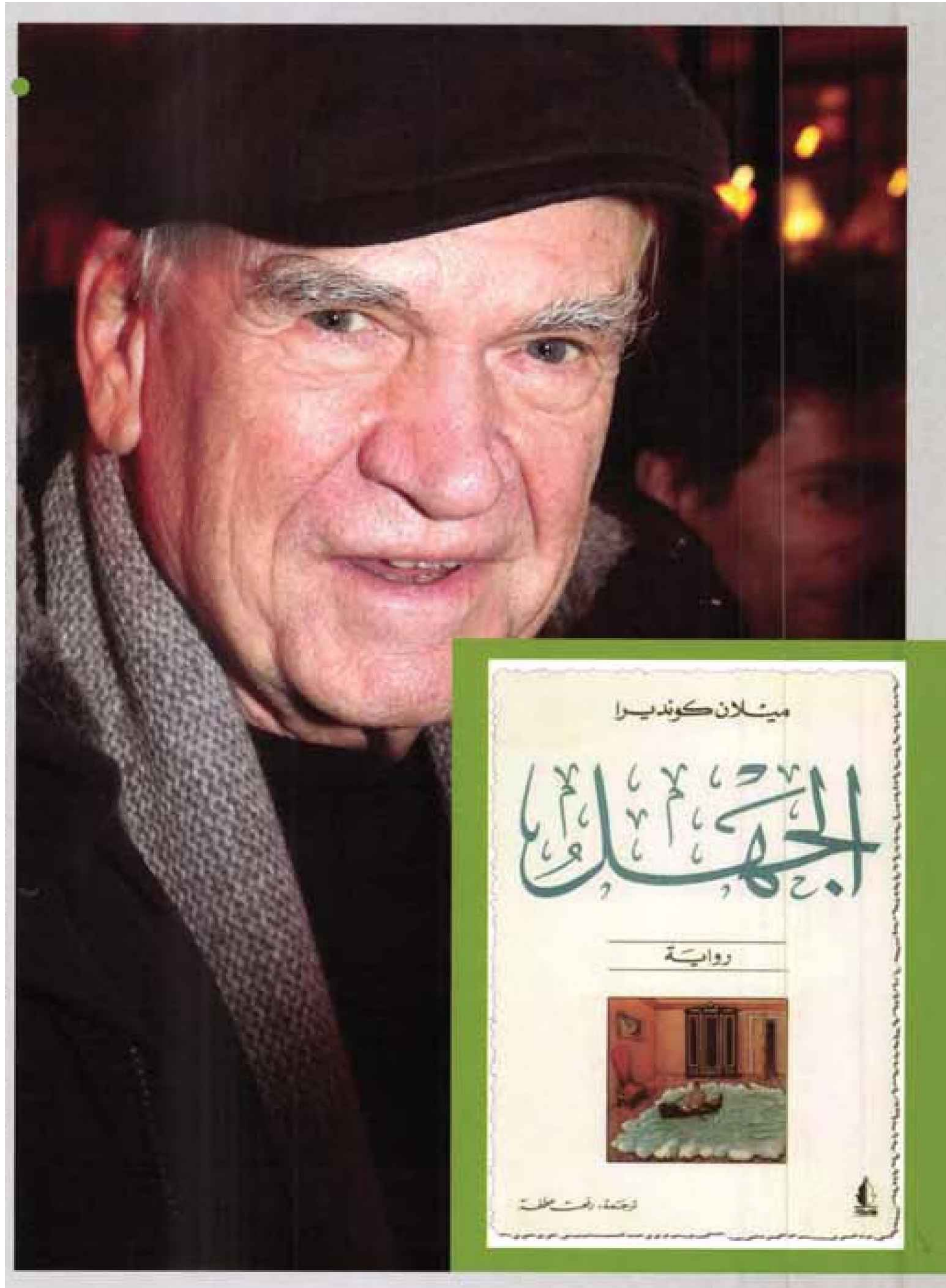


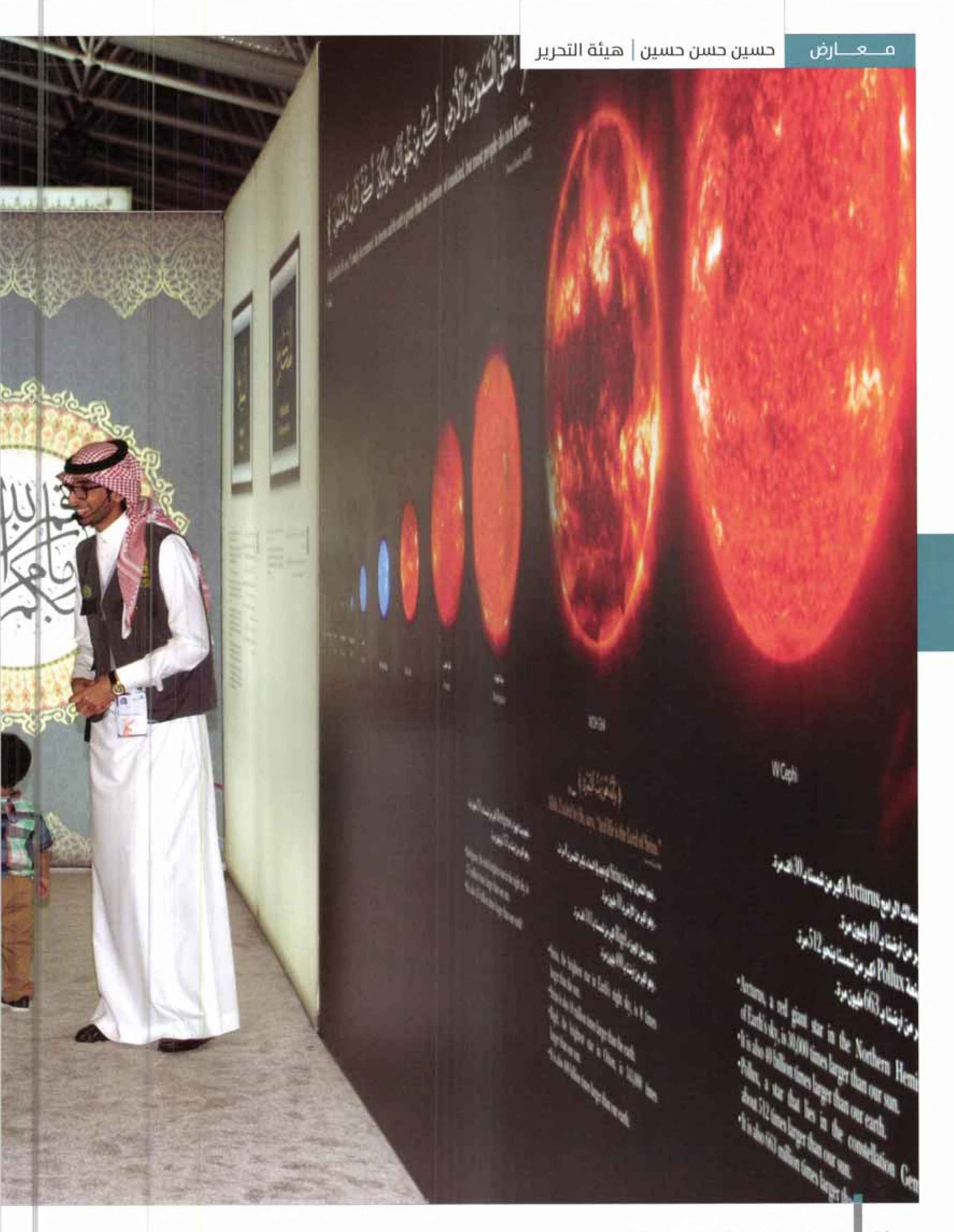
والقراءة؛ لأن بعضنا، عوضاً عن مجاراة خياله الطليق، ينزع إلى محاولة تفسير أعماله بواسطة رواسم؛ مثل: «الحياة عبث لا طائل من ورائه»، أو «السعادة حلم بعيد المنال» عند كافكا؛ لذلك أقول: إننا يمكن أن نخرج من سوق الرواية المعاصرة بخُفَّيْ حنين إذا لم ندرك أن كلّ متخيّل له قيمة في حدّ ذاته. وقد أدرك نوفاليس القوة التحريرية الهائلة الكامنة في الأحلام، وأنها تجعل الحياة على الرغم من رتابتها جديرةً بالعيش، وقد سعى في سائر أعماله الروائية إلى مزج الواقع بالحلم؛ حتى يصعب التمييز بينهما. وقد آلت راية نوفاليس إلى كافكا بعد مئة عام من وفاة الأول، وسواء تأثّر كافكا بنوفاليس أم لا فإن كلّ أعماله الرئيسة؛ كـ(المحاكمة)، و(القلعة)، و(أمريكا)، وغيرها، تمثّل مزجاً مدهشاً للحلمي والواقعي؛ فلا يشعر القارئ بلحظة الانتقال من أحدهما إلى الآخر.

ولا بد من استطراد في هذا المقام؛ إذ هناك ما يشبه الإجماع حول أن الإنسان المعاصر يفقد رويداً رويداً الموهبة التي تجعله يعبّر عن حيرته الوجودية، واحتفاله بالكينونة. ويترافق مع ذلك افتقاده ما يكفي من الخيال، حتى إن هذا الأخير نادراً ما يتخطّى الاستعادة الميتة لتفاصيل حياته اليومية وملابساتها، التي نطلق عليها اسم (الواقع)، أو (حياة اليقظة). مقابل هذا الواقع، أو حقل المعاينة المعاشة كما يقول إريك فروم، هناك عالم آخر نلتقيه خلال النوم، وهو عالم الأحلام؛ ذلك المستودع الهائل الذي يحتوي على خبراتنا الماضية، وعلى ذاكرتنا، الذي لا علم لنا بوجوده في حياة اليقظة.

هل ما زلنا في معيّة كافكا والحبكة الحلمية؟

نعم، إذا عددنا الحلم شكلاً آخر من أشكال الوجود يتبقى أن نقول: إن الحلم يبتدع قصصاً لا تحدث وقائعها على الإطلاق، كما أنها في بعض الأحيان لا تمتّ إلى الواقع بصلة. ومعظم الأحلام لا تخضع لأحكام المنطق التي تحكم أفعال اليقظة، كما أنها تجهل مقولات الزمان والمكان جهلاً تاماً. والحلم قد يضعنا حيال حدثين يجريان في وقت واحد، وقد يدمج شخصين في شخص واحد، وأحياناً يجعلنا موجودين في مكانين مختلفين في الوقت ذاته، وهو ما يناقض ظاهرياً الحقائق المعيشة والواقعية؛ لذلك نسأل: كيف يتسنّى لنا أن ندرك أن ما في الحلم لا يتّصف بالواقعية، وأن الخبرة المعيشة في أثناء اليقظة هي الواقعية؟. هذا هو عالم كافكا الروائي؛ إذ تنمحي الفوارق بين الحبكة أو الفكرة الحلمية والواقع، ويندمج أكثر الكوابيس رعباً مع وقائع نسمّيها عادةً موضوعية أو معيشة. هذا كلّه يحدث في كلّ روايات كافكا؛ كـ(المحاكمة)، و(أمريكا)، و(التحوّل)، وسائر القصص القصيرة، ولا يعدو أن يكون تجسيداً كثيفاً لدمج الواقع والحلم، واستحالة التمييز بين ما هو واقعي وغير واقعي. لقد أحدث كافكا ثورةً جماليةً حقيقية، واجترح معجزةً فاتنةً غير قابلة للتكرار. وبالنسبة إليّ لا أطمع إلا في الاستعانة بالوقائع والأفكار الحلمية من خلال تقنية تعدّد الأصوات الروائية، ولا أسعى إلى دمج الحلم والواقع كما فعل كافكا.







إثراء المعرفة:

متعة المحتوى وروعة العرض

(إثراء المعرفة) برنامج له أبعاده الثقافية، والعلمية، والإبداعية، والترفيهية، موجّه بصيغة عصرية إلى جميع أفراد الأسرة، وهو إسهام كبير من شركة أرامكو السعودية في تعزيز جهود التحوّل إلى مجتمع المعرفة.

وهذا البرنامج الثرّ بمحتواه، وبمستوى إخراجه الفني، جزء من برامج مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي الذي تقوم الشركة بإنشائه في الظهران.

وإذا كان الجواب يبين من عنوانه كما يُشاع، فإن زائر المعرض الذي أقيم بالرياض يتأكّد من ذلك قبل أن ينزل من السيارة؛ إذ تلفت انتباهه واجهة المعرض التي وظّفت التقنيات الحديثة في تحويلها إلى قطعة فنية راقية، تأتلف فيها الحركة مع الضوء ووسائل البهر الأخرى، وهي تبثّ رسائل لها مغزاها وتأثيرها في وجدان المتلقي، كما تنبئ بأن الزيارة تستحقّ، وتمنح الزائر طاقةً واستعداداً للتمتّع بالدهشة.







سياحة روحية

معرض (أسماء الله الحسنى) يقدّم صوراً معبّرة عن قدرة الله سبحانه وتعالى، ويوظّف في ذلك تقنيات مرئية ومسموعة حديثة، إلى جانب اللوحات والمجسمات الفنية، والأفلام الوثائقية، كما يسخّر المؤثرات السمعية، والتقنيات الصوتية والضوئية، ومختلف وسائل العرض الباهرة، ليتعرّف الزائر إلى أسماء الله الحسنى ودلالاتها بأسلوب جذاب وشائق، وليتعزّز في داخله الإيمان بقدرته سبحانه وتعالى.

وتبلغ إحدى اللوحات التي تبرز قدرة الله تعالى وعظمته نحو ٣٤٠ متراً مربعاً، ويشمل العرض تقديم أربعة أفلام وثائقية تخاطب الوجدان بأسلوب فني راقٍ، توظّف فيه الإمكانات التقنية العالية، التي تحاول أن ترتقي لتبرز شيئاً بسيطاً من عظمة الله وآياته في الكون.

ويضمّ المعرض تسع قاعات رئيسة، تشمل: قاعتي الاستقبال وكبار الزوار، اللتين تقدمان تعريفاً موجزاً بالمعرض، كما تحويان عرضاً عن (المجموعة الشمسية)؛ للتعريف بها مقارنةً بحجم الأرض للدلالة على عظمة الخالق سبحانه. وتقدم (قاعة المحبة والحياء) تعريفاً بأسماء الله الحسنى من خلال شرح دلالة الأسماء من القرآن والسنة، والتعريف بمعانيها، مع التركيز في الآثار الإيمانية لمعرفة هذا الاسم في الإنسان.

وفي (قاعة العرض البانورامي) عرض متحفي حديث عبر شاشة عملاقة عرضها ١٥ متراً تعمل بتقنية HD، يوضّح للزائر حقيقة حجم الإنسان مقابل حجم الأرض والشمس وسائر الكون الفسيح.

وتحتوي (قاعة الخوف والخشية) على صور ولقطات ولوحات ورسوم توضيحية تكشف

أسباب الخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى، بينما تحمل «قاعة التعظيم والإجلال» الزائر على التفكير العميق في عظمة الله وقدرته سبحانه وتعالى باستعراض لوحات لظواهر كونية لها. وفي «قاعة الوداع» يطّلع الزائر على مجموعة من الوصايا المتعلقة بأسماء الله الحسنى.

وحرصاً على معرفة آراء الزوار، والوقوف على انطباعاتهم، تتوافر شاشة تفاعلية تلتقط صورة الزائر، ويستطيع أن يعبّر عن مرئياته ووجهة نظره، مع توضيح بياناته الشخصية. يقدّم المعرض معلوماته باللغتين العربية والإنجليزية، ويوجد مجموعة من الشباب المؤهّل الذي يقدم شرحاً وافياً لمكوّنات المعرض للزوار، مع الإجابة عن أسئلتهم.

الطاقة همّ العصر

يبدو جناح المركز السعودي لكفاءة الطاقة قريباً من الزوار؛ لأنه يقدّم المعلومات عبر بيئة حياتية حقيقية، وبأسلوب يمكن وصفه بالسهل الممتنع. وانعكس ذلك على الإقبال الكبير عليه؛ إذ اصطفّت الطوابير الطويلة أمام الجناح.

يضم جناح كفاءة الطاقة بيئة تحاكي المنزل، أياً كان مستواه؛ فهناك منزل زجاجي يشتمل على غرف وأجهزة منزلية، تقدّم من خلالها معلومات قيمة لوسائل توفير الطاقة.

ومن الأسرار التي أفصح عنها الجناح لزوّاره أن اختيار جهاز التكييف الحاصل على نجوم عليا يعني أنه أكثر كفاءة، وأقلّ في استهلاك الطاقة. وقدّم المتطوعون لزوّار الجناح نصائح قيمة، منها الحرص على استخدام قدر الضغط في حالة الرغبة في تسريع عملية الطهي؛ لأنه يوفّر الطاقة، كما نصحوا باستخدام قليل من الماء في حال استخدام مكنة القهوة وغلاية الشاي لتوفير الطاقة، إلى جانب الاهتمام بغسل فلتر التكييف مرتين شهرياً، مع ضبط درجة حرارة التكييف على ٢٤ درجة مئوية، خصوصاً أن التكييف يستهلك أكثر من ٦٥٪ من فاتورة الكهرباء. ومن النصائح أنه يجب ألا يُكتفى بإطفاء جهاز التلفاز مع إبقاء الموصل الكهربائي في المقبس (الفيش)؛ لأن استهلاك الكهرباء في هذه الحالة يستمر بسبب وضعية (الاستعداد).

ويهتم الجناح بالتعريف بالطاقة البترولية من خلال إحصاءات ومقارنات في الإنتاج والاستهلاك على المستوى المحلي والعالمي، وعلى المستوى الفردي والمجتمعي. ومن

قهوة الفن

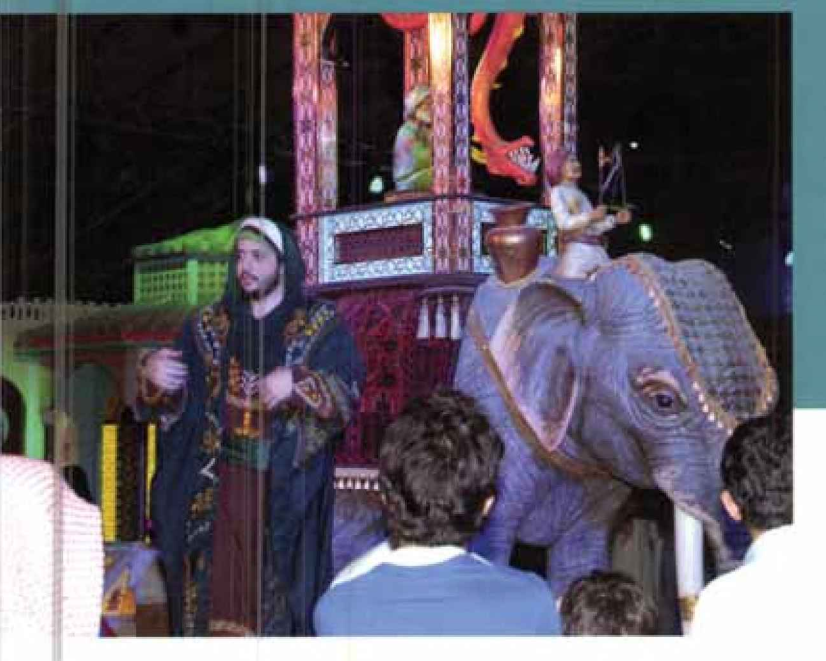
تجمع «قهوة الفن» مبدعين في مجالات الفنّ التشكيلي، والخط العربي، والحرف التراثية، وتشتمل على مجموعة من ورش العمل، التي تتيح الحوار المباشر بين المهتمين من مختلف الأجيال. وقدّم الفنانون في هذه القهوة مجموعةً من التجارب الفنية التي أثرت المعرض، وكانت ملتقى أنظار الجمهور، الذي أدار حواراً مع الفنانين حول أعمالهم.





مسابقة رسوم الأطفال

طرحت أرامكو السعودية عبر قهوة الفنّ مسابقتها السنوية لرسوم الأطفال، التي حملت عنوان «وطننا أمانة»، وهدفت إلى تعزيز التوعية بقيم المواطنة، ودمجها مع القيم الجمالية. وتقدّم إلى الفائزين جوائز تشجيعية، ويحكم الأعمال فريق مختصّ من الفنانين المحترفين، ويشارك فيها آلاف الأطفال من عشاق الرسم.



المعلومات اللافتة للنظر أن الفرد في المملكة يستهلك نحو ٤٠ برميل بترول سنوياً، وهو ما يمثّل ضعف استهلاك الفرد الأمريكي.

ويضم الجناح قسماً مخصّصاً للأطفال من أجل تقديم معلومات في هذا المجال تتناسب مع مستوى فهمهم وإدراكهم، وهم يتفاعلون في هذا القسم بإنتاج طاقة خفيفة من طريق دراجات تساهم في تشغيل آلة فقاعة الصابون والضوء.

وينبع أهمية هذا الجناح من أزمة الطاقة التي يواجهها العالم، واهتمام الدول بتلمّس السبل لترشيد استخدامها من أجل الحفاظ على ديمومتها من غير أن تمثّل عبئاً على أفراد المجتمع.

عوالم من الإبداع والبهر

جناح (ألف اختراع واختراع) يتّسم بالحيوية والتنوّع في أسلوب العرض؛ فمن إحساس بأنك في إحدى دور السينما وأنت تشاهد عرضاً لما يشتمل عليه الجناح، إلى الانتقال إلى ما يشبه سوق عكاظ؛ إذ ينادي المنادي (يا قوم)، وهو ما يستدعي الانتباه والالتفاف حوله لمعرفة (ما الخطب)، ثم مشاهدة عرض حيّ يتقمّص فيه أحد الممثّلين البارعين دور عالم من علماء المسلمين في عصر عنفوان الحضارة الإسلامية، وهو يقدم معلومات

قيمة وبسيطة عن العصر الذي عاش فيه العالم، وكيفية وصوله إلى اختراعه، وأثر هذا الاختراع في مسيرة الحضارة الإنسانية. وتقدّم شاشات متناثرة في أرجاء الجناح معلومات ثرّة عن علماء كثيرين أغنوا حياة الإنسان في كلّ مكان بما قدموه من أعمال جليلة تطوّرت وبلغت في هذا العصر شأواً عظيماً. وتقدم هذه المعلومات باللغتين العربية والإنجليزية. ويستطيع الزائر أن يضع سماعةً على أذنه ليسمع المعلومات وهي تتدفق سلسةً من خلال أداء معبّر لأحد الممثلين باللباس التاريخي.

ويقف الأطفال من خلال عروض تفاعلية على أساس بعض الاختراعات، ويجيب عن أسئلتهم مختصون لهم قدرة واضحة على إيصال المعلومة بأسلوب شائق وجذاب.

رخص قيادة للأطفال

تستخدم هذه القرية أسلوباً نوعوياً يجمع بين الترفيه والتعليم: فالطفل يستقل عربة، ويطوف بها في أرجاء القرية، التي تحاكي الشارع الطبيعي حيث إشارات المرور، والمنحنيات، وهي تتطلب أنواعاً من الاستجابة من الطفل بما يعكس مدى وعيه المروري، وفي الوقت نفسه يقف على بعض التعليمات التي عليه اتباعها بالتفاعل الحيّ.

وعندما يجتاز الطفل الاختبار بنجاح يحصل على رخصة قيادة تدلّ على استيعابه المعلومات، وقدرته على تطبيقها.

وينتشر في القرية المتطوّعون الذين يمنحون الأطفال الثقة بمداعبتهم، وتوجيههم بلطف، وإرشادهم إلى ما يجب أن يفعلوه في المواقف المختلفة، مع تقديم شرح نظريّ يبيّن لهم أهمية احترام قواعد المرور، والتزام مبادئ السلامة.

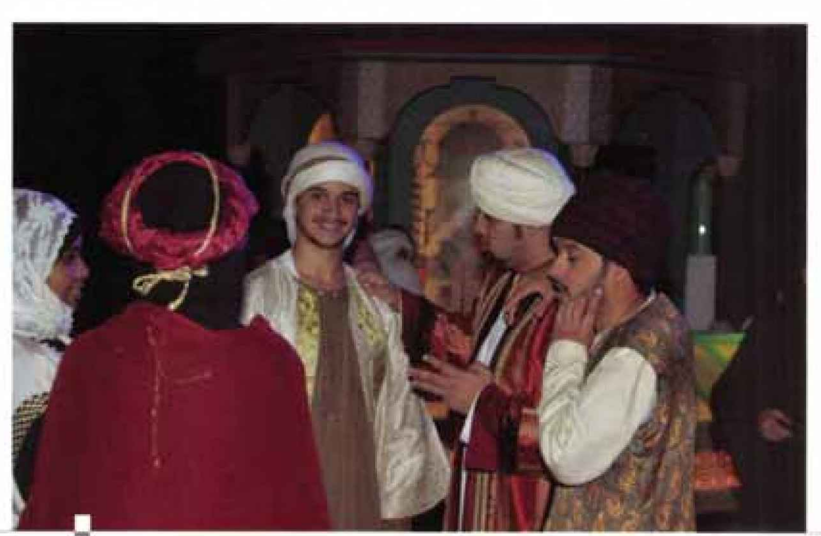
للمبدعين استوديو خاصّ

يقدّم الاستوديو رعايةً كبيرةً للمبدعين الشباب عن طريق دورة قصيرة تقدّم بالتعاون مع youtube في إنتاج الأفلام القصيرة وإخراجها بأسلوب الإعلام الجديد، وتقدم الأفلام محتوى ثراً حول موضوعات اجتماعية باستخدام الكاميرات الشخصية والأجهزة المحمولة. وتشمل الدورة أساسيات تجميع المحتوى، واستخدام الكاميرا، والإضاءة، والصوت، والمونتاج. ويتيح الاستوديو للمشاركين إنتاج أعمالهم، ورفعها على موقع youtube؛ للمشاركة في مسابقة استوديو البارعين، الذي رُصدت له جوائز قيمة.



استوديو البارعين

يتشكّل «استوديو البارعين» من ورش عمل تتضمن تجارب علمية مبسّطة للأطفال تساعدهم على فهم نظريات فيزيائية ورياضية. وتم تصميم المحتوى بالتعاون مع متحف العلوم «إكسبلورتريم» في سان فرانسيسكو، وهو يساعد على زيادة شغف الأطفال بالعلوم التطبيقية لدى العقول الناشئة.





يعمّق المعرض فكرة العمل التطوعي لدى الشباب، ويتيح لهم تطوير قدراتهم في العمل في بيئة تفاعلية، وتطوير مهارات الاتصال مع مختلف طوائف المجتمع، وتلمّس أفضل الوسائل في الإقناع، والإسهام في التخطيط للفعاليات وإدارتها وتنفيذها بأعلى قدر من النجاح المتميّز.

وشارك في هذا المعرض أكثر من ٥٠٠ متطوع ومتطوعة قدّموا الفعاليات، وعاونوا الجمهور، وأسهموا في المحافظة على جوانب دقة التنظيم والسلامة، وخدمة الزوار بكفاءة عالية، ووجد منهم ذوو الاحتياجات الخاصة كلّ اهتمام ورعاية، ومثّل الجانب النسائي أكثر من ٨٠٪ من المتطوعين. وكان للمركز الإعلامي برئاسة الأستاذ خالد الطويلي دور كبير في تسهيل مهمة الإعلاميين في تغطية المعرض.

محمد محمود فايد | مصر



سلفادور عرنيطة:
موسيقار من القدس



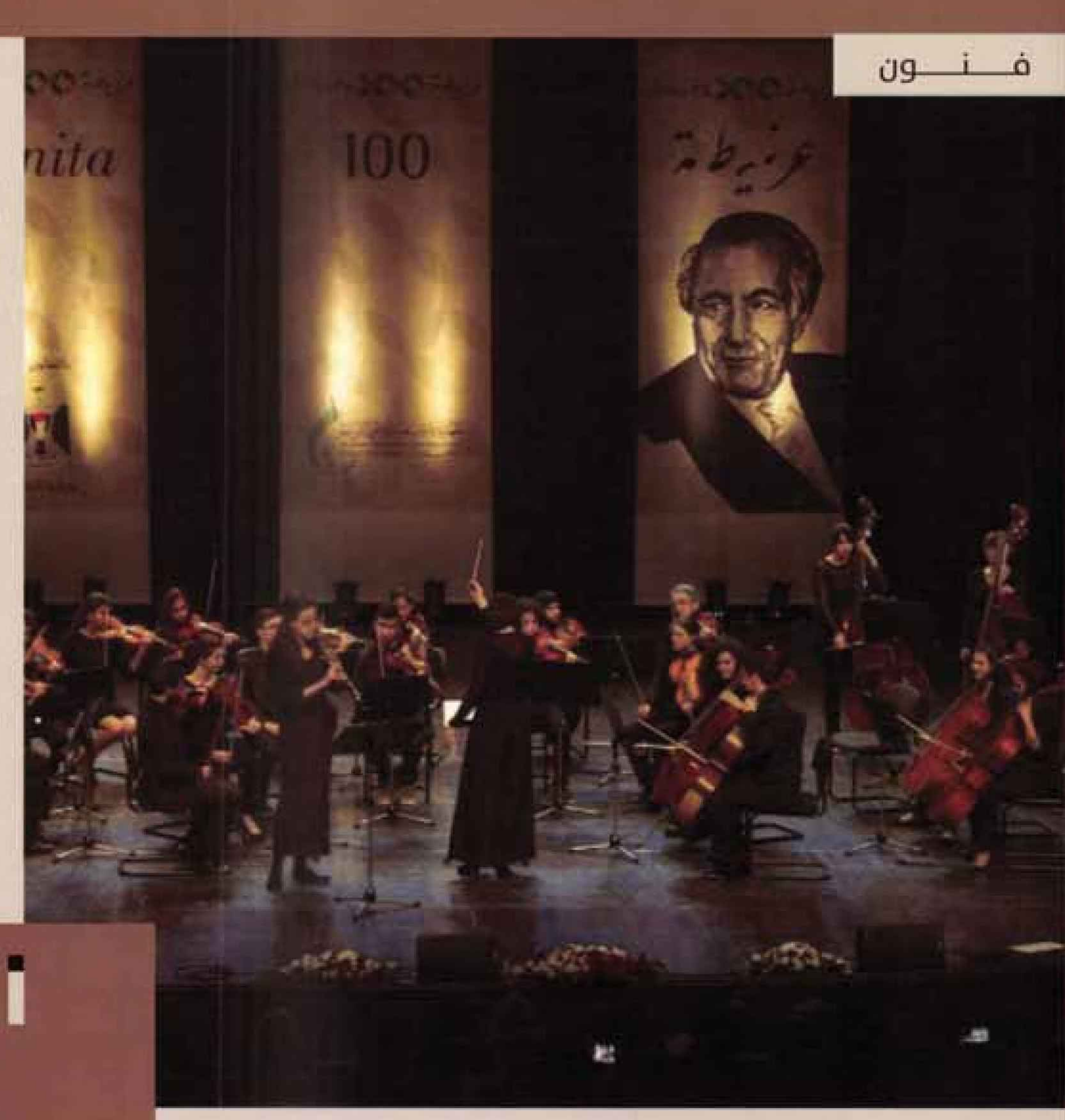
لا شك أن الموسيقار الفلسطيني الراحل سلفادور عرنيطة هو أحد العباقرة المجهولين، ربما لعمله طوال حياته في لبنان رئيساً لقسم الموسيقا في الجامعة الأمريكية مضطراً إلى ذلك، ولتأليف أعمال غربية، ولتدريسه في المعهد الموسيقي الوطني في بيروت. وطبقاً للموسيقار سليم سحاب - تلميذه النجيب، وزميله الوفي فيما بعد - ولد سلفادور في القدس عام ١٩١٩م، والتحق بمدرسة اللاتين، فكان يهرع إلى البيانو ليعزف عليه، لكن المدير كان يمنعه، فلا ييأس ويعيد الكرة، ثم أصبح عضواً في كورال كنيسة المدرسة. ذات يوم تأخر العازف عن القداس الاحتفالي الذي كان للأرغن دور حيوي فيه، فأخبر سلفادور قائد الكورال بأنه يستطيع عزف مقطوعة بداية القداس، فنظر إلى الفتى ذي السنوات العشر باستخفاف، لكن لم يعد بالإمكان التأخير؛ مما اضطر القائد - إنقاذاً للموقف - إلى أن يطلب منه العزف، فعزفها كاملةً بجميع عناصرها الهارمونية والبوليفونية، فيما عدا اللحن المكتوب لمعزف الأرجل؛ لأن رجليه لم تكونا تصلان إليه بعد.

في الحادية عشرة من عمره أصبح العازف المساعد في كنيسة القيامة بالقدس، وبعد بضع سنوات سافر إلى إيطاليا للدراسة الأكاديمية على يد كبار الموسيقيين، ودرس التأليف، وعزف البيانو في أكاديمية سانتا نشيتشيليا بروما على يد المؤلف الشهير ألفريد كازيلا، كما درس عزف الأرغن على يد الموسيقار المجيد بكنيسة الفاتيكان فرناندو جرماني – أفضل عازفي الآلة – ثم درس قيادة الأوركسترا على يد لاندون رولاند بلندن. وببلوغه الثالثة والعشرين من عمره أتمّ دراستي التأليف والقيادة، وكان من ضمن دراسة العزف مسابقة الارتجال على الأرغن، فحصل على جائزتها الأولى عام ١٩٣٦م، كما حصل على جائزة الشرف في بلجيكا في العام نفسه، وقدم نحو مئة حفلة في عواصم العالم.

كانت دراسته تتضمن التأليف على جميع القوالب الموسيقية، فأحرز المرتبة الأولى في التأليف حسب المدرسة اللامقامية. وفي إحدى جولاته الأمريكية بمدينة بيتسبرج كانت التقاليد تقتضي أن يقدم ثلاث حفلات، وكان على رأس الأوركسترا قائد يهودي سأله من أين أتى، فأجابه سلفادور: من القدس، فظنّه يهودياً، فقدّمه في الحفلة الأولى والثانية، وعندما علم أنه فلسطيني تغيّرت معاملته، فمنعه من الحفلة الثالثة وبقية الحفلات التالية[1].

منقذ الموسيقا الفلسطينية

سلفادور كلمة إسبانية معناها المنقذ، ولعله أنقذ الموسيقا الفلسطينية من الغرق في المحلية، فأسمع العالم الذائقة الرائعة لهذه الموسيقا، إضافةً إلى تميّزه بالتقنية العالية والكاملة في التأليف، والتوزيع، والتفكير الموسيقي، والتطوير اللحني والدرامي، والمنطق الموسيقي، سواء في الكتابة للبيانو أو الأرغن أم للأوركسترا أو الكورال[2]. فمواهبه الفذة المتعددة صبّت كلها تقريباً في تأليف الموسيقا الغربية، ولم يترك نوعاً إلا كتب فيه ما عدا الأوبرا: فكتب



ولا يقلّ أسلوبه في الكتابة السيمفونية والتوزيع الأوركسترالي عن أسلوب مؤلفين أوربيين كبار جداً؛ مثل دفوجاك التشيكي وسيمفونيته الشهيرة التاسعة (من العالم الجديد). كما تفوق على مؤلفين واسعي الشهرة؛ مثل سانسو ولالو الفرنسيين؛ فالتوزيع عند سلفادور يخدم المادة اللحنية، والفكرة الموسيقية، وتعميق أبعادها[٣].

الأستاذ والتلاميذ

كما ألمحنا تتلمذ المايسترو سليم سحاب على يد سلفادور في كونسرفتوار بيروت وكورال الجامعة الأمريكية من عام ١٩٦١م إلى عام ١٩٦٥م، فتعلم أصول النظريات والهارمونيا الغربية، وأصول القيادة، وارتبط به وبزوجته عازفة البيانو والعالمة الموسيقية يسرى جوهرية عرنيطة، وبوالدها العلامة في تاريخ فلسطين

سلفادور كلمة إسبانية معناها المنقذ، ولعله أنقذ الموسيقا الفلسطينية من الغرق في المحلية، فأسمع العالم الذائقة الرائعة لهذه الموسيقا

ثلاث سيمفونيات، وأربعة كونشرتوهات للأوركسترا، ولكلّ من البيانو والفلوت والفيولا والأرغن، وثلاث متتاليات، منها المتتالية الثانية الشرقية، وثلاثيات (تريبو) للبيانو (بيانو - كمان - فيولونسيل)، ورباعيان وتريان (كمان أول - كمان ثانٍ - فيولا وفيولونسيل)، وعشرات القطع، منها أعمال كثيرة للكورال بمصاحبة الأوركسترا، وللأصوات الفردية بمصاحبة الأوركسترا أو الأرغن. ومن أعظم أعماله الغربية مقطوعة (الساعة السادسة) المكتوبة لصوت الباريتون المنفرد اللبناني إبراهيم المبيض مع مصاحبة الأوركسترا، وقدّمت للمرة الأولى في أوائل الستينيات. والباريتون هو الصوت المتوسط في مجموعة الأصوات الرجالية الثلاثة، وهو بين التينور والباص.

كما لم يترك قالباً موسيقياً إلا كتب فيه: شكل السوناتا الذي يحتوي على موضوعين: أحدهما رئيس، والثاني ثانوي، والصراع الدرامي بينهما الذي يؤدي إلى سيطرة الأساسي. فقد استعمل هذا الشكل في سيمفونياته الثلاث، وهو شكل حتميّ للسيمفونية، ويشكّل الحركة الأولى منها عادةً. كما برع في قالب الموضوع والتنويعات. أما ميدانه المفضّل فهو قالب الفوجا، وهو الأصعب؛ لما يتطلبه من معرفة تامة بالمدرستين البوليفونيتين المعروفتين:

- مدرسة الأسلوب الصارم المدرسة الفرنسية والإيطالية والهولندية: أولاندولاسو، وباليسترينا، وغيرهما إلى القرن السادس عشر.

- مدرسة الأسلوب الحرّ: بوكستيهوده، وفريسكوبالدي، وعلى رأس هذه المدرسة باخ.

أسلوبه الأول في كتابة السيمفونية هو أسلوب البوليفونيا؛ إذ تسمع كل آلة في محلها، ولا تستطيع أن تتصوّر أية آلة أخرى مكانها.

استخدم سلفادور في التوزيع الآلي أسلوب بيتهوفن المتداخل لتكثيف النسيج الأوركسترالي، كما تأثر بأسلوب الوتريات عند تشايكوفسكي.

الفني والموسيقي والاجتماعي واصف جوهرية؛ كاتب المرجع الضخم من جزأين (القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية)، الذي يصف فيه حياة مدينة القدس الاجتماعية والموسيقية والتاريخية حتى عام النكبة ١٩٤٨م، وهو موثّق بالصور النادرة.

ويشدّد سحاب على العودة إلى التراث، واستخراج كنوزه، وطباعة كتب تهتمّ بالمقامات والإيقاعات العربية، بدلاً من توهّم تخلّف الموسيقا العربية وتقديم الغربية، وهو يختلف عن سلفادور في عدم انبهاره بالموسيقا الغربية، بل رحل من موسكو إلى طشقند، ومن أثينا إلى اليابان، ومن تونس إلى مصر، مشاركاً ومحاضراً ضمن عروض وندوات علمية عربية ودولية، وحمل في أعماقه رسالة العروبة والتراث، ونقب في تاريخنا وحضارتنا ليؤكد بالأدلة العلمية سبق الكندي والفارابي باخ بثمانية قرون[٤].



تتلمذ لسلفادور أيضاً الملحن وقائد الأوركسترا اللبناني إحسان المنذر في الكونسرفتوار الوطني (القسم الغربي) عام ١٩٩٥م لدراسة البيانو والنظريات. وبعد دراسة أكاديمية بدأ رحلته الموسيقية في التلحين والقيادة منذ مطلع الثمانينيات، كما ترأس الدائرة الموسيقية في الإذاعة اللبنانية، واحتلت ألحانه وموسيقاه التصويرية المراتب الأولى، وهو يشغل الآن منصب نائب رئيس جمعية المؤلفين وناشري الموسيقا[٥].

مؤسس السيمفونية العربية

مؤلفات سلفادور عرنيطة في الموسيقا العربية نادرة، إلا أنها حققت تميزاً في التأليف الموسيقي العربي، بل إنها أقوى كتابة موسيقية بين جميع من كتب موسيقا من العرب على طريقة التوزيع الأوركسترالي الغربي، ويمكن عدّه المؤسس الحقيقي لمدرسة الموسيقا القومية العربية السيمفونية. وأشهر مؤلفاته (بطاقة هوية)، التي رفعت شاعرها محمود درويش إلى مصافّ أشهر الشعراء. قدّم هذه القصيدة لسلفادور مع اقتراحه تلحينها الكاتب السياسي والناقد الموسيقي والأدبي اللبناني إلياس سحاب، وكتبت للأوركسترا السيمفوني والباريتون المنفرد والكورال الرباعي المختلط: سوبرانو - ألتو - تينور - باص، وهي تحفة موسيقية رائدة؛ لعمقها الفكري والانفعالي والوجداني والفلسفي والدرامي في تاريخ الموسيقا وبين كل الكتابات للأوركسترا السيمفوني وغيره في كلّ الوطن العربي، إضافةً إلى الحرفية العالمية في استخدام الأوركسترا. وقد قدمت هذه القصيدة في القاهرة عام ١٩٦٧م، وأحدثت دوياً هائلاً في الأوساط الموسيقية، وقدمها مع أوركسترا القاهرة السيمفوني مع كورال الأوبرا المصرية وسوليست باريتون (جربيس بويجيان)، وهو مغنٍّ أوبرالي لبناني أرمني الأصل، ومادتها الموسيقية غنية جداً، بجانب بعض الألحان الشعبية الفلسطينية، وتفكير موسيقي شمولي، واستخدام باهر ومتكامل للأوركسترا، إلى جانب استخدام طريقة الليت موتيف (**Leit Motif**)؛ أي: التيمة القائدة، وهي طريقة فكرية اخترعها فاجنر، وهي رمز لشخص معيّن أو فكرة معينة تأتي في السياق السردي والدرامي وكأن لكل شخصية تيمتها الخاصة في الأوبرا. استعمل سلفادور هذه الطريقة الابتكارية ليرمز بالتيمة إلى الكلمة الأولى من جملة: «سجّل أنا عربي، ورقم بطاقتي خمسون ألفاً»، وقد استعملها نحو ٢٠ مرة. أما دورها الدرامي فهي ترمز إلى الإصرار على المقاومة، وأوردها على كل الآلات. ولا ينسى الطبيعة الفلسطينية الجميلة عند كلمات «أبي من أسرة المحراث لا من سادة نجب، وجدي كان فلاحاً بلا حسب ولا نسب»، فيلحّن هذا المقطع على لحن الأغنية الفلكلورية الفلسطينية (عالقهوجي). كما استعمل طريقة الريسيتاتيفو **Recitativo** عند كلمات «أنا لا أكره الناس، ولا أسطو على أحد»، مستعملاً خلفيةً موسيقيةً لها عبارة «لا إله إلا الله»، يغنيها

صداقة مثمرة

سمحت علاقة الصداقة القوية بين عرنيطة وسحاب أن يتعلم سحاب منه الكثير، بل أن يساعد سحاب عرنيطة فيما بعد في مجال الموسيقا العربية، فكان يعرض على سحاب الجمل الموسيقية العربية الموزّعة على البيانو قبل أن يوزّعها أوركسترالياً ويثبتها نهائياً في نسيج العمل. كما شجّعه سحاب على تقديم مقطوعة (الجرتو باستورالي) لمباراة التأليف؛ لأنه كان خائفاً من مقطع الحجاز كار، وكان رأي سحاب أن هذا المقطع بالذات سيتسبّب بنجاح المقطوعة، وهو ما حدث بالفعل.



كتاب شادي وشادية للأطفال

سمّى سلفادور هذا الكتاب على اسم ابنه شادي وابنته شادية، وهي التي تحافظ الآن على تراث والدها. أغاني الأطفال في هذا الكتاب الذي طبع عام ١٩٥٧م أفضل من ٩٠٪ من جميع أغاني الطفل طبقاً لرأي سليم سحاب، مع أنه مرجع منهجي وتربوي مهم، وكنز لمن يريد احتراف تعليم الموسيقا للأطفال، وهو مكوّن من ثلاث معزوفات وست عشرة أغنية، ويمكننا تقسيمه حسب طابع الأغنيات إلى: قسم شرقي عربي، وقسم عام، والاختلاف بينهما في المقامات والتوزيع الهارموني الذي يمتلئ بالتصوير. كما أن الأغنيات مقسمة طبقاً لموضوعها إلى: أغنيات حيوانات، وأعياد، وألعاب، إلى جانب وطنية (بلادي)، وتمثيلية غنائية (الخباز)، كلّ هذا إلى جانب المادة اللحنية الرائعة.

الكورال بعد الاستراحة الريفية الجميلة. كما يرجع إلى التوتر الدرامي عند عبارة «ولكني إذا جعت آكل لحم مغتصبي»؛ إذ يتصاعد التوتر إلى أن يصل إلى الذروة عند عبارة «حذراً من جوعي ومن غضبي». يغنيها الكورال بطريقة موزّعة بمصاحبة كل الأوركسترا في غاية الإعجاز الموسيقي والدرامي والجمالي، إلى أن تتفجر أخيراً عند آخر مرة ترد فيها العبارة كاملة في ذروة انفعالية وجدانية غير مسبوقة في التأليف السيمفوني الأوركسترالي العربي.

أول من أدخل التقاسيم العملاقة

المؤلَّف العربي الثاني الكبير هو (المتتالية رقم ٢ الشرقية)، وساعدته زوجته على مقاماتها، خصوصاً المحتوية على أرباع الصوت، وهي تتألف من أربعة أقسام: المقدمة، ورقصة تحمل اسم الأندلس، ورقصة على لحن فولكلوري فلسطيني (عاللوز الأخضر)، ورقصة تحمل رقم ٧ باسم (وثبة).

يتكون القسم الأول من تقاسيم عملاقة على الأوركسترا السيمفوني، ويبدأ بلحن تعزفه آلات الكورنو (مقام كورد)، وهو جزء من لحن (عاللوز الأخضر) الذي يشكّل اللحن الأساسي للرقصة الثانية (بين الأندلس ووثبة). يتلو ذلك تقاسيم على آلات النفخ الخشبية على شكل محاورة مع الوتريات، ثم إعادة تيمة (عاللوز الأخضر)، ومحاورة تقاسيم بين آلات النفخ والوتريات، ثم تنويع على لحن فولكلوري فلسطيني آخر (عالقهوجي) على مقام العجم، ثم يعرض تيمة (رقصة الأندلس)، تتبعها تقاسيم على القانون، بعدها يظهر لحن من أشجى ما يمكن، عزفه على آلات النفخ الخشبية، ثم يُعاد على الوتريات التي تنقله إلى تقاسيم عملاقة، تتلوها تقاسيم أوركسترالية أخرى لمحاورة بين آلات الكورنو والفلوت والأبوا، ثم تقاسيم قانون تدخل فيها الوتريات نقراً، وتتابع الأوركسترا كلها التقاسيم إلى أن تصل الوتريات إلى عرض اللحن الأساسي لرقصة الأندلس الأولى، وموضوعها مستعار من مقطوعته (رقصة بدوية). في هذه الرقصة، وفي الرقصتين التاليتين، استعمل سلفادور أسلوب تشايكوفسكي في المعالجة السيمفونية؛ فقبل عرض الموضوع الثاني يطوّر الموضوع الأساسي إلى ذروته.

الرقصة الثانية مبنية على اللحن الفولكلوري (عاللوز الأخضر يا عيني) بعد تحويره من مقام البياتي إلى مقام النهاوند لكي يخضع للتوزيع الهارموني والأوركسترالي، وقد أخفى هذا التغيير العنصر الدرامي. جوّ هذه الرقصة هادئ؛ لوجودها بين رقصتين متوترين؛ الأولى والثالثة، وذلك لخلق جوّ التضاد في الطابع والحركة والسرعة والمزاج.

الرقصة الثالثة تبدأ بعرض الإيقاع (المصمودي الصغير) من خلال اللحن المعزوف نقراً على أوتار التشلو والباص. يأتي بعده مباشرة عرض الموضوع الأساسي على آلة الأبوا مع مصاحبة بوليفونية على آلات الفيولا، بعد ذلك يأتي التطوير سريعاً ليصل الموضوع الأساسي إلى ذروته مع إدخال الأوركسترا كاملاً بشكل يعكس عمق التفكير الموسيقي الجدلي. وقبل العرض النهائي للموضوع على كلّ الأوركسترا بكامل قوتها الصوتية يعطي سلفادور دوراً منفرداً رائعاً لآلة الرق مع تنويعات إيقاعية كذلك. وبعد العرض النهائي للحن يأتي الرق بجملة إيقاعية من الخافت إلى أقصى قهوة؛ لينهي الرقصة بتآلف مفاجئ لكل الأوركسترا أثّر كثيراً في الجمهور في كل الحفلات.

كما كان سلفادور أول من أدخل تقاسيم عملاقة أوركسترالياً؛ فقد سبقه ريمسكي كورساكوف في كتابة تقاسيم فردية في متتالية (شهرزاد)، لكن التقاسيم لكلّ الأوركسترا السيمفوني لم تكن معروفة في الكتابة الأوركسترالية العالية قبل سلفادور[٦]. ومؤخراً قام أوركسترا شباب فلسطين من معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقا بتكريم سلفادور عرنيطة في برلين وفاءً لذكراه بعزف مقطوعة شرقية من أربع حركات ومزيج رائع من الموسيقات الشرقية والكلاسيكية[٧].

مؤلفات سلفادور عرنيطة في الموسيقا العربية نادرة، إلا أنها حققت تميزاً في التأليف الموسيقي العربي



الهوامش

١- سليم سحاب، سلفادور عرنيطة موسيقار فلسطين الأكبر، مجلة شؤون عربية، فنون عربية، العدد ١٣٣، ربيع عام ٢٠٠٨م، جامعة الدول العربية، ص١٦٤.

٢- يوسف القزاز، على الدرب، مقال في موقع حركة التحرير الوطني الفلسطيني http://www.fatehforums.com. وللمزيد من التفاصيل: http://www.fatehforums.ps. .http://wwwfateh.tv

٣- سليم سحاب، مرجع سابق، ص١٦٨-١٧١.

٤- مجدي رياض، المايسترو سليم سحاب مارشال الموسيقا، صحيفة الفنون، العدد ٧٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص٢٤، ٢٥.

٥- الموسوعة الحرة، إحسان المنذر، http://ar.wikipedia.org.

٦- سليم سحاب، مرجع سابق، ص١٧٦، ١٧٧.

٧- موسيقيين في برلين: www.aljazeera.net. وللمزيد من التفاصيل ارجع إلى المواقع الإلكترونية الآتية:

http://www.assafir.com
http://www.gazaftoday..com
http://www.ssnp.net
http://www.addustour.com
www.alarab.com



أكثر الكتب رواجاً في يوليو وأغسـطس ٢٠١٤م

ببلشـرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY



الكتاب: النظام العالمي
المؤلف: هنري كيسنجر
الناشر: بنجوين

World Order
Henry Kissinger
Penguin Press

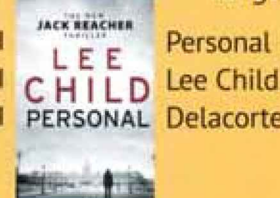
يجول كيسـنجر ببصره في عالم اليوم؛ فلا يرى إلا سلسـلةً من الأزمات التي يمسـك بعضها بخناق بعض، وهي أزمات تشـكّل تحدّيات للنظام الليبرالي الذي شـادته الولايات المتحدة الأمريكية.



الكتاب: ما أعرفه حقاً
المؤلف: أوبرا وينفري
الناشر: فلاتيرون

What I Know for Sure
Oprah Winfrey
Flatiron

لأوبرا وينفري رسالة بسيطة تريد إيصالها إلى القارئ، هي أن تجاهل المشكلات أمر يسير ومتاح؛ فلو خطونا خطوات صغيرة نحو حلّها لأصبحت الخطى قفزات كبرى في طريق تحقيق ذواتنا.



الكتاب: أمر شخصي
المؤلف: لي تشايلد
الناشر: ديلاكورت

Personal
Lee Child
Delacorte

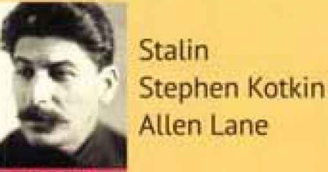
رواية شبه بوليسية لواحد من أكثر كتّاب الولايات المتحدة الأمريكية تميّزاً. ثيمة الرواية بسيطة، وهي تقول: يمكن أن تترك الخدمة العسكرية، لكنها لن تدعك وشأنك أبداً.

الكتاب: في مكان آمن مع شخص صالح
المؤلف: جان كارون
الناشر: بتنام

Somewhere Safe With Some Body Good
Jan Karon
Putnam

يُجمع عدد من النقّاد على أن رواية كارون الأخيرة هذه من أكثر أعماله تعبيراً عن الثقافة المعاصرة، وتتجاوز كلّ ما كتبه سواه من الروائيين.

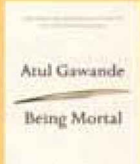
صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES



الكتاب: ستالين
المؤلف: إستيفن كوتكين
الناشر: ألين لين

Stalin
Stephen Kotkin
Allen Lane

اتّجه ستالين عام ١٩٢٨م إلى سيبيريا بالقطار؛ ليدشّن ما سمّاه (أكبر مغامرة في حياته)؛ لتنفيذ مشروعه المسمى (أكبر برنامج هندسة بشرية في التاريخ).



الكتاب: نحن الفانون
المؤلف: أتول جواندي
الناشر: بروفايل بوكس

Being Mortal
Atul Gwande
Profile Books

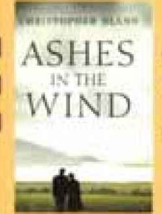
يعالج الدكتور أتول في هذا الكتاب، الحائز على جائزة صمويل جونسون في بداية العام الحالي، قضايا المسنّين في صراعهم مع الشيخوخة والعجز والمرض.



الكتاب: فيفيان وستوود
المؤلف: إيان كيلي
الناشر: ماكميلان

Vivienne Westwood
Ian Kelly
Macmillan

تُنشر قصة حياة فيفيان وستوود أول مرة، وهي مصمّمة أزياء شهيرة مُنحت مرتبة (فارس) في بريطانيا.



الكتاب: رماد في الريح
المؤلف: كريستوفر بلاند
الناشر:هيد أوف زيوس

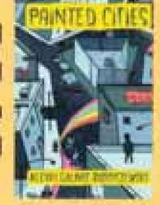
Ashes in the Wind
Christopher Bland
Head of Zeus

ملحمة عن أسرتين من أيرلندا على خلفية الصراعات الدموية، والحروب الممتدة التي كانت أيرلندا مسرحاً لها، خصوصاً بعد انتفاضة عيد الفصح عام ١٩١٦م.

يعرّف هذا الباب بالقوائم الصادرة عن مجلات ودوريات وصحف ودور نشر عن أكثر الكتب انتشاراً كلّ شهر أو شهرين حسب سياسة كلّ مؤسسة. وبدءاً من هذا العدد ستزوّد (الفيصل) القارئ بأهم الآثار الروائية وغير الروائية التي وجدت طريقها إلى إحدى القوائم المذكورة. ومع أن هذه القوائم تغلب عليها الأعمال الغربية إلا أنها تضم أحياناً بعض الأعمال المنقولة عن لغات أخرى؛ لأن المعيار الأساسي لترتيب الكتب وتصنيفها هو عدد النسخ المبيعة فعلياً، المرصودة ليس من مالك حقوق الطبع فقط، وإنما من سلطات مراقبة الدخل والضرائب في كلّ دولة.

ليبراري جورنال

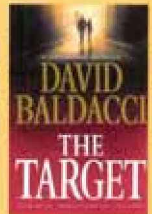
LIBRARYJOURNAL



The Painted Cities
Aalexia Budziszwski
Mac Sweeny

الكتاب: مدن مدهونة
المؤلف: ألكسيا بودذوذسكي
الناشر: ماك إسويني

باريو، التي تقع في الجنوب من شيكاغو، مسرح للجريمة والعنف، وفي ذات الوقت مسرح لمهاجر صغير يدّعي القدرة على استدعاء الموتى.



The Target
David Baldacci
Grand Central

الكتاب: الهدف
المؤلف: ديفيد بلداشي
الناشر: جراند سنترال

يكلّف الرئيس الأمريكي مجموعةً من رجاله بتنفيذ مهمة خطيرة يمكن أن يُحاسب عليها بتهمة الخيانة العظمى إذا أخفقت، ويمكن أن يرفع من خلالها أسهمه الداخلية إذا نجحت.

The Goldfinch
Donna Tartt
Little Brown

الكتاب: طائر الحسون
المؤلف: دونا تارت
الناشر: ليتل براون

وصفها إستيفن كنج بأنها واحدة من الروايات النادرة التي تأتي على رأس كلّ عقد من الزمان.

Duty
Robert Gates
Knopf

الكتاب: الواجب
المؤلف: روبرت جيتس
الناشر: كينوف

مذكرات وزير دفاع خدم الرئيسين: بوش، وأوباما.

نيويورك تايمز

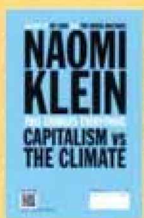
The New York Times



The Power of Habit
Charlies Duhigg
Barnes and Noble

الكتاب: قوة العادة
المؤلف: تشارلز دوهيج
الناشر: بارنز ونوبل

امرأة تعهّدت لنفسها بالإقلاع عن التدخين، ومزاولة رياضة ماراثونية، وتخلّصت من كلّ عاداتها القديمة، وتبيّن لعلماء الأعصاب أن آليات عمل دماغها اكتسبت أنماطاً مختلفةً تماماً.



This Changes Everything
Naomi Klein
Simon and Schuster

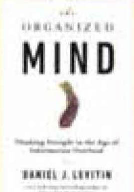
الكتاب: لا بد أن يتغيّر كل شيء
المؤلف: نعومي كلين
الناشر: سيمون واسكستر

تقول نعومي: إن التغييرات البيئية التي يشهدها العالم ستدفعه إلى التخلّي عن أيدلوجية اقتصاد السوق، وإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي كله.

Thinking, Fast and Slow
Daniel Kahneman
Arden and Hall

الكتاب: التفكير السريع والبطيء
المؤلف: دانيال كاهنيمان
الناشر: أردن وهال

يتحدث هذا الكتاب عن الاختلالات في المعرفة العامة، ويعدّ أول معالجة عميقة للاقتصاديات السلوكية منذ كتاب الإيطالي ماسيمو بياتللي عام ١٩٩٤م.



The Organized Mind
Daniel Levitin
Dutton

الكتاب: العقل المنظّم
المؤلف: دانيال ليفتين
الناشر: دوتون

يطرح الكتاب المشكلات النفسية، التي تلمّ بنا في كلّ منعطفات حياتنا اليومية.

أبحث عن شيء ما

عقلي يأسرني بالنور
عقلي ينهرني بالنار
بين النار.. وبين النور
أقيمُ على خطواتي جدار
يا أمل الأمس الماضي
يا ألم الآتي المنهار
أين أنا؟ لا أدري يومي
إني أجهلُ.. إني محتار

•••

بين خيارين.. ويومين
تعرّى ورقُ الحلم
لا وردٌ يطيب لخاطرتي
لا وردٌ يلوح على وَهْمٍ
إني أضحك سيّان فما
ألمسُ في سعيي غُنْمْ
ما أقسى أن ينهرك العجز
فما تعرف كيف تسير
تخطو بخطاك على عجل
تُدْميك على وجل بمصير
إني أبحث عن شيء ما
والطرف لديّ حسير
ماذا بيدي إني تهتُ
عن ضوء يكشف لي وينير
قلْ ماذا بيدي أني
أحلمُ.. والحلم خيال سارح
أحسبه ضيف خيالي
يتجلى.. وإذا الحلم جارح
خذ بيدي ما عدت دليلا
بل ذليل على خيالي أطارح
رُبَّ نفس على الهوى قد أحبّتْ
قد هوى حبها ولمّا تبارح

•••

إني أبحث عن شيء ما
عن عمرٍ ماءً يحمل العمرْ
عن حب فينا يتعرى
عن حرب بدمنا تمطرْ
عن كهل شاخ به عجز
عن طفل أوغل فيه الغدرْ
أبحثُ عن فَجرٍ يتجلى
يهدي العالم.. لا عن فُجْرٍ

•••

هذا هو حلمي الآتي
والحلم لكل الناس حياه
أن لا يُقهرَ فينا حيٌ
أن لا تُكسرَ للجب قناه
أن تُورق أشجار الزيتون
فما تُحرق بنار طغاه
أن نكتب تاريخ الآتي
مداد الحلم وليس سواه



منْ يحكّ ظهر القطار؟!

مسكينة هي القطارات
لأن أرضهم لا تناسب أصابعها
بتروا أقدامها في البدء
جعلوها تجري على بطنها
وكلما أرادت التوقف
أحرقتها نار الحديد

...

كهل أحدب
يحرس محطة قطار قديم
أخرج رأسه ذات يوم خلف الدخان
وسأل:
يا للقسوة!
مئات من الناس تركبه كلّ يوم
لم يفكر أحدٌ
أن يحكّ ظهره

...

لا توجد قطارات سعيدة
لكن أوفرها حظاً
من يحمل العاشقين إلى الأرياف البعيدة
لهذا ينفرط قطار البضائع
ويصبحُ غرفاً في الصحراء

...

كلما سمعتُ القطارات
صممتُ آذاني
صوتها لا يزعجني
لكن أولئك الذين انتحروا أمامها
ما زالوا يصرخون!



أوبرا وينفري..

سرّ شهرتها أنها «واحدة من الناس»

أوبرا جايل وينفري واحدة من أشهر الذين قدّموا برامج حوارية على مستوى العالم، وهي لم تصل إلى هذه المكانة عبر طريق مفروش بالورد، وإنما عانت كثيراً في مطلع حياتها؛ إذ ولدت في ٢٩ يناير ١٩٥٤م لأبٍ كان يعمل حلاقاً مع بعض الأعمال التجارية الصغيرة،



أوبرا تبنّت عدداً من المبادرات ذات الطابع الإنساني، من ذلك إسهامها عام ١٩٩١م في سنّ قانون لحماية الأطفال بعد أن ألقت بشهادتها أمام اللجنة القضائية بمجلس الشيوخ

بينما كانت أمها تعمل خادمةً في البيوت. ولم يكن الفقر وحده هو سبب بؤسها، وإنما انفصل والداها أيضاً لتعيش منذ أن كانت في السادسة من عمرها في رعاية جدتها التي كانت غسالة ملابس.

بؤس على بؤس

لم يكن سبب بؤسها الفقر فحسب، وإنما تعرّضت، وهي في التاسعة من عمرها، للاغتصاب، وكان المغتصب أحد أبناء عمومتها، كما كانت عرضةً للتحرش المستمر من أحد أقربائها. وهي تقول عن تجربتها الحياتية المرة: إنها دفعتها إلى أن تتشجّع وتقول (لا)، وتصرّ على أن تسهم في تغيير مجتمعها. ولم تخفِ أوبرا وقائع التحرش، وما عانته بسببه، وإنما جاهرت به؛ حتى تشجّع كلّ من تتعرّض للإهانة لتقول (لا).

التميّز يغيّر حياتها

كانت أوبرا ميّالة إلى القراءة، وتلتهم الكتب التهاماً، وهو ما ساعد على تحسّن لغتها، وقدرتها التعبيرية، ولم تدرك الملَكة التي منحها الله إياها إلا من خلال معلّمة اختارت ملخّصها لأحد الكتب بوصفه الأفضل بين زملائها، بل إنها قدّمتها في أثناء طابور الصباح؛ ليصفّق لها الجميع أساتذةً وتلاميذ، فكانت تشعر بالفخر عندما يسألها المعلمون: ألست أوبرا وينفري التي صفّقنا لها في الطابور؟!. وأكسبتها هذه الواقعة ثقةً بالنفس، ودفعتها إلى أن تجتهد لتصبح مشهورةً يشير إليها الناس بالبنان كما يقولون.

وقد كان اجتهادها الدراسي وتميّزها سببين في أن تعمل، وهي لا تزال في المرحلة الثانوية، في إذاعة wvol في مدينة ناشفيل، ثم خطت خطواتها

الأولى نحو التلفاز وهي في عامها الجامعي الأول؛ إذ لم يُثنها البؤس عن التميّز الدراسي الذي كان وراء تغيّر مسار حياتها بعد أن نالت منحةً دراسيةً لتلتحق بالجامعة، إلى جانب عملها في قناة wtvf-tv؛ لتصبح أول أمريكية من أصل إفريقي تقدّم الأخبار في هذه القناة.

التمثيل حلم أصبح واقعاً

كان حلم أوبرا أن تصبح ممثلةً، وقد درست الفنون المسرحية، فمثّلت عام ١٩٨٥م دوراً رئيساً في فلم المخرج الشهير ستيفن سبيلبيرج (اللون الأرجواني The color purple)، الذي رُشّح لتسع جوائز أوسكار، وبعدها أدّت أوبرا أدواراً سينمائية وتلفازية، وأنتجت أفلاماً قامت بتمثيلها.

وشاركت أوبرا وينفري عام ١٩٩٨م في فلم يتناول قضية العبودية في أمريكا، وهو beloved، ولم يلقَ نجاحاً جماهيرياً، أو اهتماماً إعلامياً، ومع ذلك لم يزعزع ذلك ثقتها بقدراتها التمثيلية وهي تعمل في فلم تاريخي عن قصة حياة المناضل مارتن لوثر كينج، وتجسّد فيه شخصية المناضلة الحقوقية آني لي كوبر.

البرنامج الأشهر

كان برنامج (أوبرا)، الذي بدأت تقديمه عام ١٩٨٩م، سبباً فيما بلغته من شهرة واسعة، تعدّت حدود الولايات المتحدة الأمريكية؛ ليذاع في أكثر من مئة دولة في العالم. اهتم هذا البرنامج اليومي بالقضايا الاجتماعية في المجتمع الأمريكي، وكان حضورها الطاغي، وأسلوبها في التقديم والحوار، من عوامل نجاحه، ووثّقت أوبرا من خلاله رموز مجتمعها ومشاهيره في مختلف المجالات، وحقّقت في عام ٢٠٠٥م لقب ثاني أكثر الشخصيات تأثيراً في العالم في استطلاع

> **كانت أوبرا ميّالة إلى القراءة، وتلتهم الكتب التهاماً،** وهو ما ساعد على تحسّن لغتها، وقدرتها التعبيرية، ولم تدرك الملَكة التي منحها الله إياها إلا من خلال معلّمة اختارت ملخّصها لأحد الكتب بوصفه الأفضل بين زملائها







مجلة فوربس، كما أنها من أثرى أثرياء العالم. ثم قرّرت أوبرا في ٢٥ مايو ٢٠١١م الاعتزال بشكل نهائي، والتفرّغ لإدارة شبكة القنوات الفضائية الخاصة بها (**OWN**).

مبادرات لها أبعادها الإنسانية

تبنّت أوبرا عدداً من المبادرات ذات الطابع الإنساني، من ذلك إسهامها عام ١٩٩١م في سنّ قانون لحماية الأطفال بعد أن ألقت بشهادتها أمام اللجنة القضائية بمجلس الشيوخ للمطالبة بإنشاء شبكة معلوماتية للمتهمين بالاعتداء على الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية. وتبنّت عبر برنامجها جمع المساعدات المالية لمساعدة المحتاجين، وأمّنت هذه المبادرة بناء ٢٠٠ منزل لإيواء المشرّدين، ووظّفت ٣٠ مليون دولار من المساعدات لإنشاء منحة تعليمية جامعية للطلاب المحتاجين. وبادرت في إبريل عام ٢٠٠٠م إلى إصدار **Oprah magazine**، التي تهتم بقضايا المرأة، وفي عام ٢٠٠٢م طرحت أوبرا النسخة العالمية من مجلتها في جنوب إفريقية. وقامت عام ٢٠٠١م باستضافة نساء مسلمات في برنامجها؛ إسهاماً منها في تصحيح المفاهيم الأمريكية الخاطئة الشائعة عن الإسلام، وكانت الملكة رانيا العبدالله من ضمن الضيفات. وتبرّعت وينفري عام ٢٠١٣م بمبلغ ١٢ مليون دولار لمعهد سميثسونيان؛ لإنشاء المتحف القومي لتاريخ الأمريكيين الأفارقة وثقافتهم، ومن المقرّر أن يكون افتتاح المتحف في واشنطن عام ٢٠١٥م.

خطوات ثلاث

تحاول أوبرا نقل تجربة نجاحها إلى الشباب، فتقول: هناك خطوات ثلاث لبلوغ النجاح: الخطوة الأولى من هذه الخطوات (اعرف نفسك)؛ لأن معرفة الذات تحدد الاتجاه الذي ينبغي أن يذهب إليه الإنسان. والخطوة الثانية -في رأيها- هي (اخدم غيرك)؛ لأن الشهرة يمكن أن تخبو بسرعة، لكن خدمة الآخرين هي التي تبقى، وقالت: إنها عندما حصلت على الدكتوراه الفخرية عام ١٩٩٣م سألت نفسها: ما الذي أفعله أنا في حياتي وفي برنامجي؟ وكانت الإجابة أن تجعل برنامجها منصة خير، وعوناً للآخرين. والخطوة الثالثة -حسب وينفري- هي (افعل الصواب دائماً)؛ لأن فعل الصواب هو الذي يؤدي إلى التميّز حتى في









وينفري تبرّعت عام ٢٠١٣م بمبلغ ١٢ مليون دولار لمعهد سميثسونيان؛ لإنشاء المتحف القومي لتاريخ الأمريكيين الأفارقة وثقافتهم، سيفتتح عام ٢٠١٥م

العمل التجاري، وفي بناء العلامة التجارية Brand؛ لذلك لم تكن تذيع كثيراً من حلقات برنامجها؛ لأنها عند تقويمها ترى أنها ليست الصواب الذي يجب أن تعمله.

إن أوبرا وينفري، التي جاءت ضمن قائمة أكثر ١٠٠ شخصية مؤثّرة في القرن العشرين حسب مجلة التايم الأمريكية، امرأة قهرت الصعاب، وحوّلت مكامن الضعف فيها إلى مصادر قوة، ولم تُنسها حياة الشهرة والنفوذ والمال أن تنظر إلى ماضيها؛ لتستقي منها العبر والدروس التي يمكن أن تفيد الآخرين، وهي تضع هذه التجربة الحياتية العريضة أمام الجميع في برنامجها الجديد (دروس الحياة من أوبرا)، فما أحوج الناس في ظلّ ضغوط العصر إلى من يمنحهم الأمل في أن المقبل أحلى.

الأسامي



مـا تـرانـا نـكـون لـولا الأسـامـي؟!
سـفـر لا يـؤوب لـلأفـهـام

نحـن نـوح عـلـى الـسـفـيـنـة تجـري
ضـاع مـنـا جـوديّـنـا ألـف عـام

الــرؤى الـبـيـض دونـهـا ألـف بيد
يـا لـتـيـه الـدروب دون الأنـام

يـا لـهـذي الحـيـاة، كـيـف أقـامـت
عـالمـاً سـادراً بـهـذا الحـطـام؟!

حـجـر الـوهـم جـاثـم فـي رؤانـا
فـاسـتـعـرنـا حـقـيـقـة الاحـتـدام

بـين حـلـم الـذرا وصـمـت سـرانـا
تـتـهـادى حـيـاتـنـا فـي الـزحـام

تـتـهـادى كـأنمـا الـريـح تـسـري
تحـت أقـدامـنـا بـغـيـر خـطـام

نـزرع الحـلـم مـوطـنـاً ونخـيـلاً
ونـغـنـي الـسـمـا بـألـف مـقـام

ونـسـمّـي الأشـيـاء يـا لـيـت أنـا
قـد تـركـنـا أشـيـاءنـا فـي المـنـام

الأسـامـي حـيـاتـنـا.. كـيـف كـنا
قـبـل بـدء الـوجـود قـبـل الأسـامـي؟

نحـن نـبـنـي مـعـنًـى ونـهـدم معنًى
ذاك تـأويـل عـمـرنـا كـلّ عـام

فـإذا الـوهـم جـنـة ونـعـيـم
وإذا الـروح سـكـرة فـي المـدام

آدم نحـن فـي الجـنـائـن تُـهـنـا
مـن قـديم عـلـى صـراط الحـرام

فـمـضـيـنـا إلـى المـدائـن نبني
نـبـذر الحـلـم فـي مـعـانـي الـكـلام

قـد وُلـدنـا ولـثـغـة الـشـوق فينا
مـنـذ دهـر عـلـى سـريـر الـغـرام

وعـد حـوائـنـا طـريـق طـويـل
بـين صـبـح مـؤجّـل وظـلام

مـن قـديم كـان الحـنـين رفـيـقـاً
يـصـنـع الـوجـد فـي هـديـل الحـمـام

فـارتحـلـنـا، لا نـنـثـنـي عـن هـوانـا
وقـطـعـنـا الـصـحـراء بـالأقـدام

تـردم الـريـح فـي الـرمـال خطانا
لـيـس لـلـرمـل ذكـريـات الـرخـام

فـإذا أوغـل الـزمـان ارتحـالاً
كـان لاسـمـي تـاريـخـه فـي الـغـمـام



صرخة عربية

الشاعر لقيط بن يعمر الإيادي من قبيلة إياد بن نزار بن معد بن عدنان. وكانت هذه القبيلة تسكن في سروات تهامة إلى حدّ نجران، ثم تركت مساكنها في تهامة إلى الشمال؛ بسبب النزاع القائم بينها وبين مضر من أجل السيادة على مكة وزعامة الكعبة، ولإصابة بلادهم بالقحط والجدب، ثم توجّهوا إلى العراق، وانتشروا بين سنداد إلى كاظمة وبادق والخورنق، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة وتكريت والأنبار، وكثروا بها.

وكانت إياد أكثر نزار عدداً، وأحسنهم وجوهاً، وأمدّهم أجساماً، وأشدهم امتناعاً، وكانوا لقاحاً لا يعطون الإتاوة أحداً من الملوك، وكان من قوتهم أنهم نهضوا على امرأة كسرى أنوشروان، فأخذوها هي وأموالا لها كثيرة، وصاروا يغزون ويغيرون على السواد، فأقلقوا الفرس لكثرة إغارتهم، حتى أصابوا امرأةً منهم تُدعى سيرين، كانت عروساً قد أُهديت إلى زوجها، وكرّروا ذلك، فجهّز لهم كسرى جيشاً لمحاربتهم، والتقى الجمعان، فهزمت إياد الفرسَ شرّ هزيمة في موقعة كثرت فيها الجماجم، وسُمّيت بدير الجماجم، ولم يسلم من الفرس إلا القليل، فغاظ ذلك كسرى، وجهّز لهم جيشاً لجباً، بلغت عدّته ستين ألفاً، فلما علم لقيط بذلك، وكان كاتباً لكسرى وترجمانه، ويعمل في بلاطه حتى اطّلع على أسرار دولة الفرس كلها، أرسل إلى قومه إياد يحذّرهم من بطش كسرى بهم، ورغبته في قتالهم، فقال:

سـلام فـي الـصـحـيـفـة مـن لقيط
إلـى مَـن بـالـجـزيـرة مـن إيـادِ
بـأن الـلـيـث كـسـرى قـد أتـاكـم
فـلا يـشـغـلـكـمُ سَـوْقُ الـنـقَـادِ[1]
أتاكـم مـنـهـمُ سـتـون ألفاً
يـزجّـون الـكـتـائـب كـالـجـرادِ
عـلـى حـنـقٍ[2] أتـيـنـكـمُ فـهـذا
أوان هـلاكـكـم كـهـلاك عـادِ

فلما لم يعبأ قومه بإنذاره الوجيز الشافي كتب إليهم قصيدته العينية التي حضّهم فيها على قتال الفرس، ودعاهم إلى الاستعداد لملاقاة جيشهم اللجب.

فلما وقع كتابه بيد كسرى قطع لسانه وقتله، فذهب شهيد وفائه لقومه.

وهذه القصيدة التي سنورد أغلبها تعدّ من غرر القصائد، وقد أثنى عليها المتقدمون، وذكروها كاملةً في مصنّفاتهم؛ فقد قال ابن طيفور في كتابه (المنثور والمنظوم): «هذه القصيدة من القصائد المفردات الجاهليات، التي لا يُعرف في مثل معناها وجودتها وجزالة ألفاظها... ولا أعرف مثلها لمتقدّم ولا مُحدث»، وقال ابن الأثير: «إنها من أجود ما قيل في صفة الحرب»، وقال ابن دريد: «ولم تقل العرب قصيدةً في النذير أجود من هذه».

يقول لقيط بن يعمر الإيادي محذراً قومه من بطش كسرى، وحاضاً إيّاهم على الاستعداد لملاقاة جيشه:

أبلغ إياداً وخلّل في سَراتهمُ[3]
إني أرى الرأي إن لم أُعصَ قد نصَعَا
يـا لـهـفَ نفسي إن كـانـت أمـوركـمُ
شتى، وأُحـكِـمَ أمـرُ الـنـاس فاجتمعا
ألا تخـافـون قـومـاً لا أبـالـكـمُ
أمسـوا إليكم كأمثال الـدّبـا[4] سُرُعا
أحـرار فـارس أبـنـاء الـمـلـوك لهم
من الجموع جموعٌ تـزدهـي[5] القلعا[6]
فـهـم سـراع إلـيـكـم بـين ملتقطٍ
شوكاً وآخر يجني الصابَ[7] والسّلعا[8]
لـو أنّ جـمـعَـهُـمُ رامـوا بـهـدّتـه
شُمّ الشّماريخِ[9] من ثهلانَ[10] لانصدعا



في كل يوم يسنّون الحراب[١١] لكم
لا يهجعونَ إذا ما غافلٌ هجعا

خُزْراً[١٢] عيونُهمُ كأنَّ لحظَهمُ
حريقُ نارٍ ترى منه السَّنا[١٣] قِطعا

لا الحرثُ يشغَلُهم، بل لا يرون لهم
من دون بيضتِكم[١٤] رِيّاً ولا شِبَعا

وأنتم تحرثون الأرضَ عن سَفَهٍ
في كل مُعْتَمَلٍ تبغون مزدرعا

وتلبسون ثياب الأمن ضاحيةً
لا تجمعونَ، وهذا الليث قد جَمَعَا

أنتمْ فريقان: هذا لا يقوم له
هَصْرُ الليوثِ[١٥]، وهذا هالك صُقَعا[١٦]

وقد أظلَّكمُ من شَطْرِ ثغركمُ
هولٌ له ظُلَمٌ تغشاكم قِطَعَا

مالي أراكم نياماً في بُلَهْنيةٍ[١٧]
وقد ترون شِهابَ[١٨] الحرب قد سطعا

فاشفوا غليلي[١٩] برأيٍ منكمُ حَسَنٍ
يُضحي فؤادي له ريّان قد نقعا[٢٠]

ولا تكونوا كمن قد باتَ مُكتنعا
إذا يُقال له: افرجْ غمةً كَنَعا[٢١]

صونوا جيادَكمُ واجلوا سيوفكمُ
وجدِّدوا للقسيّ النَّبْل والشْرَعا[٢٢]

اشروا [٢٣] تلادكمُ[٢٤] في حِرْزِ أنفسكم
وحِرْزِ نسوتكم، لا تهلكوا هَلَعا[٢٥]

ولا يدعْ بعضُكم بعضاً لنائبةٍ
كما تركتم بأعلى بيشةَ[٢٦] النخعا[٢٧]

اذكوا العُيون[٢٨] وراء السَّرحِ[٢٩] واحترسوا
حتى تُرى الخيلَ من تعدادها رُجُعا

فإن غُلبتم على ضِنٍّ بداركمُ
فقد لقيتم بأمرٍ حازمٍ فَزَعا

لا تُلهكم إبلٌ ليست لكم إبلٌ
إن العدو بعظمٍ منكمُ قرَعا

هيهات لا مالَ من زرعٍ ولا إبلٍ
يُرجى لغابركم إن أنفكم جُدعا[٣٠]

لا تُثمروا المالَ للأعداء إنَّهم
إنْ يظفروا يحتووكم والتّلاد معا

والله ما انفكّت الأموال مُذ أبدٍ
لأهلها إن أصيبوا مرةً تبعا

يا قومُ إنَّ لكم من عزِّ أوّلكم
إرثاً قد اشفقتُ أن يُودي[٣١] فينقطعا

وما يَرُدُّ عليكم عزُّ أوّلكم
إن ضاعَ آخره، أو ذلَّ فاتَّضعا

فلا تغرَّنكم دنيا ولا طَمَعٌ
لن تنعشوا بِزَماعٍ[٣٢] ذلك الطمعا

يا قومُ بيضتكم لا تفجعنَّ بها
إني أخافُ عليها الأزلَمَ الجَذَعا[٣٣]

يا قومُ لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً
على نسائكم كسرى وما جمعا



هو الفناء الذي يجتثّ أصلكمُ
فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

فقلّدوا أمركم لله دركم
ثبت الجَنان بأمر الحرب مضطلعا[34]

لا مُترفاً إنْ رخاءُ العيش ساعدَهُ
ولا إذا عضّ مكروهٌ به خَشعا

مُسهّدُ النوم تعنيه ثغوركمُ
يروم منها إلى الأعداء مُطّلعا

وليس يشغله مالٌ يثمّرُهُ
عنكم، ولا ولدٌ يبغي له الرِّفعا

عبلَ الذّراع[35] أبياً ذا مُزابنة[36]
في الحرب لا عاجزاً نكساً[37] ولا وزعا[38]

مستنجداً يتحدى الناسَ كلّهم
لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قرَعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم
لمن رأى رأيه منكمْ ومن سمعا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل[39]
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

فلما بلغ إياد كتاب لقيط استعدوا لمحاربة جنود كسرى فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى رجعت الخيل من الفريقين جميعاً. ثم إنهم اختلفوا فيما بينهم وتفرقت جماعتهم فلحقت طائفة بالشام، وأقام الباقون بالجزيرة.

الهوامش والمراجع

(١) النِّقاد: صغار الغنم والمعز.
(٢) الحَنَق: الغيظ الشديد والغضب.
(٣) السَّراة: جمع سَريّ: وهو الشريف.
(٤) الدَّبا: الجراد الصغار.
(٥) تزدهي: تستخف.
(٦) القَلَعا: الصخور العظام.
(٧) الصاب: من السموم.
(٨) السَّلَعا: نبت بالحجاز خبيث الطعم لا يرعى.
(٩) الشماريخ: العناقيد، وهنا رؤوس تنتأ من الجبال.
(١٠) ثهلان: جبل بالبادية.
(١١) الحراب: جمع حربة، تستعمل في الحرب.
(١٢) خزراً: جمع أخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه.
(١٣) السنا: الضوء.
(١٤) بيضتكم: أصلكم. أي: يستأصلونك فلا يبقون أحداً منكم.
(١٥) هصر الليوث: كسر الأسود وشدة بطشها.
(١٦) صُقعا: فزعاً وذاهب العقل.
(١٧) البلهنية: الرخاء والغفلة والرفاهية.
(١٨) الشهاب: الشعلة الساطعة من النار.
(١٩) الغليل: حرارة الجوف.
(٢٠) نقع: روي.
(٢١) كنع: ذلّ. مكتنع: مختشع ذليل.
(٢٢) الشُّرَع: الأوتار.
(٢٣) اشروا: بيعوا.
(٢٤) التلاد: المال الأصلي القديم. والمجد والسؤدد.
(٢٥) الهلع: الجزع الشديد.
(٢٦) بيشة: موضع أو واد من أودية تهامة.
(٢٧) النخع: أبو قبيلة باليمن. يذكر هزيمة كانت لهم مع النخع.
(٢٨) اذكوا العيون: أحدّوا النظر.
(٢٩) السرح: الإبل.
(٣٠) جُدع: قطع أنفه.
(٣١) يودي: يهلك.
(٣٢) زماع: التهيؤ للحرب.
(٣٣) الأزلم الجذع: الدهر لأنه لا يهرم أبداً أو الأسد. شبّه به الملك كسرى.
(٣٤) مضطلعا: قادر قوي.
(٣٥) عبل الذراع: غليظ الذراع قوي.
(٣٦) مزابنة: مدافعة.
(٣٧) النكس: الضعيف.
(٣٨) الوَرَع: الجبان.
(٣٩) الدَّخَل: الغش.
(٤٠) للتوسع عن شعر لقيط بن يعمر الإيادي ينظر: ديوانه، تحقيق: خليل إبراهيم عطية.

أقام (مركز الفيصل الثقافي) في العاصمة السودانية الخرطوم في العاشر من مايو الماضي احتفالاً بمناسبة مرور عام على تأسيسه، واشتمل الاحتفال على كثير من البرامج العلمية والثقافية والفنية بمشاركة عدد كبير من السودانيين والمقيمين بالسودان من مختلف المستويات. وكانت هذه المناسبة فرصةً طيبةً لإلقاء الضوء على هذا الصرح الثقافي.



مركز الفيصل الثقافي: منارة ثقافية يشع نورها من حيّ الرياض بالخرطوم

حملت أوراقي وتوجّهت صوب مركز الفيصل الثقافي تتنازعني أفكار وذكريات طيبة لسنوات طويلة أمضيتها في رحاب مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في العاصمة السعودية الرياض في صحبة نفر كريم، تعلّمت منهم الكثير، وتركتهم مكرهاً، ومازالت أحنّ إلى صحبتهم.

ومن المصادفات الجميلة أن (مركز الفيصل الثقافي) في الخرطوم يقع في أرقى أحياء العاصمة السودانية وأجملها، وهو حيّ الرياض، الذي سُمّي بذلك تشبيهاً له بالعاصمة السعودية الرياض؛ لفخامة مبانيه وجمالها، ونزلت في أول الشارع الذي يقع فيه المركز، وهو (شارع المشتل)، ثم أخذت طريقي راجلاً مسافةً تستوجب ركوب (ركشة) أو (تكتك) كما يسميها إخواننا المصريون، لكنني كنت مشغولاً عن ذلك بالتفكير فيما أنا مُقدم عليه، وفي ذهني صورة متكاملة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض؛ ذلك الصرح الشامخ الذي امتدت آثاره خارج حدود المملكة العربية السعودية؛ لتشمل عدداً كبيراً من دول العالم خدمةً للفكر والثقافة والعلوم، وإحياءً لذكرى جلالة الملك الفيصل، رحمه الله.

وصلت إلى المبنى الفخم، وصعدت الدرج إلى الدور الثاني، وقبل الدخول إلى هذا الدور وجدت الجدران مزينةً بشعارات عن تطلّعات المركز ودوره؛ إذ تتمثّل رسالته في خدمة الحاجات المعلوماتية، والتعليمية، والثقافية، والترفيهية، لمجتمعنا المتنوّع عرقياً وثقافياً، والمقصود بالطبع المجتمع السوداني، وذلك عن طريق تسهيل المعرفة، والتعليم المستمر، وإثراء الثقافة، وإتاحة المعلومات للجميع، بالتزام قيم النزاهة والمسؤولية،

والجودة في خدمة الجمهور، والريادة في المنتجات، وروح الفريق، وشراكة المجتمع، واحترام التنوع، والابتكارات في تقديم الخدمات، وحرية الفكر.

حفل الافتتاح يعكس أهميته

افتتح هذا المركز المشير عمر حسن البشير -رئيس جمهورية السودان- بحضور صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل، وأعضاء مجلس إدارة بنك فيصل الإسلامي، في التاسع عشر من مارس عام ٢٠١٣م، وحضر الاحتفال ثلة من المسؤولين، وأعضاء السلك الدبلوماسي بالخرطوم، وقيادات العمل المصرفي والمالي والقطاع الخاصّ، ورجال الأعمال. والمركز إحدى مبادرات بنك فيصل الإسلامي في إطار المسؤولية الاجتماعية للبنك، وهو يُعنى بتقديم خدمات معلوماتية ومعرفية وتعليمية شاملة ومتنوّعة لكل فئات المجتمع عبر المكتبة العامة، والمكتبة الإلكترونية، ومكتبة الأطفال، وصالة المعارض، وقاعة المحاضرات والندوات، ونادي المشاهدة، والدورات التدريبية، وغيرها من الأنشطة المتنوعة؛ بهدف إغناء الحياة الثقافية والفكرية.

مكتبة عامرة بمصادر المعرفة والباحثين عنها

بدأت طوافي في أرجاء المركز، الذي تعدّ المكتبتان الورقية والإلكترونية من أهم أقسامه. وعندما تخطو إلى المكتبة تصافح وجوه كثير من الطلاب والباحثين الذين يزدحم بهم المكان. واستقبلني الإخوة العاملون أجمل استقبال، وتحسّر كثيرون منهم على غياب مجلة (الفيصل) من واجهات المكتبات في السودان عندما عرفوا أنني مراسلها في السودان، وقد عبّروا عن حبّهم لها، وحكى بعضهم

المكتبة الإلكترونية: التقنية في خدمة المعرفة

تتمثّل المكتبة الإلكترونية في مجموعة من مصادر المعلومات والبيانات والمعرفة الرقمية التي أحسن اختيارها وتنظيمها وتحليلها، وهي تعمل على تعريف المستفيدين بالمصادر الإلكترونية المتاحة، وإرشادهم وتوجيههم إلى كيفية الاستفادة منها، إضافةً إلى الإجابة عن أسئلة المستفيدين واستفساراتهم من خلال استخدام الوسائل الإلكترونية الحديثة، وتهيئة بيئة مناسبة للتواصل الإلكتروني، وتضييق الهوة التقنية، وإزالة حاجز الرهبة من التعامل مع المصادر الإلكترونية لدى المستفيدين. وتحتوي هذه المكتبة على نحو ألف قرص مدمج، ونحو ١٠ آلاف كتاب إلكتروني في مختلف حقول المعرفة.



صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل



ذكرياته معها، ووعدتهم بحلّ هذه المشكلة مع المسؤولين في الرياض؛ لتعود (الفيصل) تزيّن واجهات المكتبات في السودان كما كان الحال في السابق.

كانت أولى محطاتي المكتبة العامة، وهي مكتبة مهجّنة، فيها تزاوج بين المكتبة التقليدية بمصادر معلوماتها الورقية، والمكتبة الإلكترونية بمصادرها الرقمية والسمعبصرية، ومكتبة الأطفال، وتقدّم هذه المكتبة خدماتها إلى مختلف فئات المجتمع من خلال أحدث ما نُشر من مصادر المعلومات، وتستخدم أحدث النظم المكتبية وأدوات العمل في الإجراءات الفنية، وأساليب الخدمات المقدمة إلى المستفيدين.

مبادرة غير مسبوقة

بعد أن أخذت فكرةً وافيةً جلستُ مع الدكتور هشام يوسف عبدالرحمن -المدير العام للمركز- الذي استقبلني بترحاب شديد أنساني ما جئتُ من أجله، وعرّفته بنفسي، وبالهدف الذي أتيتُ من أجله، واتّسع صدره لكل أسئلتي، وكانت البداية كالعادة بنبذة تعريفية من المركز، فأجاب: مركز الفيصل الثقافي هو وليد مبادرة من إدارة بنك فيصل الإسلامي في إطار تطبيق مفهوم المسؤولية المجتمعية، وقد اهتمّ البنك في مسيرته منذ نشأته في السبعينيات من القرن الماضي بتقديم خدمات مجتمعية في الإطار الاقتصادي، ورفد المجتمع لرفع التنمية الاقتصادية، ومثال لذلك: فرع المهنيين الذي أفاد كثيراً، إضافةً إلى الإعانات المباشرة لخدمة القضايا الصحية والتعليمية وغيرها، لكن المبادرة التي ظهرت في شكل دعم المكوّن الثقافي، وترقية الحسّ الثقافي، فهي غير مسبوقة، ليس على مستوى السودان فحسب، لكن على مستوى العالم العربي، ولم نسمع بمؤسسة مصرفية قدّمت الخدمة نفسها، وإن لم نبالغ فيمكن القول: إنه يندر أن توجد مبادرة كهذه. وقد نشأت المبادرة ببساطة في شكل مكتبة عامة، وتطورت الفكرة بعد الاجتماع بالأستاذ علي عمر المدير العام للبنك، ثم تبلورت لتكون مركزاً ثقافياً يخدم المجتمع، ويحوي المكتبة العامة داخله، التي بدورها تحوي مكتبةً ورقيةً بجانب المكتبة الإلكترونية التي لها قواعد بيانات متاحة للجميع تفيد أصحاب التخصّصات المختلفة، والاهتمامات المتنوعة، والبحوث المعرفية والأكاديمية، إضافةً إلى الترفيه وزيادة المعارف. كما تحوي المكتبة العامة مكتبةً حديثةً للأطفال تُعنى بتنمية مواهب الأطفال وصقلها، بجانب رعايتها عدداً من الورش والدورات التي تسهم في تعليم النشء، وتفيدهم في حياتهم الدراسية والعملية مستقبلاً. ويمثّل شقّ الفعاليات والمعارض إضافةً حقيقيةً للمركز؛ لأنه يُعنى بتشكيل وجدان المجتمع بكلّ مكوّناته.

رافد ثقافي ونافذة معرفية

قال الدكتور هشام يوسف عبدالرحمن -المدير العام للمركز- عن الأهداف العامة للمركز: الأوعية الثقافية في السودان كثيرة، ويعدّ مركز الفيصل الثقافي رافداً إضافياً يصبّ في



الإعارة الذاتية: تجاوز البيروقراطية

من الخدمات المهمة التي تقدّمها المكتبة خدمة الاستفادة من مجموعات المكتبة خارج مبناها وفقاً للوائح المنظّمة للإعارة، التي تحدّد المواد المسموحة وغير المسموحة للإعارة، كما أنها تحدّد مدة الاستفادة المسموحة لهذه المواد. وتقدّم هذه الخدمة بأحدث الوسائل التقنية عن طريق جهاز الإعارة الذاتية، الذي بواسطته يمكن للمستفيد أن يقوم بالإعارة من دون الرجوع إلى الموظف المسؤول، أو عن طريق الموظف المسؤول عن هذه الخدمة. وتقتني المكتبة أكثر من ٥٢ ألف مصدر في جميع فروع المعرفة، معظمها طبعات حديثة، خصوصاً الكتب العلمية والتطبيقية.

خدمة الحركة الثقافية على مستواها العام، وعلى المستوى الخاص قُصد من المركز أن يقدم خدمةً إضافيةً لما هو موجود، وأن تشمل تغطيته أكبر قطاع ممكن من المجتمع، سواء أكان على مستوى مدينة الخرطوم أم على مستوى السودان كله؛ لذلك فمن الأهداف الأساسية للمركز إشاعة المعرفة والتعلّم والثقافة، وإتاحتها لكلّ الناس في إطار ترقية المجتمع وتنميته وتطويره، ومن أهم الأهداف خلق علاقات وصلات مع الجهات المماثلة؛ مثل: المراكز الثقافية، أو المراكز التي تُعنى بترقية المجتمع في كلّ مجالاته داخل السودان وخارجه على مستوى المحيط العربي والإفريقي، وعلى مستوى العالم، وهو ما نطمح إليه مستقبلاً، وكذلك خلق علاقات ثقافية، ونقل التراث والثقافة السودانيين من داخل السودان إلى خارجه؛ لتعريف الشعوب الأخرى بمكوّنات الثقافة السودانية، وإتاحة الثقافات الخارجية ليتعرّفها الشعب السوداني، وذلك عبر التبادلات الثقافية، ومن خلال البعثات الثقافية التي يقوم بها المركز بالتعاون مع السفارات، والملحقيات الثقافية، وجمعيات الصداقة الشعبية، ولدينا تجربتان ناجحتان نتطرّق إليهما عند حديثنا عن الفعاليات والأنشطة.

وأضاف مدير المركز: من الأهداف الكلية للمركز العملية، التي تتعلق بدراسة المفاهيم الاقتصادية الإسلامية، وتطويرها، وتنميتها، بحكم أن المركز يتبع مؤسسةً إسلاميةً تعمل وتُعنى بالاقتصاد الإسلامي، والهدف الأكبر هو أن يصبح المركز منارةً للبحث، ورافداً يمدّ المجتمع بموارد تغذّي مفهوم الاقتصاد الإسلامي، وتطوّره، وتنمّيه.

فعاليات وأنشطة متنوعة

أوضح مدير المركز الفعاليات والأنشطة التي يتبنّاها المركز، قائلاً: استطاع المركز أن يقيم ما لا يقلّ عن ٣٢٠ نشاطاً في كل الجوانب الثقافية المتنوعة؛ كالأمسيات الشعرية، والبرامج التوثيقية للأدباء، ورواة المديح النبوي؛ لما في مدائحهم من تزكية للنفوس، ونكهة تعطّر الوجدان السوداني. كما أفرد المركز مساحات للفنون، والورش الهادفة إلى معالجة القضايا التي تمثّل هاجساً للمجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. وكان للترفيه حظ وافر؛ إذ قام المركز برعاية الأنشطة الشبابية، التي امتدت لتشمل مجالات الطفل المتنوعة، وجميع ما يهم الأسرة السودانية التي تمثّل نواة المجتمع وعماده. وأضاف: أما في مجال المعارض، فقد أقام المركز نحو ١٥ معرضاً شملت مختلف مناحي الفنون الجميلة؛ كالخزف، والنحت، والتلوين، والخط العربي، والتصوير، والكتاب. كما قام المركز بالتواصل والشراكة مع الشعوب الأخرى، مثل ما تمّ مع سفارة البرازيل في يومها الوطني، وأسبوعها الثقافي؛ إذ تمّ تعرّف جزء من الثقافة البرازيلية العالمية من خلال أمسية (السلطة)، التي قدّمتها الطباخة البرازيلية في قاعة المركز، وورشة التصوير الفوتوغرافي، والمعرض الذي قدّمه الفنان البرازيلي العالمي بيدرو. وكذلك ما تمّ مع السفارة الإيطالية

مركز الفيصل الثقافي في الخرطوم يقع في أرقى أحياء العاصمة السودانية وأجملها، وهو حيّ الرياض، الذي سُمّي بذلك تشبيهاً له بالعاصمة السعودية الرياض؛ لفخامة مبانيه وجمالها



في نافذة سينمائية أتاحت لجمهور المركز فرصة تعرّف الثقافة الإيطالية، وأيضاً أسبوع الفلم الفنزويلي. وتتوالى المشروعات في هذا الإطار؛ إذ توجد في خططنا المقبلة رحلة ثقافية تضمّ معرضاً وبرنامجاً ثقافياً لبلدين: أحدهما إفريقي، والآخر عربي.

المشروعات المستقبلية

تناول الدكتور هشام يوسف المشروعات المستقبلية للمركز قائلاً: تركُّز الأنشطة بالخرطوم واقع وحقيقة، لكن أهداف المركز الإستراتيجية تطمح إلى توسيع الأنشطة لكي تغطي أكبر مساحة من السودان؛ للمساهمة في صهر المجتمع السوداني في بوتقة واحدة، وقولبته في قالب يصلح أن يكوّن أمةً سودانيةً؛ فالمركز يطمح إلى وصل الولايات بالعاصمة، ونقل الحراك الثقافي في شكل قوافل ثقافية كجسم مصغر لما يدور في المركز، تحتوي على مكتبة متنقلة تشجّع على الاطلاع الورقي والرقمي، إضافةً إلى المعارض، والندوات، والأنشطة الشاملة، والوصول إلى أطراف العاصمة والولايات، وهي من أهم الأهداف التي يسعى المركز إلى تحقيقها؛ فالبنك يعتزم إقامة مراكز ثقافية فرعية بالعاصمة المثلثة، ثم ستتسع الدوائر لتصل إلى بقية الولايات.

مكتبة الأطفال: بيئة تفاعلية لصقل المواهب والقدرات

تقدّم مكتبة الأطفال خدماتها للأطفال من عمر ثمانية أعوام إلى ١٣ عاماً. وتتمثّل هذه الخدمات في الإشراف على الأطفال وتوجيههم وإرشادهم إلى كيفية استخدام المكتبة، والمحافظة على مقتنياتها، وكذلك تدريب الأطفال على كيفية الحصول على أوعية المعلومات، واستخراج المعلومات منها. وتقوم المكتبة بالاتصال بالسفارات والجاليات المختلفة؛ للتنسيق معها لعمل أيام ثقافية (الثقافات العالمية)، وتنظيم برامج زيارات للمكتبة للاطلاع. كما تقدّم عدداً من الأنشطة لروّادها الصغار، تشمل: ساعة قصة، ويُقصد بها سرد الحكايات القصصية، خصوصاً الشعبية منها، التي تزرع القيم الدينية، وتعلّم الآداب الاجتماعية، والتربية الوطنية، وحبّ الوطن، وتُحكى خلال ساعة معينة تُحدّد وتُنفّذ حسب الحاجة والإمكانات وظروف المكتبة، مع إمكانية تخصيص يوم للأطفال الذين يقل عمرهم عن ست سنوات مع وجود الأمهات؛ للاستمتاع بجلسات القراءة، مع توفير نسخ مصوّرة من كتب التلوين، وألعاب الذكاء والتركيب، وبرامج القدرات العقلية (الكمبيوتر). كما تقوم المكتبة بإجراء المسابقات المختلفة؛ لإذكاء روح التنافس الشريف بين الأطفال؛ كمسابقة القراءة، ومسابقة الكتابة والتلخيص، ومسابقة الإلقاء، والمسابقات الرياضية، ومسابقات المعلومات العامة، ومسابقات الألعاب الشعبية، ومسابقات المدارس (أوائل الفصول)، وتنظّم لهم الدورات التدريبية في مختلف المجالات، إلى جانب الرحلات الثقافية والترفيهية.



لا عقبات تواجه التزويد

انتقلتُ بعد ذلك إلى الدكتور أحمد علي ساتي -مدير المكتبة- لتعرّف المزيد من جهودهم في تزويد مكتبات المركز لتؤدي الدور المنوط بها في خدمة البحث والباحثين من مختلف شرائح المجتمع، وجهودهم أيضاً في تذليل الصعاب التي تعترضهم، فتفضّل الرجل بالإجابة عن كل أسئلتنا برحابة صدر وأريحية؛ فتحدث عن سياسة التزويد قائلاً: لا توجد لدينا -ولله الحمد- أيّ مشكلة مالية تعيقنا عن تنمية مجموعات المكتبة، وهذا الأمر يسهّل على رئيس قسم التزويد في المكتبة اختيار المطبوعات المطلوبة، ونحن نحاول أن ننوّع في مصادر المعلومات، وهذا

الأمر يعكس طبيعة التزويد في المكتبات العامة التي يؤمّها مختلف شرائح المجتمع والباحثين في مختلف التخصّصات؛ فعادةً يتم اختيار مصادر المعلومات على الطبيعة، ونعتمد في التزويد على كثير من معارض الكتب، وإن كانت القاهرة هي وجهتنا الأولى.



الاهتمام بتوفير المراجع العلمية

أشار مدير المكتبة إلى ما يقدمونه من خدمات تسهل على الطلاب، خصوصاً الذين يدرسون في الكليات العلمية، موضحاً أنهم يقدرون حاجتهم إلى المراجع العلمية، مضيفاً: نعرف أسعار بعض هذه المراجع المهمة؛ فقد لا تصدق إذا قلت لك: إن سعر بعض المراجع يبلغ ١٦٠٠ دولار أمريكي، وهو مبلغ لا تستطيع أغلب الكليات توفيره، وقد سعينا إلى حلّ هذه المعضلة بعدة سبل، منها: الاختيار الصحيح للمراجع التي يحتاج إليها الطلاب، واعتمدنا في ذلك على أمناء المكتبات في هذه الجامعات؛ فقد تعاونا مع مندوبين لسبع جامعات سودانية في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وطلبنا منهم اختيار المراجع المهمة للطلاب، وأعدُّوا بها قوائم، وقمنا نحن باقتنائها وعرضها في مكتبتنا. أما مسألة تصوير ملازم، أو تصوير بعض الصفحات، فإن المكتبة توفر أحدث وسائل التصوير، في أقلّ زمن، وبأقلّ التكاليف، إضافةً إلى إعارة بعض المراجع التي توجد منها أكثر من نسخة.

في انتظار نقلة نوعية

عندما سألنا مدير المكتبة عن ضيق المساحة المتاحة للمكتبات الورقية، والجهود المبذولة لحلّ هذه الإشكالية، اعترف بأنه لا خلاف على أن الإقبال على المكتبة أكبر بكثير من المساحة المتاحة، قائلاً: هذا مما يسعدنا نحن في المركز، ويبشّر بنجاح التجربة التي انفرد بها بنك فيصل الإسلامي. ومما يزيد سعادتنا، ويثلج صدور كلّ المكتبيين والمهتمين بأمر الثقافة في السودان، أن البنك بدأ بإنشاء مبنى خاصّ بالمركز في مقرن النيلين، وبتصميم هندسي سيكون أحد المعالم الهندسية البارزة في السودان، وسيتم ذلك بواسطة شركة كورية، وأحسب أن إنجاز هذا المبنى سيكون نقلةً نوعيةً لهذا المرفق.

المركز يقيم أكثر من ٣٢٠ نشاطاً في كل الجوانب الثقافية المتنوعة: كالأمسيات الشعرية، والبرامج التوثيقية للأدباء ورواة المديح النبوي

خاتمة

هذا بعض ما استطعت أن أنقله عن هذا المركز الذي وُلد عملاقاً، والذي استطاع أن ينجز في زمن وجيز، لا يزيد على العام الواحد، إنجازات عظيمة رفدت الحركة الثقافية السودانية، ونتطلع إلى أن يكون نمطاً جديداً ومتفرّداً في مجال الثقافة والبحث العلمي والفكري؛ ليؤدي دوراً كبيراً حتى يصبح في وقت قريب أكاديميةً للمعرفة.

المكتبة الإلكترونية: خدمات ودورات

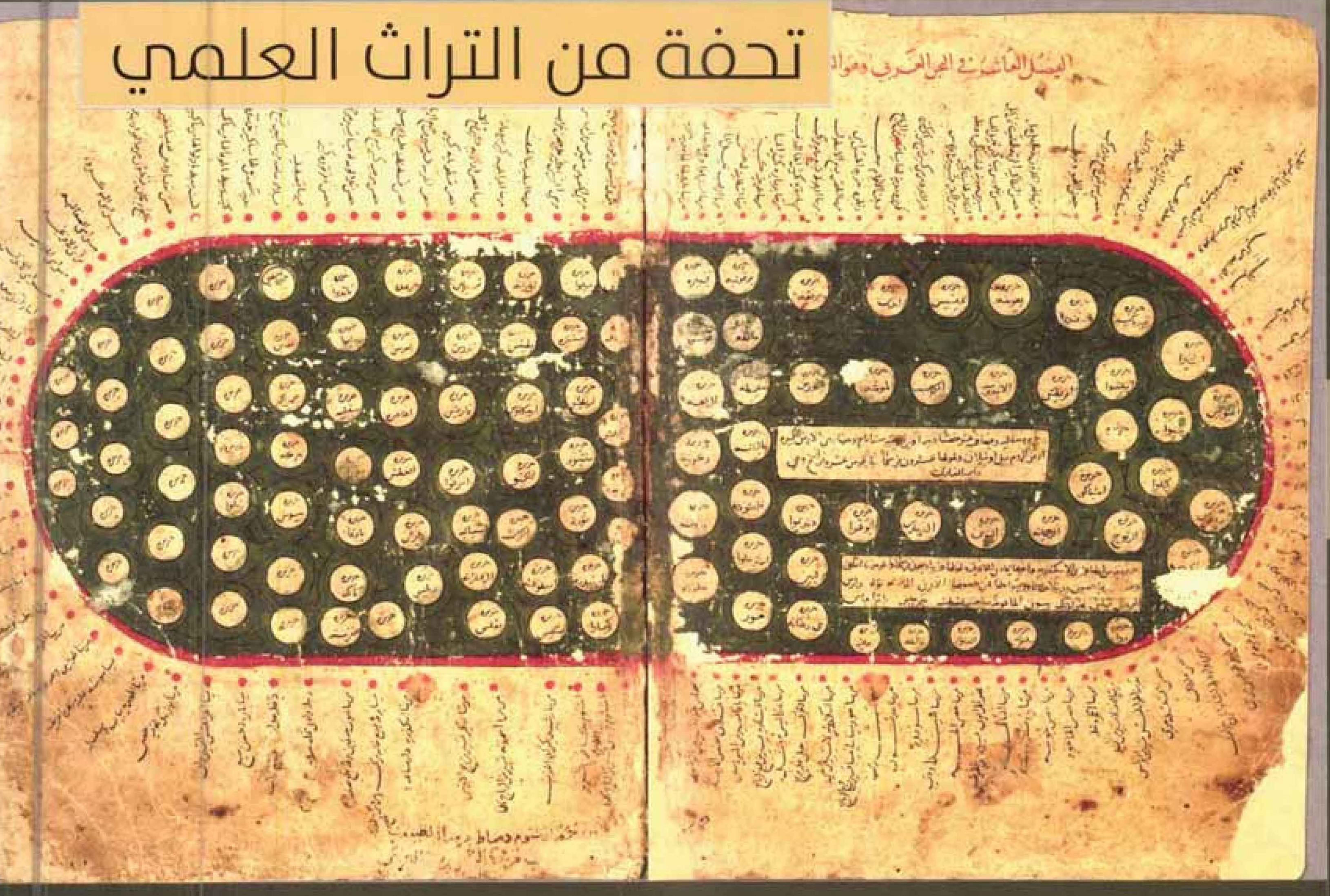
تقدّم المكتبة الإلكترونية مجموعةً من الخدمات للأعضاء داخل مباني المركز أو عبر شبكة الإنترنت. ومن هذه الخدمات:

- البحث في فهرس المكتبة من خلال الشبكة الداخلية للمركز، ومن خلال الموقع الإلكتروني للمركز على الشبكة العالمية على الخط المباشر OPAC.
- توفر المكتبة لروّادها خدمة الاشتراك في قواعد البيانات العالمية عبر اشتراكها.
- الاشتراك في عضوية المكتبة عبر استمارات تُعبأ على الخط المباشر.
- خدمة الانضمام إلى القائمة البريدية للمكتبة.
- الإحاطة الجارية بالمقتنيات الجديدة، وهي قائمة تتضمن البيانات البيليوجرافية للمصادر الجديدة التي تمّت إتاحتها ضمن مقتنيات المكتبة.
- تنظيم البرامج والدورات التدريبية، منها: مهارات البحث في الإنترنت، وتطبيقات الحاسوب، وتدريب طلاب المكتبات والمعلومات وخريجيها.

ظهرت عام ٢٠٠٠م مخطوطة فريدة لم تكن معروفةً من قبل في التراث العلمي، بيعت في مزاد بلندن. ولا تزال هذه المخطوطة تنفرد بالمزايا التي لا توجد إلا فيها: فهي تحتوي على خرائط جغرافية، وأشكال للفلك، ومخطّطات لبعض المدن، ورسومات بها معلومات تفصيلية لا توجد إلا بها، ولا مثيل لهذه المخطوطة في التراث الإغريقي أو اللاتيني أو العربي. وظهر للباحثين في تاريخ العلوم أن للكتاب أهميةً كبيرةً في مجالهم، خصوصاً في الجغرافيا والفلك والخرائط والتاريخ، وهو يحتوي على مادة علمية ثريّة مجمّعة من مؤلفات سابقة لفلكيين ومؤرخين وعلماء ورحّالين مسلمين وعرب من القرن الثالث إلى نهاية الرابع الهجري (٩-١٠م)، وجُلّ تلك المؤلفات السابقة إما ضائعة وإما لم يبقَ منها سوى شذرات قليلة متفرّقة.

غرائب الفنون ومُلَح العيون..

تحفة من التراث العلمي



بيعت هذه المخطوطة لتاجر كُتب قديمة بلندن، فعرضها للبيع على المكتبة البودلية (البودليان، التابعة لجامعة أكسفورد)، فأطلقت المكتبة والجامعة حملةً للتبرعات من أجل شراء المخطوطة والاحتفاظ بها، وقامت بشرائها عام ٢٠٠٢م بعد أن جُمعت مبالغ جيدة تغطّي شراء المخطوطة، وعرضها إلكترونياً، وعرضها في معارض خاصة، ودراسة محتوياتها، وتحقيقها، وكان من أبرز المتبرّعين شركة أرامكو السعودية، وهي المتبرّع الوحيد الذي كان من خارج بريطانيا.

ومنذ اقتناء المكتبة البودلية وجامعة أكسفورد المخطوطة صارت الشغل الشاغل للباحثين المهتمين بمجالاتها، فنُشرت عدة بحوث في الغرب حول موضوعات الكتاب ودراسة محتوياته، ونحن كالعادة آخر من يعلم. وقد ذُكرت عناوين هذه

الدراسات وأمكنة نشرها في الطبعة الأوروبية الصادرة مؤخراً في نهاية عام ٢٠١٣م[١]، ولا تزال الدراسات جاريةً حول هذا الكتاب، خصوصاً في مجالات: تاريخ الفلك والتنجيم، ومكانة الكتاب في التراث الجغرافي وكتب العجائب، وما في الكتاب من معلومات جديدة تزيد معرفتنا بالعصر الفاطمي، والرحلات البحرية خلال عصر حضارة الإسلام. وهذه الدراسات المتعددة نتجت من كون الكتاب فريداً، وكون المعلومات التي بداخله وحيدةً من نوعها؛ فكان شرحها وتوضيحها للمجتمع العلمي أمراً تفرضه أهمية الكتاب العلمية.

عُرضت مخطوطة أكسفورد في موقع إلكتروني خاص بها منذ عام ٢٠٠٧م؛ فقد تمّ تصوير جميع صفحاتها رقمياً بالألوان، وصارت متاحةً للباحثين، مع مقدمة، وترجمةٍ للنصّ إلى اللغة الإنجليزية، وشرحٍ للخرائط، مع تحقيق أوّليّ للنص العربي؛ إذ يظهر النص العربي عند تحريك فأرة الحاسوب فوق نصّ المخطوطة. وأتاح النشر الإلكتروني لمخطوطة أكسفورد تفاعل العلماء والباحثين مع الموضوع، فأرسلوا تعليقاتهم العلمية المفيدة إلى فريق التحقيق في أكسفورد، وهذا الأمر مكّن ذلك الفريق من تجميع مادة ثرية.

في بداية عام ٢٠٠٨م كشف كاتب هذه السطور عن وجود مخطوطة في سورية[٢] تحتوي على النصّ الكامل للكتاب، بعد أن كان فريق البحث في أكسفورد يصرّح بأنه لم يتبقّ من الكتاب سوى قطع صغيرة ناقصة حول العالم[٣]، ومخطوطة أكسفورد نفسها لا تحتوي إلا على المقالتين الأوليين من خمس مقالات بالكتاب. ونشرت المعلومات التي حصلت عليها من مخطوطة سورية، فقام فريق أكسفورد باعتمادها ضمن النسخ الأساسية للتحقيق الصادر مؤخراً في طبعة الكتاب الأوروبية[٤]، وأبلغت البروفيسور عبدالله الغنيم بالكويت -عميد مؤرّخي التراث الجغرافي- بمخطوطة سورية، وهو بدوره أرشد إليها باحثاً أردنياً قام بتحقيق الكتاب لنيل الماجستير، وصدر عمله في بيروت عام ٢٠١١م، وهي طبعة تحتوي على النصّ، وعلى رسومات غير مُتقنة بالخطوط السوداء مأخوذة من مخطوطة سورية، بدلاً من اللوحات الملوّنة الثريّة بالمعلومات في نسخة أكسفورد[٥].

زمن تأليف الكتاب

يقدّر زمن تأليف الكتاب بالمدة بين سنتي ٤١٢ و٤٤٢هـ/ ١٠٢١ و١٠٥٠م كما سيأتي تفصيله. أما زمن كتابة النسخة المخطوطة، فقد قُدّر بنحو سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٠م، وذلك من خلال معرفة نوع الورق والحقبة الزمنية التي صُنع خلالها، ومن خلال التحاليل المخبرية المتطورة للأحبار والأصباغ التي استعملت في الكتابة والرسومات الملونة، واتّضح أن بعض تلك المواد احتوى على ذهب وفضة، وأظهرت تلك التحاليل المخبرية أنه لا توجد مادة حديثة في الأحبار والأصباغ، وأن الزمن الذي افترضه الدارسون للمخطوطة مطابق لنتائج التحاليل. والكتاب كما ذكرنا يتكوّن من خمس مقالات، لكن مخطوطة البودلية وغيرها ليس بها غير أقسام ناقصة من المقالتين الأوليين، أما المقالات الثلاث الأخيرة فلا توجد إلا في نسخة دمشق الكاملة، علماً أن بعض مخطوطات الكتاب الأخرى تنصّ على أنه مكوّن من خمس مقالات. لكن يلاحظ أن أسلوب النصّ في المقالتين الأوليين يختلف عن المقالات الثلاث الأخرى؛ ففي هذه الأخيرة يميل المؤلف إلى الاستشهاد بالشعر والأمثال، بينما أسلوبه في المقالتين الأوليين هو سرد المعلومات المجرّدة، لكن زمن تأليف المقالات الأخيرة لا يختلف؛ فالمصادر التي يقتبس منها لا تتجاوز القرنين الثالث والرابع الهجريين[٦].

نُشر نصّ الكتاب كاملا -اعتماداً على النسخة السورية، مع المقارنة بالنسخ الأخرى- في الطبعة العربية الصادرة في بيروت عام ٢٠١١م. أما الطبعة الأوروبية، فلم يُنشر فيها سوى المقالتين الأوليين؛ لأن المحقّقَيْن عدّا أن اختلاف أسلوبهما عن المقالات الأخيرة يشير إلى أن الكتاب تمّ تأليفه أصلاً من مقالتين فقط، وأن المقالات الأخرى ألحقت به فيما بعد؛ اعتماداً على اختلاف الأسلوب فقط. وأرى أن المحققين فاتهما أن المؤلف يقتبس من مصادر سابقة له، وأن مصادر المقالتين الأوليين، وهما في الفلك والجغرافيا، تختلف في أسلوبها عن الكتب المؤلّفة

وصف المؤلف الدقيق المهدية وصقلية يدلّ على سفره إلى تلك المدن، إلا أن استعماله مصطلحات قبطية، وذكره أشهراً قبطية، وإطراءه الفاطميين حكّام مصر يدلّ على أنه مصري

زمن كتابة النسخة المخطوطة قُدّر بنحو سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٠م، وذلك من خلال معرفة نوع الورق والحقبة الزمنية التي صُنع خلالها



في موضوعات المقالات الثلاث الأخيرة، وهي في الخيل والإبل والصيد؛ فالنوع الأخير من المؤلفات يفيض بالاستشهاد بالشعر والأمثال، ومنها كتاب (مباهج الفكر) للوطواط، و(الحيوان) للجاحظ؛ لذا نعدّ نشر بعض الكتاب من دون بعضه عملاً غير مستحبّ من وجهة نظر مناهج التحقيق، وحرماناً للقارئ من مادة مفيدة في تاريخ العلوم[٧].

محتويات الكتاب

مقالات الكتاب الخمس هي -كما ذكرنا- في الفلك والجغرافيا والخيل والإبل والصيد. المقالة الأولى «في هيئة الفلك الأعلى، وصورته، وأحواله، وكميته، والبروج الاثني عشر، والكواكب السبعة، ومنازل القمر وعيوقاتها وجهاتها، والكواكب ذوات الذوائب وأفعالها وحالاتها»، وتقع في عشرة فصول، فيها حديث عن موضع الأرض في الفلك، وعن البروج، وصور الكواكب الشمالية والجنوبية، مع رسومات عن تشكيلات المجموعات النجمية. ومن الفصول تأثير المذنبات في المخلوقات، وحالة الجو، مع عرض صور مرسومة لأنواعها، وتأثير الكواكب في المخلوقات وطبائعهم، وفي حالة الجو والكوارث الطبيعية، حسب ما ينقله من مصادره، ومنها كذلك منازل القمر، وأنواع الرياح والزلازل وأسبابها. والمقالة الثانية «في الأقاليم السبعة، وأطوالها، وعروضها، وبحارها، وجزائرها، ومساحة أقطارها، وأنجادها، وأغوارها، وأنهارها المشهورة، وبقاعها المنثورة، وعجائب الأرض وغرائبها من الخلق الإنسانية المشوّهة الممثّلة، والصامتة المهملة، مع ذكر غرائب النبات والأحجار والمياه في كلّ قطر وفلاة»، وبها ٢٥ فصلاً يميل المؤلف خلالها إلى عدم التقيّد بالجغرافيا العلمية البحتة المعتمدة على الفلك والرياضيات، فيفصّل السرد، وإيراد العجائب والغرائب، مع أن المعلومات التي يقدّمها فريدة ومهمة وجديرة بالدراسة؛ فهو يتحدث عن الأقاليم السبعة للأرض، وعن صور البحار التي يقدّم خلالها خرائط للمحيط الهندي، والبحر الأبيض المتوسط، وبحر قزوين. وفي الخريطة البدائية للبحر المتوسط يذكر جميع المدن التي على ضفافه، وجميع الجزر التي بداخله، ويخصّص فصلاً عن مدينتي المهدية (في تونس الحالية)، وتنيس (في مصر)، وعن جزيرتي صقلية وقبرص، فيقدّم مخطّطات مفصّلة لهذه الأمكنة، فيها القصور، والمساجد، والفنادق، والحارات (الأحياء)، وأسوار المدن وأبوابها، والأنهار، والجبال، والحمامات، والمراسي، والدُّور المشهورة. وتحدّث عن جزائر الكَفَرة؛ أي: التي تحت حكم بيزنطة في أيامه، وعن بعض الأخوار؛ أي: الخلجان الصغيرة، وعن الأنهار المشهورة، فرسم خرائط للنيل، والفرات، ودجلة، وجيحون Oxus، والسند Indus. والفصول الستة الأخيرة عن الغرائب والعجائب مصنّفة على موضوعات مختلفة. والمقالة الثالثة «في الخيل وأحوالها، والمختار منها والمذموم»، وهي في خمسة فصول، منها ما اختير لمرابط الملوك أو إسطبلاتها، وصفات الأنواع الجيدة، وكيفية أعضاء السقيم، وتشريح أعضائها. والمقالة الرابعة «في النوق وأحوالها، والجمال وأشكالها»، وتقع في ١٩ فصلاً، فيها ما عرفته العرب من خبرات عن الإبل، وكيفية التعامل معها، وعن أمراضها وعلاجاتها، وصفاتها المحمودة والمذمومة. والمقالة الأخيرة «في ذكر الصيد والقنص، وما في ذلك من الترخّص»، وتقع في ٢١ فصلاً، فيتحدث المؤلّف عن طيور الصيد: البازي، والشاهين، والصقر، والعقاب، وعن حيوانات الصيد: كالكلب السلوقي، والفهد المستأنس، وكيفية تدريبها ورعايتها صحياً. ويتحدث في فصول أخرى عن الثعالب،



والأرانب، وحمير الوحش، وبقر الوحش، والنعام، والفيل، والدبّ، والأسد، والذئب، والضبع، والنمر، وعناق الأرض، وابن عرس. وفي الفصل الأخير يتحدث عن صيد البحر.

حول المؤلف

لا نعرف اسم المؤلّف؛ لأن جميع النسخ الخطّية لم تذكر اسمه، لكن نعرف بعض المعلومات عنه من خلال دراسة نصوص الكتاب؛ فهو كان يعرف المدن والبلدان التي يصفها بالخرائط معرفةً جيدةً، وهي: تنيس، والمهدية، وصقلية؛ فالخرائط أو المخطّطات التي يقدمها للمدن تحتوي على تفاصيل غير مذكورة في نصّ الكتاب، والمخططات ليست مجرّد خرائط تقريبية، وإنما يهدف المؤلف إلى تقديم معلومات مفصّلة عن ملامح المدن ومكوّناتها، ومنها المباني، والأسوار، ومرافق الموانئ، وتركيزه في الكتاب هو في المدن التجارية في البحر الأبيض المتوسط، والمؤلف على اطّلاع بالمدن البيزنطية في قبرص، وبحر إيجة، وشواطئ الأناضول. ومع أن وصفه الدقيق المهدية وصقلية يدلّ على سفره إلى تلك المدن إلا أن استعماله مصطلحات قبطية، وذكره أشهراً قبطية، وإطراءه الفاطميين حكّام مصر يدلّ على أنه مصري. أما تاريخ تأليف الكتاب، فقد قدّره الباحثون بالمدة بين سنتي ٤١٢ و٤٤٢هـ/ ١٠٢١ و١٠٥٠م، بناءً على الدراسة التاريخية لنصوص الكتاب، وقد فصّلت هذه السطور بعض الأدلة في بحث سابق لي[٨]، ومنها -مثلا - أنه يذكر عندما يتحدث عن قبيلة بني قرة أنهم من سكان منطقة البحيرة بالإسكندرية، فيقول عنهم (الورقة ٢٩و): «وكذلك بأرض الإسكندرية موضع حطة، يسكنه جمّ غفير من بني قرة وغيرهم، وكان بحراً وصار براً»، ويقول في موضع آخر (الورقة ٤١ظ): «بحيرة الإسكندرية كانت كروماً لابنة المقوقس، وكانت تأخذ خراجها خمراً، فطال ذلك عليها، وغضبت، وغرّقتها بخَورٍ من البحر المالح، فلم تزل بحيرة إلى أن ورد ابن المنا إلى مصر، فأمر بسدّ الفم، فانكشفت الأرض، وهي اليوم سكنى بني قرة». لكن كتب التاريخ تحدّثنا بأن بني قرة تمّ إجلاؤهم نهائياً من منطقة البحيرة سنة ٤٤٣هـ. أما كونه تمّ تأليفه بعد سنة ٤١١هـ، فذلك لأنه يعتمد من ضمن مصادره على كتاب (أنيس الجليس في أخبار تنيس) لابن بسام المحتسب، وهذا الكتاب يذكر الحاكم بأمر الله الفاطمي قائلاً: رحمه الله، فإذا رجعنا إلى تاريخ وفاة المذكور، وهي سنة ٤١١هـ، فإننا نستنتج أن كلا الكتابين تمّ تأليفه بعد سنة وفاة الحاكم.

الخلاصة

الكتاب الذي عرضناه باختصار شغَل الباحثين في تاريخ العلوم منذ أكثر من عقد، وأهميته واضحة من الدراسات التي كُتبت -ولا تزال تُكتب- حوله في الغرب، لكن حظّه من الشهرة قليل عند القارئ العربي، وقد ذكرنا خلال المقالة دور أبناء هذه البلاد العزيزة في إحيائه بعد ضياع وعدم؛ فشركة أرامكو السعودية كانت من أبرز المشاركين في التبرّع لكي تشتري المكتبة البودلية بجامعة أكسفورد أبرز مخطوطاته، وهو ما جعلها تستقرّ في بيئة علمية رعتها خير رعاية كما رأينا، بدلاً من أن يشتريها فرد مجهول، فتنزوي في بيته، وتختفي عن أنظار الباحثين. أما مخطوطته الكاملة النصّ، وهي النسخة السورية، فقد قام أحد الباحثين من هذه البلاد بالكشف عنها، وتعريفها للآخرين بفضل الله.

الهوامش والمراجع

(1) Rapoport, Y. / E. Savage-Smith: An Eleventh-Century Egyptian Guide to the Universe. The Book of Curiosities, Leiden (Holland): Brill, 2013.

(٢) كانت هذه المخطوطة من مقتنيات المكتبة الوقفية في حلب، وانتقلت إلى المكتبة الوطنية بدمشق، ومنها نسخة مصوّرة على ميكروفلم بمعهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب.

(٣) أظهر البحث وجود خمس نسخ أخرى في العالم، لكنها جميعاً ناقصة، لا تحتوي إلا على نصوص من المقالتين الأوليين، من دون الخرائط والمخططات.

(٤) Rapoport and Savage-Smith, op. cit. وقد ذكر محقّقا الكتاب صراحةً اسم من أرشدهما إلى نسخة سورية، وهو كاتب هذه السطور.

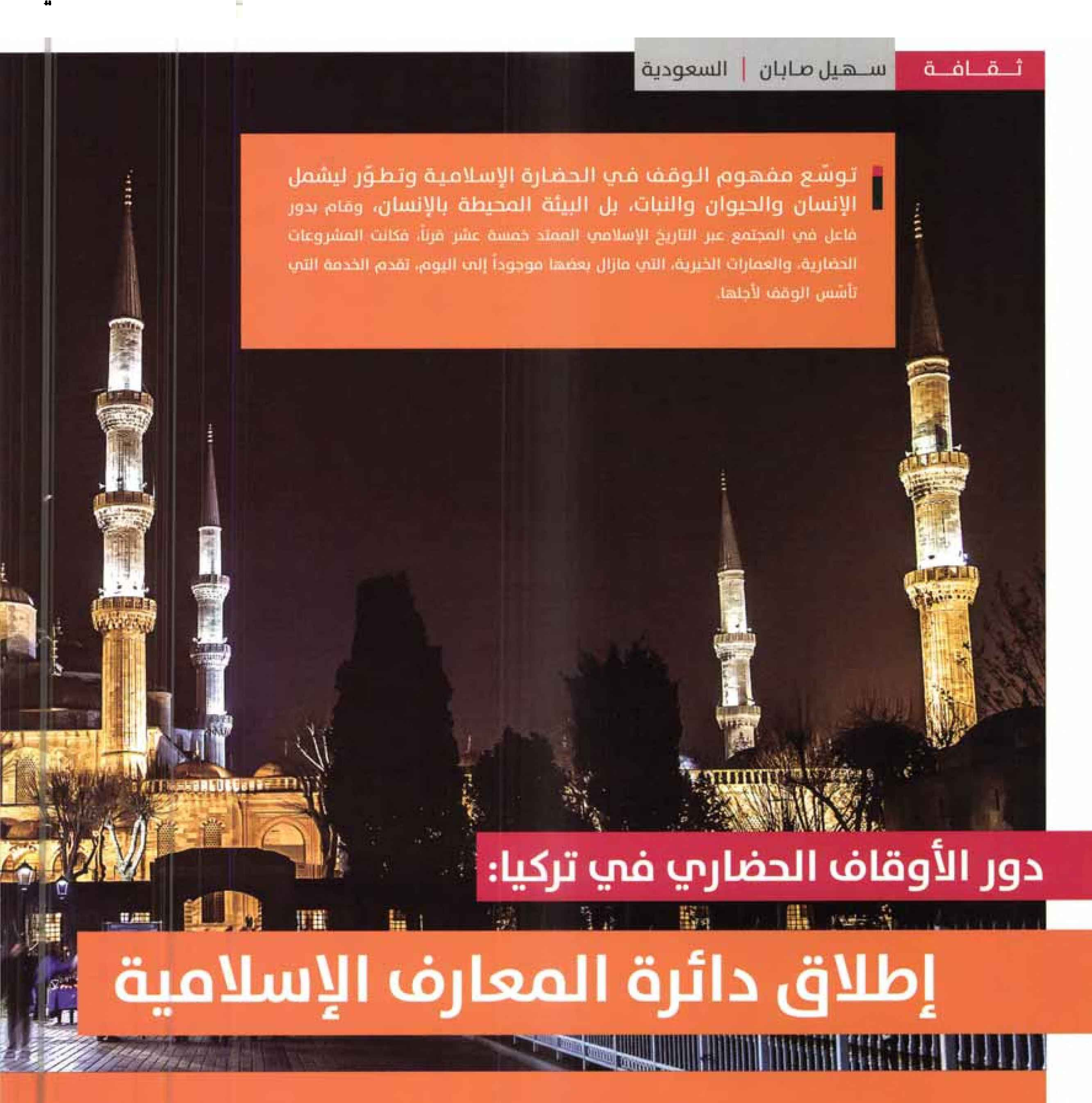
(٥) يصف الباحث اللوحات الملوّنة المحتوية على خرائط ومخطّطات مفصّلة وثريّة بالمعلومات وصفاً مسهباً، من دون أن يُدرجها في كتابه، فيترك القارئ في حيرة؛ لأنه لا يرشده حتى إلى مكان وجودها في موقع إلكتروني مُتاح للجميع. وسبب عدم إدراجها هو عدم تمكّنه من شراء حقوق نشرها، لكن الكتاب نشرته دار صادر في بيروت، وكان يمكن لها أن تشتري هذه الحقوق بوصفها جزءاً من تكاليف النشر. وعلى الرغم من الجهد الواضح المبذول في الدراسة وتحقيق النصّ إلا أن الكتاب منشور من دون كشّافات للأسماء والمصطلحات؛ أي: فهارس مرتّبة على الحروف ومبوّبة، وهو أمر من أساسيات مناهج التحقيق؛ فهو المفتاح الذي يرشد القارئ الباحث إلى فوائد الكتاب. وفي هذه الطبعة أخطاء يطول ذكرها في هذا المقام؛ فهي تحتاج إلى مراجعة شاملة، وهو ما يطرح سؤالاً عن كيفية إجازة رسائل الدراسات العليا في بعض جامعاتنا العربية العريقة.

(٦) مصادر المؤلّف مفصّلة في طبعة بيروت بتحقيق المهدي الرواضية، دار صادر، ٢٠١١م.

(٧) في تحقيقه الكتاب التراثي المهم (طيب العروس وريحان النفوس)، الذي يدور حول الصناعة الكيميائية للعطور، أثبت كاتب هذه السطور أن قسماً صغيراً أضيف إلى الكتاب، يختلف خطّه، وأسلوبه الركيك، ومعلوماته الخرافية، عن باقي الكتاب الأصلي؛ لذا برهن على أن ذلك النصّ مُقحم على النصّ الأصلي، لكن تمّ نشر ذلك النصّ غير المهم وغير العلمي في آخر الكتاب؛ لأن القارئ هو الحَكَم، ومن حقّه الاطلاع على كلّ نصوص المخطوطة (الكتاب تحت الطبع).

(٨) لطف الله قاري، (حول كتابي الشيزري وابن بسام: من منهما سبق الآخر؟)، دورية عالم الكتب، المجلد ٢٩، العددان ٣ و٤ (ذو القعدة- ذو الحجة ١٤٢٨هـ- المحرم- صفر ١٤٢٩هـ، ديسمبر ٢٠٠٧م- مارس ٢٠٠٨م)، ص٣٦١-٣٦٦، ومن البحث نسخة منشورة باللغة الإنجليزية.

توسّع مفهوم الوقف في الحضارة الإسلامية وتطوّر ليشمل الإنسان والحيوان والنبات، بل البيئة المحيطة بالإنسان، وقام بدور فاعل في المجتمع عبر التاريخ الإسلامي الممتد خمسة عشر قرناً، فكانت المشروعات الحضارية، والعمارات الخيرية، التي مازال بعضها موجوداً إلى اليوم، تقدم الخدمة التي تأسس الوقف لأجلها.



دور الأوقاف الحضاري في تركيا:

إطلاق دائرة المعارف الإسلامية

من تلك الأوقاف: وقف الديانة التركي الذي تأسّس في سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م؛ بغية تنظيم شؤون الأوقاف، وتقديم مشروعات نافعة للمجتمع؛ حتى يتم تحقيق الغرض الذي أنشئ الوقف من أجله، وهو مؤسسة مستقلة استقلالاً تاماً عن رئاسة الشؤون الدينية في تركيا، ولا ترتبط بأيّ جهة حكومية، ولها أجهزتها الإدارية، ومؤسساتها العلمية، ومشروعاتها الاستثمارية، ويكون رئيس الشؤون الدينية عضواً من أعضاء اللجنة المتولّية شؤون الوقف؛ لكونه رئيساً للشؤون الدينية.

وقد قرّر الوقف في سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م إعداد دائرة معارف إسلامية خاصة، بناءً على الحاجة الماسة إلى إعدادها؛ بسبب عدم وجود دائرة معارف إسلامية أُعدّت من المسلمين أولاً، ووجود النواقص والأخطاء في دائرة المعارف الإسلامية الصادرة في لايدن ثانياً، وكون الأجيال الجديدة بحاجة إلى دائرة

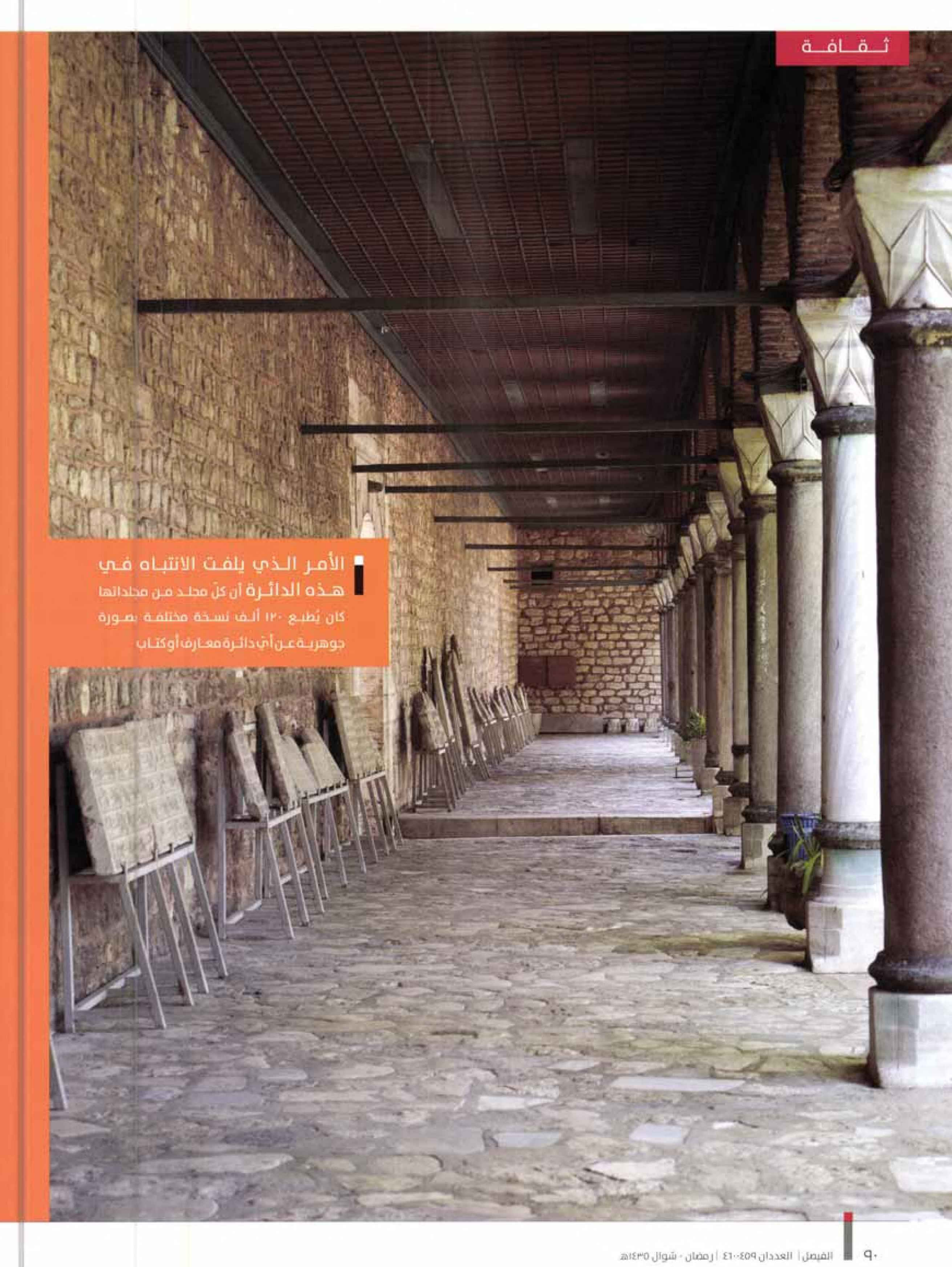
معارف متخصّصة في الإسلام ثالثاً، ووجود الكوادر العلمية المؤهلة التي تقوم بإعداد المواد العلمية، سواء في الجامعات التركية أم العربية رابعاً. ومن هنا لقيت الفكرة قبولاً عاماً من إدارة الأوقاف التركية، فسخّرت كلّ الإمكانات في هذا السبيل، فكان النجاح نصيبها؛ إذ اكتمل صدورها في بداية سنة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م في ٤٤ مجلداً؛ أي: بعد مرور خمسة وعشرين عاماً على صدور المستلّة الأولى منها.

والأمر الذي يلفت الانتباه في هذه الدائرة أن كلّ مجلد من مجلداتها كان يُطبع ١٢٠ ألف نسخة مختلفة بصورة جوهرية عن أيّ دائرة معارف أو كتاب؛ فهذا العدد الهائل من النُّسخ، الذي لم أسمع به من قبل، كان يتم توزيع معظمه على المشتركين مع صدور أيّ مجلد من مجلداته، كما كان يتمّ تسليمه إلى المشترك في عنوانه، ولولا الإمكانات المالية الكبيرة التي وفّرتها إدارة الأوقاف لما أمكن طباعة هذا العدد الكبير، ونشره وتوزيعه على نطاق واسع.

ومع اكتمال العمل في إعداد هذا العمل الحضاري العلمي المتميّز يجدر بنا أن نلقي نظرةً عامةً على البُعد غير المنظور فيها، أو الجنديّ المجهول الذي أعدّ الأرضية للعمل، ووفّر الإمكانات المادية لإنجازه، وسهّل الأعمال الإدارية لتسيير أموره، وقضى على الروتين البيروقراطي الذي يقف حجر عثرة أمام أيّ عمل؛ حتى أصبح نموذجاً في التعاون العلمي، إنه لم يكن شخصاً بعينه، وإنما مجموعة من العلماء الأكاديميين الذين أسّسوا مركز البحوث الإسلامية، الذي انبثق من إدارة الأوقاف في تركيا.

ولأنني سبق أن نشرتُ عدة مقالات تعريفية بدائرة المعارف الإسلامية[1]، التي نحن بصدد





الأمر الذي يلفت الانتباه في هذه الدائرة أن كلّ مجلد من مجلداتها كان يُطبع ١٢٠ ألف نسخة مختلفة بصورة جوهرية عن أي دائرة معارف أو كتاب

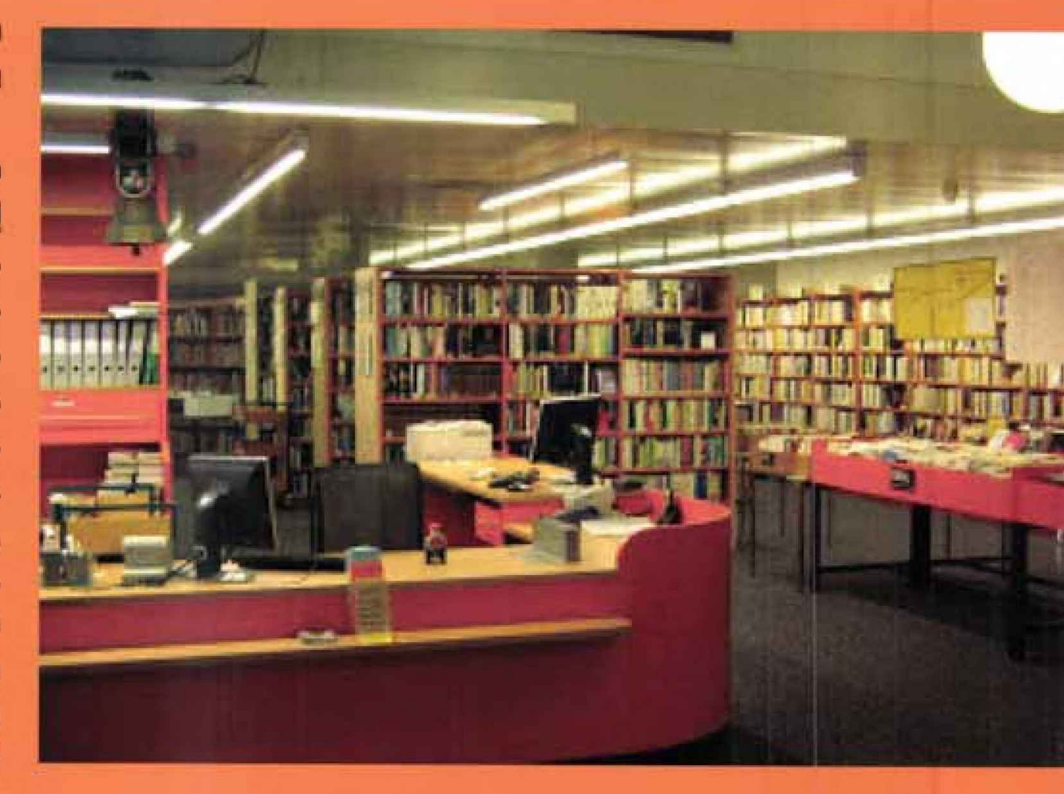
الحديث عنها، فلن أخوض في تعريف موسّع لها، وسأركّز فقط في الجديد في الموضوع.

مركز البحوث الإسلامية في إستانبول

بدأت الأعمال التحضيرية للدائرة في مبنى صغير بحيّ باغلارباشي في قضاء أسكودار بإستانبول في سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، واستمرت تلك الأعمال خمس سنوات. ومع صدور أول مستلة منها في سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م أنشئ مركز البحوث الإسلامية من وقف الديانة التركي. وكان الهدف من إنشاء هذا المركز: القيام بإجراء البحوث والدراسات العلمية، ونشر المؤلفات العلمية في العلوم الإسلامية، وتنظيم لقاءات علمية في داخل تركيا وخارجها، وتنشئة الباحثين في العلوم الإسلامية وابتعاثهم إلى الجامعات العالمية المرموقة في الخارج، وتأسيس مكتبة للبحث العلمي المتخصّص وقواعد معلومات خاصة به. وإضافةً إلى دائرة المعارف الإسلامية، التي أصدرها مركز البحوث الإسلامية، فإنه أصدر كذلك -ومازال- إصدارات علمية متميّزة في سلاسل مستقلة منذ ذلك التاريخ، منها: سلسلة أساسيات الدين الإسلامي، وسلسلة رسائل الدكتوراه، وسلسلة المصادر العلمية، وسلسلة السجلات الشرعية، وغيرها، إضافةً إلى عدة مجلات ودوريات متخصّصة تصدر في أوقاتها المحددة في السنة. وقد انبثق من مركز البحوث الإسلامية ثلاث إدارات، هي: المكتبة، ومركز المعلومات، ودائرة المعارف الإسلامية التي نحن بصدد الحديث عنها.

مكتبة مركز البحوث الإسلامية

تقع مكتبة مركز البحوث الإسلامية في مبنى مستقلّ من مجمّع مركز البحوث الإسلامية، الذي يتكون من ثلاثة مبانٍ كبيرة تقع في أجمل مكان في إستانبول. ويتكون مبنى المكتبة من خمسة أدوار، مساحة كلّ دور ١٢٠٠ متر مربع. وحسب إحصاءات ربيع الأول ١٤٣٤هـ/ فبراير عام ٢٠١٣م، وصل عدد مقتنيات المكتبة ٢٣٥ ألف مجلد من الكتب (كان هذا العدد في عام



إحصاءات خاصة بدائرة المعارف الإسلامية

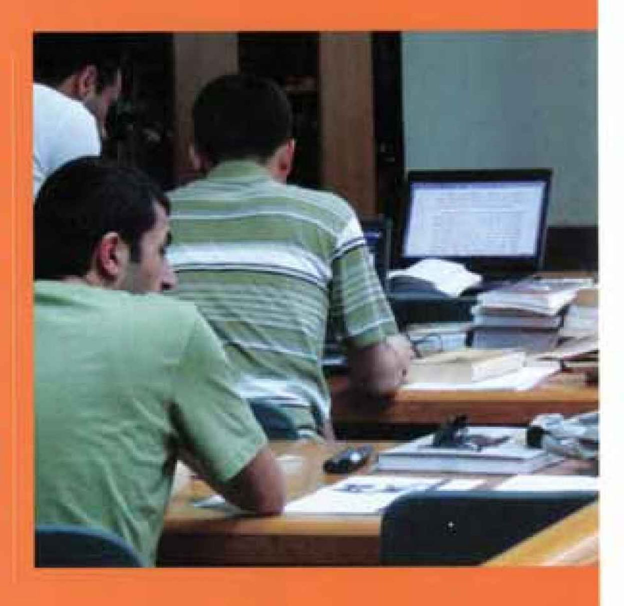
يجدر بالباحث هنا إيراد بعض الإحصاءات الخاصة بالدائرة من حيث المواد، وإعدادها، والباحثون الذين قاموا بإعدادها. وهي إحصاءات أُخذت من إدارة مركز البحوث الإسلامية في إستانبول في ٢٤ رجب ١٤٣٥هـ/ ٢٨ مايو ٢٠١٤م.

- أول مستلة من الدائرة نُشرت في ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- عدد مواد الدائرة بما فيها (انظر): ٣١,٢٨٤ مادة.
- عدد المواد الكاملة من المواد العلمية (من دون انظر): ١٥,٢٦٦ مادة.
- عدد المواد مع المواد الفرعية: ١٦,٨٥٤ مادة.
- عدد المواد التي كتبها الباحثون من داخل تركيا: ١٥,٧٩٩ مادة.
- عدد المواد التي كتبها الباحثون من خارج تركيا: ١٠٥٥ مادة.
- مجموع عدد المواد التي كتبها الباحثون من داخل تركيا وخارجها: ١٦,٨٥٤ مادة.
- عدد الباحثين من داخل تركيا: ١٥٢٥ باحثاً.
- عدد الباحثين من خارج تركيا: ٢٨٥ باحثاً.
- مجموع عدد الباحثين من داخل تركيا وخارجها: ١٨١٠ باحثين.
- عدد المواد التي كُتبت ثم تُركت: ٧٣٣ مادة.
- عدد المواد التي كُتبت ورفضتها إدارة الدائرة، ثم طُلب من باحثين آخرين كتابتها: ١٤٤٣ مادة.
- عدد الباحثين الذين كتبوا المواد، ثم تُوفُّوا إلى رحمة الله: ١٢٨ باحثاً من الداخل، و٢٣ باحثاً من الخارج، بمجموع ١٥١ متوفًّى.
- عدد الباحثين الذين جرى الاتصال بهم لكتابة المواد: ٤١٣٣ باحثاً.
- عدد الباحثين الذين كتبوا المواد مع الباحثين الجدد ١٩٩٥ باحثاً.
- مجموع المواد في التخصّصات المختلفة: ١٦٢٤١ مادة.

روّاد مميزون

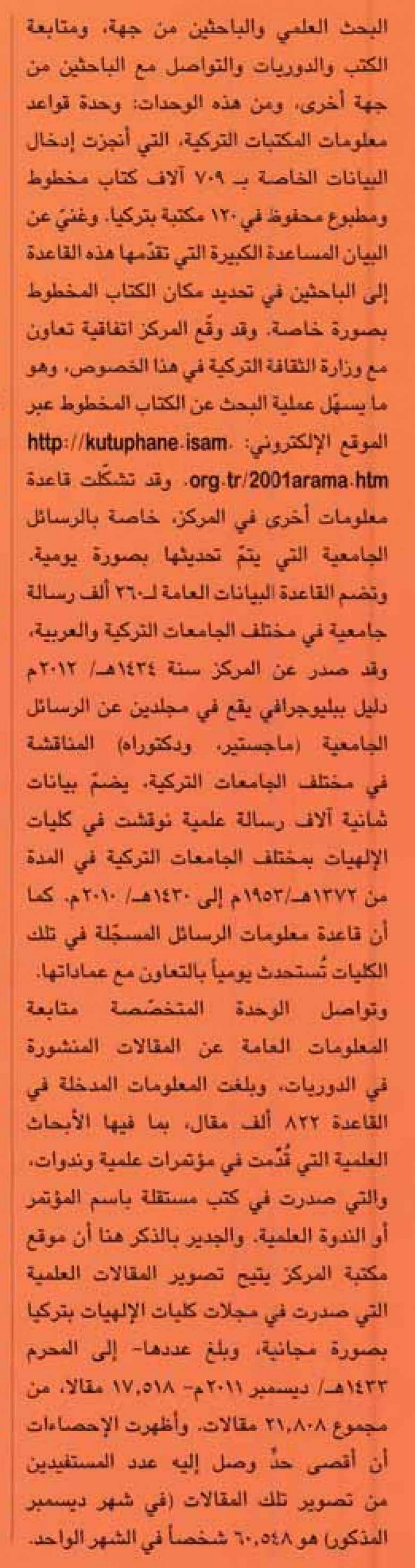
يرتاد مكتبة مركز البحوث الإسلامية آلاف الباحثين والباحثات من داخل تركيا وخارجها؛ لما تقتنيه من وثائق وسجلات وكتب ودوريات، ولا تقبل المكتبة إلا الباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه وما بعدها من الأساتذة المتخصّصين في تخصّصات علمية اجتماعية متنوّعة، على رأسها العلوم الإسلامية واللغة العربية. وقد وصل عدد المسجلين من مرتادي المكتبة من الباحثين إلى ١٢،٥٠٠ باحث، ويرتادها في اليوم الواحد أكثر من ٤٥٠ باحثاً.

من الأمور التي تميّز الدائرة من غيرها من دوائر المعارف الإسلامية، أو حتى العامة، إدراج المواد الجديدة التي لا يمكن العثور عليها في مكان آخر



٢٠١٠م ٢١٥ ألف مجلد، وعدد الكتب باللغة العربية ٥٢ ألف كتاب، والعثمانية ٩٣٠٠ كتاب، والتركية ٩٩،٥٠٠ كتاب، والفارسية ٤،٩٠٠ كتاب، والباقي باللغات الأخرى)، و٣٥٢٨ دورية، منها ٧٥٠ دورية مستمرة في الصدور، ووصل عدد تلك الدوريات المحلية والدولية ١٥٠ ألف عدد. كما ضمّت المكتبة سبعة آلاف رسالة علمية، وتجري متابعة تلك الدوريات بصورة مستمرة، كما تتمّ متابعة الكتب الجديدة أيضاً لحظةً بلحظة، بل إن لفيفاً من الباحثين العاملين في المركز شاركوا في كثير من معارض الكتب الدولية؛ لشراء الكتب الجديدة، وإثراء مكتبة المركز بها. والجدير بالذكر هنا أن معظم إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ودارة الملك عبدالعزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وغيرها من المؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية، متوافرة في مكتبة المركز بإهداء من تلك المؤسسات.

ولأن المكتبة تمّ تنظيمها منذ تأسيسها على قواعد معلومات إلكترونية حديثة، وتجهيزها بأحدث التقنيات الجديدة، فقد تشكّلت في المكتبة عدة وحدات فنية خاصة لخدمة



البحث العلمي والباحثين من جهة، ومتابعة الكتب والدوريات والتواصل مع الباحثين من جهة أخرى، ومن هذه الوحدات: وحدة قواعد معلومات المكتبات التركية، التي أنجزت إدخال البيانات الخاصة بـ ٧٠٩ آلاف كتاب مخطوط ومطبوع محفوظ في ١٢٠ مكتبة بتركيا. وغنيّ عن البيان المساعدة الكبيرة التي تقدّمها هذه القاعدة إلى الباحثين في تحديد مكان الكتاب المخطوط بصورة خاصة. وقد وقّع المركز اتفاقية تعاون مع وزارة الثقافة التركية في هذا الخصوص، وهو ما يسهّل عملية البحث عن الكتاب المخطوط عبر الموقع الإلكتروني: http://kutuphane.isam.org.tr/2001arama.htm. وقد تشكّلت قاعدة معلومات أخرى في المركز، خاصة بالرسائل الجامعية التي يتمّ تحديثها بصورة يومية. وتضم القاعدة البيانات العامة لـ٢٦٠ ألف رسالة جامعية في مختلف الجامعات التركية والعربية، وقد صدر عن المركز سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م دليل ببليوجرافي يقع في مجلدين عن الرسائل الجامعية (ماجستير، ودكتوراه) المناقشة في مختلف الجامعات التركية، يضمّ بيانات ثمانية آلاف رسالة علمية نوقشت في كليات الإلهيات بمختلف الجامعات التركية في المدة من ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م إلى ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م. كما أن قاعدة معلومات الرسائل المسجّلة في تلك الكليات تُستحدث يومياً بالتعاون مع عماداتها.

وتواصل الوحدة المتخصّصة متابعة المعلومات العامة عن المقالات المنشورة في الدوريات، وبلغت المعلومات المدخلة في القاعدة ٨٢٢ ألف مقال، بما فيها الأبحاث العلمية التي قُدّمت في مؤتمرات علمية وندوات، والتي صدرت في كتب مستقلة باسم المؤتمر أو الندوة العلمية. والجدير بالذكر هنا أن موقع مكتبة المركز يتيح تصوير المقالات العلمية التي صدرت في مجلات كليات الإلهيات بتركيا بصورة مجانية، وبلغ عددها- إلى المحرم ١٤٣٣هـ/ ديسمبر ٢٠١١م- ١٧,٥١٨ مقالاً، من مجموع ٢١,٨٠٨ مقالات. وأظهرت الإحصاءات أن أقصى حدٍّ وصل إليه عدد المستفيدين من تصوير تلك المقالات (في شهر ديسمبر المذكور) هو ٦٠,٥٤٨ شخصاً في الشهر الواحد.



ومن جانب آخر، فإن كتاباً دورياً يصدر عن الوحدة كلّ أربعة أشهر، يضم محتوى الدوريات العلمية الأجنبية التي تضم المقالات الحديثة المنشورة فيها. ومنذ شعبان ١٤١٤هـ/ فبراير عام ١٩٩٤م إلى صفر ١٤٣٤هـ/ يناير ٢٠١٣م صدر ٦٦ عدداً من هذا الكتاب الدوري، وبعد التاريخ الأخير اقتصر نشره إلكترونياً على موقع المركز، وفي حال رغبة الباحث الوصول إلى إحدى المقالات يمكنه إرسال رسالة إلى مكتبة المركز kutuphane@isam.org.tr، والحصول على المقال بصيغة بي دي إف. كما توجد معلومات أخرى في مكتبة المركز، من أهمها: السجلات الشرعية لمختلف المحاكم الشرعية في الدولة العثمانية، خصوصاً في أوربا العثمانية، بلغت ٢١ ألف سجلّ، ومجموعة محمد بن محمد تاويد الطنجي (توفّي عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، وغيرها من المجموعات.

مركز المعلومات

من أهم وحدات مركز البحوث الإسلامية، ويتوافر لديه ١٨,٧٨٨ ملفاً، هي مواد دائرة المعارف الإسلامية، ويرتبط بها ١٢٣,٦٠٠ كتاب، و٦٠,٩٥٩ مقالاً منشوراً في ٢٠٩٦ مجلة. وكلما ورد كتاب أو مجلة إلى مكتبة المركز فإن مديرها العلمي الأستاذ الدكتور إسماعيل أرأونسال يشير إلى المادة المتعلقة بالكتاب أو المقال، فيتم تصوير الجزء الخاصّ بها، ووضعها في الملف الخاصّ بالمادة. وفي حال رغبة أحد الباحثين الاطلاع على أحد الملفات يتم تقديمه إلى الباحث في المركز، وله أن يصوّر الملف أو الملفات التي يحتاج إليها في عمله العلمي.

وإضافةً إلى ما سبق ذكره، فإن مكتبة مركز البحوث الإسلامية حصلت على المكتبات الخاصة لبعض الشخصيات العلمية، إما تبرّعاً وإما شراءً، وهي تتجاوز عشرين مكتبة. ومما يجدر ذكره هنا أيضاً أن مكتبة المركز عُدّت في شهر صفر ١٤٢٨هـ/ مارس عام ٢٠٠٧م ضمن عشر مكتبات في تركيا تميّزت بالخدمة والجودة.



موقع مركز البحوث الإسلامية على الشبكة العالمية

انطلاقاً من فكرة مجانية العلم والمعرفة، وضرورة شيوعها لخدمة الباحثين، قام مركز البحوث الإسلامية في شهر يونيو ٢٠١١م بوضع ٢٥٠٠ رسالة عثمانية مطبوعة نادرة مع ستة آلاف مقال باللغة العثمانية، صدرت في ٢٢ مجلة في ٧١٦ عدداً، منذ بداية الطباعة في الدولة العثمانية سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م إلى إلغاء الحروف العربية في تركيا عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، على موقعه على الشبكة العالمية www.isam.org.tr على صيغة بي دي إف؛ لينسخ منها من يحتاج إليها في أيّ مكان من العالم. ومما يجدر ذكره هنا أنه لم يكن من السهل الوصول إلى تلك الرسائل والمقالات تحت سقف واحد؛ إذ كان يتطلب الانتقال من مكتبة إلى أخرى للوصول إلى إحداها، كما حصل مع كاتب هذه السطور؛ إذ سافرت في أواخر القرن الماضي إلى إستانبول، وراجعت مكتبة بايزيد الدولية فيها؛ لتصوير كتيب، وهو رسالة صغيرة باللغة العثمانية، عن المسألة النجدية لفخر الدين



روم بك أوغلو؛ فلم أجد فيها الكتيب، وعرفتُ أن نسخةً منه موجودة في مكتبة كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا في جامعة أنقرة، فمر أكثر من عشر سنوات ولم أتمكّن من تصويره، ولما كنتُ في زيارة علمية إلى إستانبول مع بعض الزملاء سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م مررنا بمكتبة مركز البحوث الإسلامية، فسألتُ مدير المكتبة عن كيفية الوصول إلى نسخة من الكتيب، فصوّرها لي -جزاه الله خيراً- على الفور. وأحياناً كان يستلزم ذلك السفر من بلد بعيد إلى إستانبول؛ لتصويرها بعد العثور عليها في مكتبة من مكتباتها، فضلاً عن وضعها بصورة كاملة في نظام حاسوبي وتحت يد الباحثين يقرؤها ويصوّرها من شاء متى شاء؛ فقد أمكن من خلال تلك الخدمة الرائعة الوصول إلى تلك المطبوعات بسهولة تامة من دون أيّ مقابل مادي.

دائرة المعارف الإسلامية

دائرة المعارف الإسلامية التي نُشرت في لايدن (١٩٠١- ١٩٣٩م) استغرق إعدادها ونشرها ٣٨ عاماً، واستغرقت ترجمتها إلى اللغة التركية، مع إضافات عليها، ٤٧ عاماً (١٤٠٧هـ - ١٣٥٩م /١٩٤٠- ١٩٨٧م)، وذلك بعد أن قرّرت وزارة التعليم الوطنية التركية ترجمتها إلى هذه اللغة، علماً أن كثيراً من المواد المؤلفة في هذه الدائرة The Encyclopedia of Islam، التي ألّفها المستشرقون، لا تعكس حقيقة الإسلام وتاريخه، وليست موضوعيةً في المواد التي أدرجتها، حتى دفع ذلك بعض الباحثين الغيورين إلى إعداد أطروحات علمية في بيان الأخطاء التي وقعت فيها تلك الدائرة، سواء أكانت أخطاء عقيدية أم تاريخية، من ذلك على سبيل المثال: (الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية: عرض ونقد وتحليل)، الذي تقدّمت به الباحثة أماني جعفر الغازي إلى جامعة أم القرى؛ إذ حصلت به على درجة الدكتوراه سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، وصدر في كتاب سنة ١٤٣٣هـ.

أما دائرة المعارف الإسلامية الجديدة، التي نحن بصدد الحديث عنها، فقد بدأ الإعداد لها سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ونشرت أول مستلة منها سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وكان في البداية يُنشر مجلد واحد في السنة، ثم أصبح يُنشر مجلدان في العام الواحد، إلى أن اكتملت الدائرة في ٤٤ مجلداً، كلّ مجلد يقع في نحو ٧٥٠ صفحة من القطع الكبير، مع اختلاف واضح عن تلك الدائرة في اختيار المواد، وفي المنهج المتّبع في كتابتها، وفي عدد المواد التي تشكّلت منها الدائرة، وكذلك في العدد الكبير الذي شارك في تأليف تلك المواد من العلماء والأساتذة المتخصّصين، مع اختلاف واضح أيضاً في المدة التي استغرق نشرها، وهي ٢٥ عاماً. وبطبيعة الحال، فإن الفضل في ذلك كلّه يعود -بعد الله تعالى- إلى الأوقاف، التي وفّرت كلّ الإمكانات المالية، وكذلك حسن التخطيط، ومتابعة الباحثين، والتزام مواعيد تسلّم المواد الدقيق وتحريرها وإخراجها، والحرص الشديد على إنجاز العمل بكلّ إخلاص. كما لا ننسى توفير الأرضية الصلبة من المصادر العلمية المتنوعة والأساتذة المتخصصين؛ فكلّ ذلك أدى إلى هذا النجاح الذي يحقّ لإدارة الأوقاف في تركيا الافتخار به، وهو منجز حضاري كبير يُضاف إلى المنجزات الأخرى لتلك الإدارة.

وتتميّز المواد المؤلفة والمنشورة في دائرة المعارف الإسلامية بالتزام الموضوعية التام والحيدة العلمية؛ لأن المشروع حضاريّ يمتد إلى الأجيال المقبلة، ولا بد أن يكون الباحث الأكاديمياً والعالم المتخصّص المُستكتَب للمادة العلمية على إلمام تام بالموضوع، وتصوّر شامل بتفصيلات المادة التي يكتبها؛ فلو كانت المادة فقهيةً فلابد من إيراد آراء المذاهب الأربعة، بل أحياناً الرأي المخالف في داخل المذهب الفقهي أيضاً، وهو ما يعني ضرورة الإحاطة الشاملة بالموضوع، ولو كانت المادة تاريخيةً حديثةً أو معاصرةً فلابد من الاستفادة من الوثائق المحفوظة في مختلف دور الأرشيف، وعلى رأسها الأرشيف العثماني؛ حتى تضمن المادة حداثة الموضوع مع الموضوعية المطلوبة من الباحث. وهذا الأمر يعني عدم الاكتفاء بالكتب والمقالات

دائرة المعارف الإسلامية الجديدة
بدأ الإعداد لها سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ونشرت أول مستلة منها سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، واكتملت الدائرة في ٤٤ مجلداً

المنشورة، بل تجاوز ذلك إلى الوثائق التي لم تُستخدم، أو لم يلمّ بها إلا المتخصّص؛ لتكون المعلومات في متناول أيدي جميع القراء. والجدير بالذكر أن المادة المحرّرة تقدم معلومات ضافية في الموضوع، وتعطي القارئ معلومات كافية للإحاطة به، وليس مجرد سرد له، أو تقديم فكرة عنه. وبعد الانتهاء من المادة المُحرّرة كان



يتم الانتقال إلى عدة مراحل علمية أخرى عبر اللجان التي تشكّلت لهذا الغرض؛ لإقرار المادة من الناحية العلمية أولاً، ومدى التزام المؤلف القواعد العامة المتّبعة في الدائرة، ثم صياغتها من ناحية الأسلوب؛ حتى تكون المواد جميعها بأسلوب واحد ومنهجية علمية موحدة، وأخيراً إخراجها إخراجاً فنياً خاصاً بالدائرة.

ومن الأمور التي تميّز الدائرة من غيرها من دوائر المعارف الإسلامية، أو حتى العامة، إدراج المواد الجديدة التي لا يمكن العثور عليها في مكان آخر. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ التركي الشهير يلماز أورتونا في مقال تعريفي له بالدائرة نُشر في مجلة (الإسلام) باللغة

مكتبة مركز البحوث الإسلامية

حصلت على المكتبات الخاصة لبعض الشخصيات العلمية، إما تبرّعاً وإما شراءً، وهي تتجاوز عشرين مكتبة

التركية، ع١١٨، في ذي الحجة ١٤١٣هـ/ يونيو عام ١٩٩٣م؛ إذ ذكر أن كثيراً من المواد المنشورة في الدائرة لم يجدها في غيرها من دوائر المعارف، ولاسيما لما رأى صورةً منشورةً في مادة (جميل بك العظم)؛ لأن أصل الصورة موجودة فقط في الألبوم الذي يقتنيه أورتونا، الذي أشاد بهذه الدائرة بأنها مصدر فخر للثقافة التركية التي تتنوّر بمثل هذه اللآلئ الحقيقية.

والحقيقة أن المفاجأة الكبرى لكاتب هذه السطور طرح مواد الدائرة بصيغة بي دي إف على موقع خاصّ بالدائرة على الشبكة العالمية، وبصورة مجانية؛ فقد أتاح هذا الموقع /http://www.tdvislamansiklopedisi.org الاطلاع على كلّ مواد الدائرة البالغة مع المكرّرات ٢١،٢٨٤ مادةً، ومن دون المكرّرات ١٦،٨٥٤ مادة، والقيام بتصوير المادة أو المواد التي يرغب فيها الباحث من أيّ مكان في العالم. وهذا الأمر يعني أن الجهد الذي بذله أولئك الباحثون، الذين وصل عددهم إلى ١٨١٠ باحثين متخصّصين من داخل تركيا وخارجها، في إعداد المواد العلمية للدائرة أصبحت في متناول أيدي الجميع، من دون أيّ اختلاف عن النسخة المطبوعة. حقاً، إنه عمل جدير بالتقدير، ومثال ينبغي أن تسير عليه المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، وهو في الوقت ذاته ثمرة من ثمار الأوقاف الإسلامية.

الهوامش والمراجع

(*) تمّ إعداد هذا المقال من خلال المعلومات التي قدّمها إلى الباحث مصطفى بيرول أولكر -المدير الإداري لمكتبة مركز البحوث الإسلامية- في مكتبه بالمكتبة في ٢٩ رجب ١٤٣٥هـ/ ٢٨ مايو ٢٠١٤م.

(١) منها: دائرة المعارف الإسلامية (التركية) الجديدة، مجلة عالم الكتب، ع٣، مج١٤، ذو القعدة- ذو الحجة سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٦٢-٣٦٩. معلومات عن الجزيرة العربية في دائرة المعارف الإسلامية (التركية الجديدة)، مجلة عالم الكتب، ع٥-٦، مج٢٠، الربيعان- الجماديان سنة ١٤٢٠هـ/ يوليو- أكتوبر ١٩٩٩م، ص ٥٧٣-٥٧٥. الجزيرة العربية في دائرة المعارف الإسلامية (التركية الجديدة)، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، ع٢، مج٥، رجب- ذو الحجة سنة ١٤٢٠هـ/ نوفمبر ١٩٩٩م- إبريل ٢٠٠٠م، ص ٢٩٨-٣٠٩.

- إحصاءات مركز البحوث الإسلامية:

Fatma K.Barbarosoğlu/Bir Başarı Hikayesi Olarak TDV Islam Ansiklopedisi. Yenişafak.29.2.2014

İsmail Erünsal. Mustafa Birol Ülker/TDV Islam Araştırmaları Merkezi. (İSAM) ve Kütüphanesi. Asım (Fikir ve Sanat dergisi).yıl.1. sayı.2

Mustafa Birol Ülker /İstanbul Kadı Sicilleri Projesi'nin İlk Eseri Yayınlandı. Toplumsal Tarih. Sayı.182 (Şubat 2009).pp.12

Mustafa Birol Ülker / Türkiye Diyanet Vakfı İslam Araştırmaları Merkezi Kütüphanesi: İSAM. 17-Ayraç dergisi. sayı.5 (Ocak-Şubat 2010).pp.15

Mustafa Birol Ülker / Türkiye Diyanet Vakfı İslam Araştırmaları Merkezi ve Kütüphanesi: 315-Yavuz Argit Armagani. Kocaeli Buyuksehir Belediyesi. 2010.pp.286

Mustafa Birol Ülker / Türkiye Diyanet Vakfı İSAM Kütüphanesi. İlahiyat Makaleler Veri Tabani 316-pp.311.(2/Projesi: ISAM. Marmara Üniversitesi. İlahiyat Fakültesi dergisi. sayı.41 (2011

Namık Açıkgöz/Islam Ansiklopedisi Biterken. Habervaktim.com.5.2.2014

Recep Yılmaz/ TDV Isam Kutuphanesi Bagis Koleksiyonlari: Yavuz Argıt Armağanı. Kocaeli 323-Büyükşehir Belediyesi. 2010.pp.316



- يسكن الفنّ اللوحة بعد أن تقتنع الألوان بأن روحاً مُبدعةً ستسند بقاءها هناك إلى الأبد.
- الدموع لا تسقط من دون المرور بنا.. إنها وفيّة للأرواح والأجساد التي أطلقتها.. ليت من نبكي من أجلهم يمتلكون وفاءها.
- المصادفات لا إرادة لها، ولا نيّات. إنها محض فوضى؛ قد تسعدنا أو تشقينا، وفي أحايين كثيرة لا تهمّنا، أو لا ننتبه لها حتى!
- نحاكم الجواسيس والزناة بتهم الخيانة بكلّ قسوة، في الوقت الذي يجب أن نحاكم فيه الطفولة الراحلة والعمر المتسرّب بهذه التهمة الشائنة.
- المرأة والمؤامرة كلمتان متشابهتان.. لو حُذفتا من النقاشات العربية لأفلس خلق كثير.
- دقّ مسماراً على جدار حزنه، فتثاءب الجدار، وسقط المسمار.
- الزلازل حُمّى الأرض؛ فمن ذا الذي تسبّب في عدواها؟!
- إننا لا نعلم بعدُ مقدار الحزن الهائل الذي يعانيه طير مقصوص الجناح.
- لماذا يملك الوداع كلّ هذا الثقل، بينما يرحل الفرح خفيفاً كعطرٍ رقيق؟!
- كم هو مؤلم غراء الأمل حين يجفّ!!
- التفتُّ إلى ظلّي فارتبك.. قلتُ: ألم تملّ من مطاردتي؟!.. فأجاب: حين نُدفن معاً في التراب.
- يقفون أمام المرايا لضبط هندامهم كلّ يوم، وبعضهم كلّ ساعة، لكنهم في اللحظة الأخيرة يلبسون القناع ويخرجون.
- خفقات القلب صرخات سجين مكلوم يقبع خلف قضبان الصدر.
- هل السنة صارت أقصر، أو صار زمننا مضغوطاً تتفلّت الأيام بين يديه بسرعة فائقة، أو أنه العمر يركض نحو هاويته مثل فراش يطير نحو ناره الأخيرة؟!
- الوحدة: الجلوس في الدائرة بعد إغلاق بابها اليتيم.
- القصائد: بذار الروح.
- الممسوس: شخص عَبَر إلى ضفّةٍ لا نراها.
- الحيرة: قرار يعاني ازدواج النظر.
- الغرور: فائض دونيّ ينزّ من صاحبه.
- الوعود كالماء تحتاج إلى معبر.
- الصمت جنّيٌ حزين اضطرّ إلى تلبّسنا.
- أيها الحزن، هلا أفسحت الطريق قليلاً كي أعبر!!.
- أعفيتُ قلبي من منصبه بعد أن ضبطتُهُ في خلوة غير شرعية.
- كلما زدنا درجةً في سلّم المستقبل ركض الخائفون، وزادوا ارتفاع الجدران.. فات هؤلاء أن الجدران إذا ارتفعت عن حدّها تسقط دوماً.
- الصحراء تحضّنا على الوضوح دائماً، لكننا -لسببٍ ما لا أفهمه- قرّرنا العيش في وهم سرابها؛ فلم نعد نحن كما نحن، ولم ننتمِ إلى الصحراء، فمُسخنا.
- وعيك الحادّ أن تحفر بإزميلك الصغير ثقوباً صغيرة في الصخرة الأخيرة التي تتكئ عليها فوق هاوية المجهول.. كلّ يحفر بحسب خوفه، أو فضوله، أو حزنه.
- في طفولتنا كان الجنّ كثراً، وفي كلّ زوايا الحيّ، وعندما كبرتُ أحسستُ أنهم غضبوا منا، وهاجروا بعيداً.
- البحر: أشدّ الثرثارين غموضاً.
- وشوش لي الصمت سراً: إن عُري الحقيقة أكثر ستراً من رداء النميمة.
- الخط المنكسر لم يكسره أحد، وكذلك الخط المنحني لم يحْنِه أحد.. الخط المستقيم أجزم لكم أن استقامته ليست نتيجةً لتربية صالحة.
- المتعلقون بالماضي شخصيات محافظة على الأغلب.
- المنازل: كهوف مُنظّمة.
- الطفولة: متسابق قصير النَّفَس.
- الرقصة والقُبلة كائنات اجتماعية.
- المرآة: أقدم وأطول مسرح مونودراما نشاهده ونمثّل فيه في قاعة العمر.
- النسيان ممحاة جيّدة، ستكون -حتماً- رائعةً لو أمكننا التحكّم بها.
- بخار الماء: ماء تمّ الإفراج عنه مؤخراً.
- في خبر وفاته نشروا صورته مبتسماً.
- المساء: حبر يضطجع كلّ يوم على صفحة النهار.



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

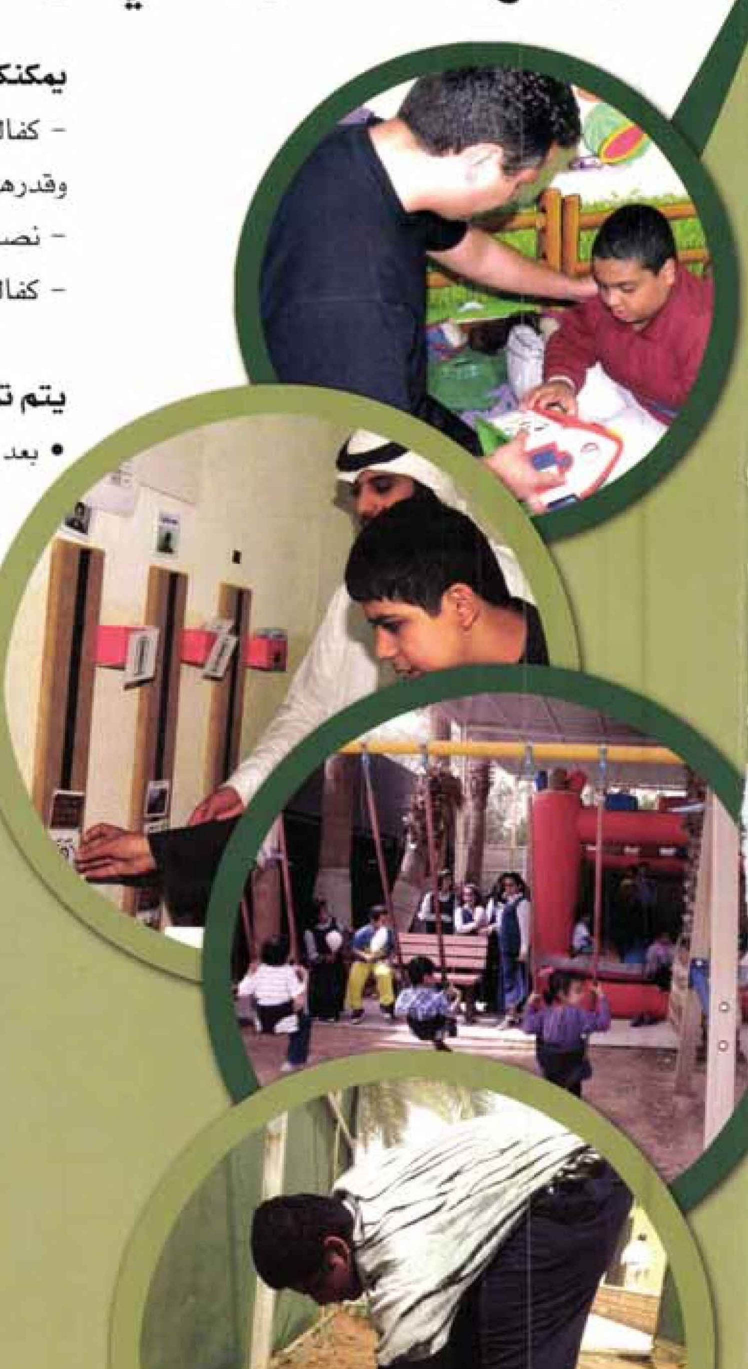
برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨



Disabled Children's Association

